مَجلّة فصليّة محكّمة

تُعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة
وبسيرة الإمام علي عليه السلام وفكره

تَصْدُرُ عَنِ

الأمانَة العامَّة للعَتَبة الْحُسَيْنيَّة الْمُقَدَّسَة

مُؤسَّسَة عُلوم نهج البَلاغَة

مُجازَةٌ من وِزارَةِ التَّعْليمِ العالي والبَحْثِ العِلْميّ
مُعْتَمَدةٌ لأغراضِ التَّرْقِيَةِ العِلْمِيّة

السنة التاسعة– العدد الواحد والعشرين

شهر صفر ١٤٤٦ هـ– آب ٢٠٢٤م

الترقيم الدولي: ISSN 2414–1313

العنوان: العراق - كربلاء المقدسة - شارع السدرة

مجاور مقام علي الأكبر عليه السلام

مؤسسة علوم نهج البلاغة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ٢١٧٨ لسنة ٢٠١٦م

للمعلومات والاتصال

٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠

٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣

الموقع الإلكتروني: www.inahj.org

البريد الإلكتروني: info@inahj.org

تنويه: إن الأفكار والآراء الواردة في أبحاث هذه المجلة تعبّر عن وجهة نظر كتّابها ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة.

(سورة يس، الآية: ١٢)

بطاقة فهرسة

مصدر الفهرسة: IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda.

رقم تصنيف LC: BP1.1 M83. V9. N21 2024.

الرقم العالمي للدوريات(ردمد): ١٣١٣- ٢٤١٤.

العنوان: المبين: مجلة فصلية محكمة تعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة وبسيرة الإمام علي (عليه السلام) وفكره.

بيان المسؤولية: مؤسسة علوم نهج البلاغة، الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة.

بيانات المطبعة: الطبعة الأولى.

بيانات النشر: كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة- مؤسسة علوم نهج البلاغة، ١٤٤٥هـ= ٢٠٢٤م

الوصف المادي: مجلد.

سلسلة النشر: (مؤسسة علوم نهج البلاغة؛)

تبصرة دورية: الوصف مأخوذ من: السنة التاسعة، العدد العشرين (١٤٤٥هـ- ٢٠٢٤م)

تبصرة دورية: فصلية.

موضوع شخصي: علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة- ٤٠ للهجرة- سيرة- دوريات.

موضوع شخصي: الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى، ٣٥٩- ٤٠٦ للهجرة- نهج البلاغة- شرح- دوريات.

موضوع شخصي: علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة- ٤٠ للهجرة- أحاديث- دوريات.

مصطلح موضوعي: البلاغة العربية- دوريات.

مصطلح موضوعي: الإسلام- دوريات.

مصطلح موضوعي: عقائد الشيعة الإمامية- دوريات.

مؤلف إضافي: الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى، ٣٥٩- ٤٠٦ للهجرة- نهج البلاغة-شرح- دوريات.

عنوان إضافي: نهج البلاغة. شرح. دوريات.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

ISBN 978-9933-582-00-5

بسم الله الرحمن الرحيم

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Department

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

No.: الرقم: ب ت 4 / 10669
Date: التاريخ: 2019/11/10

ديوان الوقف الشيعي / الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

م/ مجلة المبين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

أشارة الى كتابكم المرقم ٢١٤٤٣ في ٣١/ ٨/ ٢٠١٩ بشأن اعتماد مجلتهم التي تصدر عن مؤسسة علوم نهج البلاغة التابعة للعتبة الحسينية المقدسة واعتمادها لأغراض الترقيات العلمية وتسجيلها ضمن موقع المجلات العلمية الاكاديمية العراقية ، حصلت موافقة السيد وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي بتاريخ ٧/١١/ ٢٠١٩ على أعتماد المجلة المذكورة في الترقيات العلمية والنشاطات العلمية المختلفة الاخرى وتسجيل المجلة في موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية .

للتفضل بالاطلاع وابلاغ مخول المجلة لمراجعة دائرتنا لتزويده بإسم المستخدم وكلمة المرور ليتسنى له تسجيل المجلة ضمن موقع المجلات العلمية العراقية وفهرسة اعدادها ... مع التقدير.

أ.د. غسان حميد عبدالمجيد
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠١٩/١١/ ١٠

نسخة منه الى :
- مكتب السيد وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي / أشارة الى موافقة سيادته المذكورة أعلاه والمثبتة على اصل مذكرتنا المرقم ب ت م٤/ ٧٦٨٠ في ٢٠١٩/١١/٧ / للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير .
- قسم المشاريع الريادية / شعبة المشاريع الالكترونية / للتفضل بالعلم واتخاذ مايلزم ... مع التقدير
- قسم الشؤون العلمية / شعبة التاليف والنشر والمجلات / مع الاوليات .
- الصادرة .

مهند ، أنس
٧ / تشرين الثاني

UDLEDGE SDN. BHD. (1105825-P)
Block 7-23-1, Jalan Jalil Perkasa 14, Aked Esplanad, Bukit Jalil,
57000 Kuala Lumpur.
Tel : +603 8999 4074 | www.udledge.com | info@udledge.com

Date : 10th October 2018
Our Ref. : edge/1018/70252/almubeen

Editor-in-Chief
Al-Mubeen,
Nahjul Balagha Sciences Foundation,
IRAQ.
(Attn.: Prof. Dr. Nabeel Qaddoori Hassan Al-Hassani)

Dear Sir,

LETTER OF ACKNOWLEDGEMENT (CITATION INDEX DATABASE)

I am pleased to inform you that ***Al-Mubeen*** has been selected for coverage in UDLedge products and information services. This publication will be indexed and abstracted in the following products:

- *i*-Journals (www.ijournals.my)
- *i*-Focus (www.ifocus.my)

If possible, please mention on your website and publications that ***Al-Mubeen*** is covered in these UDLedge services and you can download our latest company and product logos at **http://udledge.com/download-logo.html**. In the future, ***Al-Mubeen*** may be included in additional UDLedge products and information services to meet the needs of the scientific and scholarly research community.

For more information regarding UDLedge products and services, please visit our website at **www.udledge.com** or contact me directly at **(+603)-89994074** or **(+6019)-2983745**. Alternatively, you can write and send your queries to **journals@udledge.com**.

Thank you for your attention. I am looking forward to hearing from you.

Sincerely,

SITI NUR' AIN BINTI SAKEH
Publisher Relations Manager

رئيس تحرير المبين
مؤسسة علوم نهج البلاغة
العراق
الأستاذ نبيل قدوري حسن الحسني
سيدي العزيز

إفادة بالاستلام (مؤشر فهرسة قاعدة البيانات)

يسعدني اعلامك بأن المبين قد تم اختيارها ضمن منتجات UDLedge وخدمات المعلومات. هذه المجلة سوف يتم فهرستها وتلخيصها في المنتجات الآتية:

* i-Journals (www.ijournals.my)

* i-Focus (www.ifocus.my)

إذا كان ذلك ممكنًا رجاءً اذكر على موقعك الالكتروني واصداراتك بأن المبين تمت تغطيتها ضمن خدمات UDLedge ويمكنك تحميل شعارات منتجات شركتنا عن طريق http://udledge.com/download-logo.html

في المستقبل ربما سوف يتم تضمين المبين في منتجات UDLedge أخرى وخدمات المعلومات لكي تلبي احتياجات مجتمعات البحث العلمي والأكاديمي.

للمزيد بما يتعلق بمنتجات وخدمات UDLedge رجاءً قم بزيارة موقعنا الإلكتروني:

www. udledge.com

او تواصل معي مباشرةً على ٨٩٩٩٤٠٧٤-(٦٠٣+) أو ٢٩٨٣٧٤٥-(٦٠١٩+) ومن ناحية أخرى يمكنك الكتابة وارسال استعلامات البحث إلى:

journals@udledge.com

شكرا لاهتمامك انا أتطلع للاستماع إليك

SITI NUR' AIN BINTI SAKEH

مدير علاقات النشر

التاريخ: 2022/09/28

الرقم: L22/0974 ARCIF

سعادة أ. د. رئيس تحرير مجلة المبين المحترم
العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغ .كربلاء، العراق
تحية طيبة وبعد،،،

يسر **معامل التأثير والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية (ارسيف – ARCIF)**، أحد مبادرات قاعدة بيانات "**معرفة**" للإنتاج والمحتوى العلمي، إعلامكم بأنه قد **أطلق التقرير السنوي السابع للمجلات للعام 2022.**

يخضع معامل التأثير "ارسيف **Arcif**" **لإشراف** "**مجلس الإشراف والتنسيق**" **الذي يتكون من ممثلين لعدة جهات عربية ودولية: (مكتب اليونيسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية ببيروت، لجنة الأمم المتحدة لغرب آسيا (الإسكوا)، مكتبة الاسكندرية، قاعدة بيانات معرفة). بالإضافة للجنة علمية من خبراء وأكاديميين ذوي سمعة علمية رائدة من عدة دول عربية وبريطانيا.**

ومن الجدير بالذكر بأن معامل "**ارسيف Arcif**" قام بالعمل على فحص ودراسة بيانات ما يزيد عن **(5100)** عنوان مجلة عربية علمية أو بحثية في مختلف التخصصات، والصادرة عن أكثر من **(1400)** هيئة علمية أو بحثية في **(20)** دولة عربية (باستثناء دولة جيبوتي وجزر القمر لعدم توفر البيانات). ونجح منها **(1000)** مجلة علمية فقط لتكون معتمدة ضمن المعايير العالمية لمعامل "**ارسيف Arcif**" في تقرير **عام 2022.**

ويسرنا تهنئتكم وإعلامكم بأن **مجلة المبين** الصادرة عن **العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغ .كربلاء، العراق، قد نجحت في تحقيق معايير اعتماد معامل** "**ارسيف Arcif**" المتوافقة مع المعايير العالمية، والتي يبلغ عددها **(32) معياراً**، وللاطلاع على هذه المعايير يمكنكم الدخول إلى الرابط التالي:

/http://e-marefa.net/arcif/criteria

وكان معامل "**ارسيف Arcif** " لمجلتكم لسنة 2022 **(لم نرصد أية استشهادات).**

ونأمل حصول مجلتكم على معامل تأثير متقدم في تقرير عام 2023. وبإمكانكم الإعلان عن نجاحكم في الحصول على معايير اعتماد معامل "**ارسيف Arcif**" العالمية سواء على موقعكم الإلكتروني، أو على مواقع التواصل الاجتماعي، وكذلك الإشارة في النسخة الورقية لمجلتكم إلى معامل **أرسيف Arcif** الخاص بمجلتكم.

ختاماً، نرجو في حال رغبتكم الحصول على شهادة رسمية إلكترونية خاصة بنجاحكم في معامل " **ارسيف** "، التواصل معنا مشكورين.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والتقدير

أ.د. سامي الخزندار
رئيس مبادرة معامل التأثير " ارسيف Arcif"

رَئِيسُ التَّحْرِيرِ

أ.د. عَبَّاس عَلِي حُسَيْن الفَحَّام

جَامِعَةُ الكُوفَة - كُلِّيَّة التَّرْبِيَة لِلبَنَات

مُدِيرُ التَّحْرِيرِ

أ.د. حَسَن حَمِيد فَيَّاض

جَامِعَةُ الكُوفَةِ - كُلِّيَّةُ التَّرْبِيَةِ الأَسَاسِيَّةُ

هيأة التحرير

أ. د. صلاح مهدي الفرطوسي
جامعة روتردام الإسلامية- هولندا

أ. د. عبد علي سفيح الطائي
مستشار وزارة التربية- فرنسا

أ. د. عبد الحسين عبد الرضا العمري
جامعة ذي قار- كلية الآداب

أ. د. جواد كاظم النصر الله
جامعة البصرة- كلية الآداب

أ. د. محمد حسنين النقوي
جامعة بهاء الدين- باكستان

أ. د. حسين علي الشرهاني
جامعة ذي قار- كلية التربية للعلوم الإنسانية

أ. د. مصطفى كاظم شغيدل
جامعة بغداد- كلية الآداب

أ. م. د. نعمة دهش فرحان الطائي
جامعة بغداد- كلية التربية ابن رشد

أ. م. د. أحمد حسين عبد السادة
جامعة المثنى- كلية التربية للعلوم الإنسانية

م. د. حيدر هادي خلخال الشيباني
مديرية التربية- النجف الأشرف

مراجعة النصوص العربية

أ. م. د. كريم حمزة حميدي

الإدارة والمالية

أحمد عدنان المعمار **زمان جعفر كاظم**

أحمد عباس مهدي

ترجمة النصوص الإنكليزية

حسنين علي عبد الأمير الطائي

الإخراج والتصميم

أحمد عباس مهدي

قَصيدَةٌ تُؤَرِّخُ صدورَ مَجَلَّةِ المُبين سَنَةَ ((١٤٣٧ هـ))

مِنْ رَوضِ سِبْطِ المُصْطَفَى الأَمِينِ
وَفَيضِ جُودِ مَنْحَرِ الحُسَينِ

وَمِنْ سَنَا نَهْجِ بَلاغَةٍ سَما
إلى السَّما بِالأَنْزَعِ البَطِينِ

مَجَلَّةُ المُبِينِ حَقًّا أَشْرَقَتْ
عَلى مَدَى مَعَارِفِ اليَقِينِ

وَعَرَّجَتْ عَلى رُبَى أَهْلِ التُّقَى
بِغَيثِهَا ذِي الجَوهَرِ الثَّمِينِ

فَأَزْهَرَتْ بِحَرْفِهَا وَأَبْهَرَتْ
بِحُسْنِهَا الفَتَّانِ كُلَّ عَينِ

وَكَيْفَ لا وَهْيَ عَلَى بُرَاقِها
تَطِيرُ فَوقَ كَنْزِهَا الدَّفِينِ

فَقَدْ نَمَتْ وأَيْنَعَتْ وَأَثْمَرَتْ
بِنَهْجِ عَدْلٍ وَهُدَىً وَدِينِ

مَجَلَّةٌ تَزْهُو بِرَوْضِ حَرْفِها
وَسَبْكِها الجَمِيْلِ وَالرَّصِينِ

لِذا نَرَاها بالسَّنا تَوَشَّحَتْ
وَاعْتَصَمَتْ بِحَبْلِها المَتِينِ

وَتُوِّجَتْ فَصَاحَةً مِنْ حَيْدَرٍ
وَأُشْرِبَتْ مِنْ بَارِدٍ مَعِينِ

وَمِنْ رِيَاضِ السِّبْطِ سِبْطِ المُصْطَفَى
وَمَوْجِ نَزْفِ الْقَلبِ وَالوَتِينِ

إلى الهُدَى وَالحَقِّ داعِيها دَعَا
يَطْوِي بِنَشْرٍ رَقْدَةَ السِّنِينِ

زِدْ آخِرَ الدَّاعِي وَأَرِّخْ: ((صَادِحاً
قَدْ أَزْهَرَتْ مَجَلَّةُ المُبِينِ))

الشَّاعر: علي الصَّفَّار

الافتتاحية:

حضارة الكلمة

كلمة مؤسسة علوم نهج البلاغة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم والصلاة والسلام على خير النعم وأتمّها محمد وآله الأخيار الأطهار.

أمّا بعد:

فإنّ لكلِّ أمة حضارتها التي تفتخر بها على غيرها من الأمم، ولكلِّ حضارة رجالها الذين بنوها بالفكر والعمل والجد والاجتهاد، ولكلِّ حضارة شواهدها الشامخة وعلاماتها القائمة، وهي تحاكي الأجيال على كرور الأيام أنّ هاهنا كانت أمة.

ولكن ليس كلُّ من رأى حضارة أمةٍ تَفَكّر في حالها، واعتبر بأخبارها وأُفول نجمها، ولم يبق منها سوى مواضع الأطلال، تصهرها أشعة شمس النهار، وتغزوها الأمطار، وتندب حالها الأطيار التي اتّخذتها أوكارًا لأعشاشها، ومأوى لفراخها، وكأنّ قدرها قد حتّم عليها أن لا يلحظها سوى فراخٍ هزيلة، وزواحف دخيلة، تجوب شقوق جدران هياكل الحضارة، وهي تَؤُزُّ بأصواتها لتدعو الإنسان أنّ هاهنا كانت أمة.

ولكننا هنا في حضارة ليست كغيرها من الحضارات، فشموخها قائم في الأذهان وعلاماتها حاضرة في القلوب، وهياكلها تشدّ الأرواح لتهفو إليها أسيرة لأمرها، ومنقادة لنهيها تغفو على المعنى هنا، وترتشف الدَّلالة هناك، وتنتشي العِبْرة هنالك، فضلًا عن حيرتها في نسق التعبير وجمالية المغزى وقوام الجملة، إننا في حضارة الكلمة، كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه الصلاة والسلام)، تلك الحضارة التي عجزت عن محوها الأنداد من الأعراب والأعاجم، فتكسَّرت على جدران حقائقها المعاولُ، وتقهقرت بساحات معارفها الفطاحلُ، ويئِست عن بلوغ مغزاها الأعاظم.

لأنها حضارة الكلمة.. كلمة أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) الذي لم يزل صدى دعوته مرددًا «أن هاهنا علمًا جمًا لو أَصبت له من حملة».

ومن هنا: اتّخذت مؤسسة علوم نهج البلاغة منهجها في النهوض بهذا التراث

المعرفي الذي اكتنزه كتاب نهج البلاغة، فقامت بتأسيس مجلة علمية فصلية مُحَكَّمَة مُعْتَمَدة لأغراض الترقية العلمية في المجال الأكاديمي، تهدف إلى استنهاض الأقلام العلمية والفكرية للارتشاف من معين علوم الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وكتاب نهج البلاغة الذي يعد بوابة يلج منها أهل الفكر والبحث إلى حضارة الكلمة، كلمة الله ورسوله (صلّى الله عليه وآله وسلم) وقرآنه الناطق علي بن أبي طالب (عليه السلام).

لذا:

تدعو أُسرة (مجلة المبين) المفكرين والباحثين في الجامعات والحوزات العلمية إلى الكتابة فيها والإسهام في رفدها بالأبحاث العلمية والدراسات المعمّقة؛ ليدلوا بدلائهم في رياض معين حضارة الكلمة الفياضة فتنتشي الأرواح، وتقر العيون، وتأنس النفوس، وهي تجوب بين أروقة علومها العديدة، وحقول معارفها الجمة.

ولا سيما أنّ (المبين) تُعدّ أوَّل مجلة علميةٍ محكمةٍ في العالمِ الإسلامي مختصةٍ بعلوم كتاب نهجِ البلاغة، وسيرة الإمام علي (عليه السلام) وفكره.

سائلين الله تعالى التوفيق والتسديد لإدامة هذا الصرح المعرفي، ونسأله بلطفه وسابق رحمته، وخير نعمه وأتمها محمد وآله أن يديم علينا فضله وفضل رسوله الكريم وهو القائل وقوله حق ووعده صدق:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِينَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ﴾ الإسراء -٥٩-.

اللهم إنا إليك راغبون ولفضلك وفضل رسولك سائلون، والحمد لله رب العالمين...

السيد نبيل قاوري حسن الحسني

رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

سياسة النشر في مجلة المبين

١. مجلة (المبين) مجلة فصلية محكمة، تصدر عن مؤسسة علوم نهج البلاغة للعتبة الحسينية المقدسة وتستقبل البحوث والدراسات للمؤلفين من داخل العراق وخارجه التي تعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة وبسيرة الإمام علي عليه السلام وفكره في مجالات المعرفة كافة.

٢. إنّ الإستشهاد بمجلة المبين في مطالب البحث يعد من أساسيات تنشيط الحركة العلمية والمعرفية في مختلف المحافل الفكرية وذلك بوصفها مرجعا علمية أصيلا يعزز من مكانتها العلمية بين المجلات المحكمة.

٣. يكون البحث المقدم للنشر ملتزم بمنهجية وأخلاقيات البحث والنشر العلمي وخطواته المتعارف عليها عالمياً.

٤. أن لا يكون البحث قد نشر سابقًا أو حاصل على قبول للنشر أو قدم للنشر في مجلة أخرى ويقوم الباحث بتوقيع تعهد خاص بذلك.

٥. لا تقوم المجلة بنشر البحوث المترجمة إلا بتقديم ما يثبت موافقة المؤلف الأصلي وجهة النشر على ترجمة البحث ونشره.

٦. يتحمل مؤلف البحث المسؤولية الكاملة عن محتويات بحثه المرسل للنشر، وتعبر البحوث عن آراء مؤلفيها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

٧. يخضع ترتيب البحوث في المجلة لاعتبارات فنية تتعلق بهوية المجلة.

٨. يبلغ المؤلف باستلام بحثه من لدن المجلة خلال مدة لا تتجاوز العشرة أيام اعتباراً من تاريخ الاستلام.

٩. يبلغ المؤلف بالموافقة أو عدم الموافقة على نشر بحثه في المجلة في مدة لا تتجاوز

الشهرين اعتبارًا من تاريخ استلام البحث من قبل المجلة.

١٠. لا تعاد البحوث غير المقبولة للنشر إلى مؤلفيها.

١١. يلتزم المؤلف بإجراء التعديلات اللازمة على بحثه وعلى فق تقارير هيأة التحرير أو المقيمين وإعادته الى المجلة في مدة أسبوع من تاريخ استلامه للتعديلات.

١٢. جميع البحوث المقدمة للنشر تخضع لعملية التقييم العلمي من قبل ذوي الاختصاص.

١٣. تخضع جميع البحوث المقدمة للنشر إلى فحص الاستلال الالكتروني.

١٤. تنقل حقوق النشر والطبع والتوزيع الورقي والالكتروني للبحوث الى المجلة وعلى وفق صيغة تعهد يقوم المؤلف بتوقيعها ولا يحق لأية جهة أخرى إعادة نشر البحث أو ترجمته وإعادة نشره إلا بموافقة خطية من المؤلف ورئيس هيأة التحرير لمجلة المبين.

١٥. لا يجوز للمؤلف سحب بحثه بعد صدور قرار قبول النشر، ويجوز له سحب البحث قبل صدور قرار قبول النشر وبموافقة السيد رئيس هيأة التحرير حصرًا.

١٦. يمنح المؤلف ثلاث مستلات مجانية مع نسخة من العدد الذي نُشر فيه بحثه.

١٧. يتوجب على المؤلف الإفصاح عن الدعم المالي أو أي من أنواع الدعم الأخرى المقدمة له خلال إجراء البحث.

١٨. يتوجب على المؤلف إبلاغ رئيس التحرير عند اكتشافه لوجود خطأ كبير في البحث أو عدم دقة بالمعلومات وأن يساهم في تصحيح الخطأ.

دليل المؤلفين

١. تستقبل المجلة البحوث والدراسات التي تكون ضمن محاورها المبينة في سياسة النشر.

٢. أن يكون البحث المقدم للنشر أصيلا ولم يسبق نشره في مجلة أو أي وسيلة نشر أخرى.

٣. يعطي المؤلف حقوق حصرية للمجلة تتضمن النشر والتوزيع الورقي والالكتروني والخزن وإعادة الاستخدام للبحث.

٤. لا تزيد عدد صفحات البحث المقدم للنشر عن عشرين صفحة.

٥. ترسل البحوث إلى المجلة عبر بريدها الالكتروني:

inahj.org@gmail.com و Almubeen.mag@gmail.com

٦. يكتب البحث المرسل للنشر ببرنامج الـ (word) أو (LaTeX)وبحجم صفحة (A4) وبهيأة عمودين منفصلين ويكتب متن البحث بنوع خط Simplified Arabic وبحجم ١٤.

٧. يقدم ملخص للبحث باللغة الإنكليزية وفي صفحة مستقلة وان لا يتجاوز (٣٠٠) كلمة.

٨. أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على المعلومات الآتية:

- عنوان البحث.
- اسم المؤلف / المؤلفين وجهات الانتساب.

- البريد الالكتروني للمؤلف / المؤلفين.
- الملخص.
- الكلمات المفتاحية

٩. يكتب عنوان البحث متمركزًا في وسط الصفحة وبنوع خط: Simplified Arabic وحجم Bold 16.

١٠. يكتب اسم المؤلف / المؤلفين متمركزاً في وسط الصفحة وتحت العنوان وبنوع خط Simplified Arabic وبحجم Bold 14.

١١. تكتب جهات الانتساب للمؤلفين بنوع خط Simplified Arabic وبحجم Bold 12.

١٢. يكتب ملخص البحث بنوع خط Simplified Arabic وبحجم: Italic ,Bold 12.

١٣. تكتب الكلمات المفتاحية التي لا يتجاوز عددها عن خمسة كلمات بنوع خط Simplified Arabic وبحجم Italic ,Justify 12.

١٤. جهات الإنتساب تثبت كالآتي (القسم، الكلية، الجامعة، المدينة، البلد) وبدون مختصرات.

١٥. عند كتابة ملخص البحث، تجنب المختصرات والاستشهادات.

١٦. عدم ذكر اسم المؤلف/ المؤلفين في متن البحث على الاطلاق.

١٧. تراعى الأصول العلمية المتعارف عليها في كتابة الهوامش للتوثيق

والاشارة بذكر اسم المصدر ورقم الجزء والصفحة، مع ضرورة أن تكون مرقمة ترقيمًا متسلسلا وتوضع في نهاية البحث.

١٨. يلتزم المؤلف بالشروط الفنية المتبعة في كتابة البحوث العلمية من حيث ترتيب البحث بفقره وهوامشه ومصادره، كما يجب مراعاة وضع صور المخطوطات (للنصوص المحققة) في مكانها المناسب في متن البحث.

١٩. تثبيت قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث وحسب صيغة:

Harvard Reference style.

٢٠. جميع الدراسات التي تم الاستشهاد بها في متن البحث أو الجداول أو الصور يجب أن تثبت وبشكل دقيق في قائمة المصادر وبالعكس.

٢١. يلتزم المؤلف/ المؤلفون إلى بيان فيما إذا كان البحث المقدم للنشر قد تم في ظل وجود أية علاقات شخصية أو مهنية أو مالية يمكن تفسيرها على أنها تضارب في المصالح.

دليل المقيمين

إن المهمة الرئيسية للمقيم العلمي للبحوث المرسلة للنشر، هي أن يقرأ البحث الذي يقع ضمن تخصصه العلمي بعناية فائقة وتقييمه وفق رؤى ومنظور علمي أكاديمي لا يخضع لأي آراء شخصية، ومن ثم يقوم بتثبيت ملاحظاته البنّاءة والصادقة حول البحث المرسل إليه.

قبل البدء بعملية التقييم، يرجى من المقيم التأكد فيما إذا كان البحث المرسل إليه يقع ضمن تخصصه العلمي أم لا، فإن كان البحث ضمن تخصصه العلمي، فهل يمتلك المقيم الوقت الكافي لإتمام عملية التقييم، إذ إن عملية التقييم يجب أن لا تتجاوز العشرة أيام.

بعد موافقة المقيم على إجراء عملية التقييم وإتمامها خلال الفترة المحددة، يرجى إجراء عملية التقييم وفق المحددات الآتية:

١. هل أن البحث أصيلاً ومهمًا لدرجة يجب نشره في المجلة؟.

٢. فيما إذا كان البحث يتفق مع السياسة العامة للمجلة وضوابط النشر فيها.

٣. هل أن فكرة البحث متناولة في دراسات سابقة؟ إذا كانت نعم، يرجى الإشارة إلى تلك الدراسات.

٤. مدى تعبير عنوان البحث عن البحث نفسه ومحتواه؟.

٥. بيان فيما إذا كان ملخص البحث يصف بشكل واضح مضمون البحث وفكرته.

٦. هل تصف المقدمة في البحث ما يريد المؤلف الوصول إليه وتوضيحه بشكل

دقيق، وهل وضح فيها المؤلف ما هي المشكلة التي قام بدراستها.

٧. مناقشة المؤلف للنتائج التي توصل إليها خلال بحثه بشكل علمي ومقنع.

٨. يجب ان تجرى عملية التقييم بشكل سري وعدم اطلاع المؤلف على أي جانب فيها.

٩. اذا أراد المقيم مناقشة البحث مع مقيم آخر فيجب ابلاغ رئيس التحرير بذلك

١٠. يجب أن لا تكون هنالك مخاطبات ومناقشات مباشرة بين المقيم والمؤلف فيما يتعلق ببحثه المرسل للنشر، ويجب أن ترسل ملاحظات المقيم إلى المؤلف من خلال مدير التحرير في المجلة.

١١. إذا رأى المقيم بأن البحث مستلاً من دراسات سابقة، توجب على المقيم بيان تلك الدراسات لرئيس التحرير في المجلة.

١٢. إن ملاحظات المقيم العلمية وتوصياته سيعتمد عليها وبشكل رئيسي في قرار قبول البحث للنشر من عدمه، كما يرجى من المقيم الإشارة وبشكل دقيق إلى الفقرات التي تحتاج إلى تعديل بسيط ممكن أن تقوم بها هيأة التحرير وإلى تلك التي تحتاج إلى تعديل جوهري يجب أن يقوم بها المؤلف نفسه.

نموذج تعهد الملكية الفكرية ونقل حقوق الطبع والتوزيع في مجلة المبين

أنا / نحن الموقع / الموقعون أدناه نقر بأن البحث الموسوم

والمقدم للنشر في مجلة المبين هو نتاج جهدي/ جهدنا الخالص وجميع الآراء والاستنتاجات التي تضمنها البحث هي نتاج عملي/ عملنا خلال فترة إنجازه باستثناء ما تمت الإشارة إليه في متن البحث، حيث إن دراسات الآخرين وأفكارهم وآرائهم التي استعملت في هذا البحث قد تمت الإشارة إليها في متن البحث ووضعت بدقة ضمن قائمة المصادر، كما أتعهد/ نتعهد بالفهم والتطبيق الكامل لقواعد البحث والنشر العلمي المعتمدة في مجلة المبين وإن العمل الذي أدى الى إنتاج هذا البحث قد تم وفق أخلاقيات البحث العلمي المعروفة عالمياً، فضلاً عن ذلك، فأنا/ نحن أتعهد/ نتعهد بأن هذا البحث لم يسبق وأن نشر أو قُدم للنشر في مجلة أو أية وسيلة نشر أخرى وأمتلك/ نمتلك الحقوق الحصرية الكاملة لنشر البحث لغاية تاريخ توقيع هذا العقد، وبذلك أوافق/ نوافق على نقل حقوق النشر والطبع والتوزيع الورقي والالكتروني لهذا البحث إلى مجلة المبين أو من تخوله هذه المجلة.

ت	اسم المؤلف / المؤلفون	البريد الالكتروني	التوقيع والتاريخ

ملاحظة : يملئ هذا الحقل في حال كون المؤلف مخول من بقية المؤلفين لتوقيع هذا التعهد نيابة عنهم

اني ..... مخول/ مخولة من جميع المؤلفين المشتركين معي في هذا البحث للتوقيع على هذا التعهد نيابة عنهم وأتعهد بصحة كافة معلوماتي الشخصية التي وردت في هذا التعهد ولأجله وقعت.

التوقيع: التاريخ:

البريد الالكتروني: رقم الهاتف:

المحتويات

الصفحة	عنوان البحث	اسم الباحث
٢٨	كلمة العدد	الدكتور عباس الفحام رئيس التحرير
٣٠	ملف العدد	قراءات في المنهج السوي للفرد والمجتمع
٣١	مؤشرات الصحة الروحية وعلاقتها بالحياة الطيبة من منظور كلام الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة	سمية حسنعليان الأستاذ المشارك الدكتور بجامعة أصفهان
٧١	ثنائية الحاكم والرعية قراءة في أقوال الإمام علي (عليه السلام) ومكيافيلي	م. د. أحمد جاسم محمد النجفي كلية التربية الأساسية جامعة الكوفة
١١٣	التفكير السليم وحدود معرفة الله في نهج البلاغة	الباحث صلاح صبحي عبد وزارة التعليم العالي هيئة البحث العلمي

الصفحة	عنوان البحث	اسم الباحث
١٥٥	الصَّلاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ فِي المَوْرُوْثِ الحَدِيْثِيّ قِرَاءَةٌ فِي المصَادِيْقِ، عليُّ بنَ أبي طالب (عليه السلام) اخْتِيَارًا	أ. م. د. مصطفى صالح مهدي جامعة القادسية / كلية التربية / قسم علوم القرآن الكريم والتربية الإسلامية
٢١٥	تَكرَار لفظِ الجلالةِ في نَهجِ البلاغةِ دراسة نصِّيَّة	م. د عمَّار حسن عبد الزهرة حاتم المديرية العامَّة للتربية في كربلاء المقدسة
٢٠٩	العلاء بن زياد الحارثي في كتاب نهج البلاغة	م. حيدر جمعة الكعبي وزارة التعليم العالي والبحث العلمي دائرة البحث والتطوير

كلمة العدد

الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحا لذكره وسببا لآلائه، والحمد لله الذي منّ علينا بنعمة الإيمان وجعلنا من موالي سيد الأنام وآل بيته الكرام صلوات الله عليهم أجمعين.

بفضل الله تعالى يتم التواصل العلمي في إصدار المجلة التخصصية مجلة (المبين)، فهذا هو العدد الحادي والعشرون من عمرها العلمي المنير، اجتهدنا فيه أن يكون من ضمن فصوله -على وفق خطة المجلة- ملف خاص به ضمّ عنوان (قراءات في المنهج السوي للفرد والمجتمع)، ولا ريب في أن حصد التميز في الأعمال العلمية من نتائج الجدية في العمل، ولعل ذلك لا يكون إلا في ظل الاستمرار في البحث عما هو جديد ونافع وصالح في سوق العلم، فالعلم يوم بضاعة تتزاحم فيها أقلام المبدعين وتفرض نفسها بنفسها على القاريء لأن يقتنيها ويتدبرها في ظل سوق واسعة تعرض فيها شتى الملهيات وأنواع المعارف التي قد تجعل فرص البقاء غير مواتية لكثير منها، ومن هنا تسعى سياسة مجلة المبين بأسرتها كافة إلى البحث عما يميزها من بين أنواع المجلات التي تقدم المادة المعرفية، فاعتمدت الأسس الآتية في عملها:

أولا: محاولة بين المزج بين الأصالة والمعاصرة في تقديم المادة المعرفية أو قل عصرنة التراث وتكييفه مادة طيعة سهلة بين يدي القاريء.

ثانيا: ردم الفجوة بين الماضي والحاضر أمام النشء الجديد، وتعريفه بقيمة تراثه وعظمة هويته المعرفية، وإقناعه بأن التأخر في الحاضر لا يعني أن نعيش على هامش الحياة من دون هوية.

ثالثا: إثراء الساحة المعرفية بالأقلام العلمية الواعدة التي تتمكن من مواكبة

مشكلات العصر ومحاولة تقديم الحلول لتعقيداته ومعضلاته.

رابعا: تسعى المجلة في عرض ما يمس حاجة المجتمع وإثارته لإيجاد الحلول الواقعية قدر المستطاع، لذلك وضع ملف خاص لكل عدد يتضمن معالجات أدبية أو إدارية أو سياسية أو تاريخية، وهو أمر ليس باليسير مع كل إصدار.

ولا أبالغ إذا قلت إن سر ديمومة مجلة المبين مستمد من ثراء المعارف المحيطة بشخصية أمير المؤمنين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام، فهؤلاء هدايا الله إلى الإنسانية لا يعرف اكتشاف دررهم إلا الغواص الماهر الذي أعد عدته لاستخراج الكنوز من قعر بحارهم المعرفية في التفسير وفي النقد والفقه والتشريع واللغة، وما المجلة إلا الوعاء الذي يحوي الفكر الرصين، والوثيقة التي تقدم للأجيال اللاحقة من عمل العاملين وإبداع المبدعين.

وهنا نعيد الكرة في توجيه الدعوة إلى مزيد من الجدة والابتكار في مختلف مجالات المعرفة، فما يزال الفكر الخاص بآل البيت المحمدي صلوات الله عليهم بحاجة إلى من يثوره ويقدمه زادا معرفيا لأبناء هذا العصر، وما يزال مجتمعنا بخاصة محتاجا إليهم على صعيد التنظير الأخلاقي وتطبيقاته، والتوجيه التربوي وتسديداته، وتقنيات الإدارة الصحيحة للأسرة والمجتمع، وإعادة بناء الفرد والمجموع، في ظل عالم يموج بالدعوات إلى الابتعاد عن النقاء والصفاء وذوبان الروح في الله، وإحلال محله الاشتغال بالملهيات عما يطور الفرد بعالم اللعب وتضييع الوقت.

وبذلك التوكل على الله تعالى نعقد العزائم وهمنا بناء الإنسان كما أراده الله تعالى ورسله وأولياؤه صلوات الله عليهم أجمعين، والحمد لله رب العالمين بدءا وختاما.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رَئِيسُ التحريرِ

ملف العدد

قراءات في المنهج السوي للفرد والمجتمع

* مؤشرات الصحة الروحية وعلاقتها بالحياة الطيبة
من منظور كلام الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة

* ثنائية الحاكم والرعية قراءة في أقوال الإمام علي (عليه السلام)
ومكيافيلي

* التفكير السليم وحدود معرفة الله
في نهج البلاغة

مؤشرات الصحة الروحية وعلاقتها بالحياة الطيبة من منظور كلام الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة

Spiritual Health Indicators and Their Relationship with Good Life from Imam Ali Point of View (Pb) in Nahjul-Balagha

سمية حسنعليان

الأستاذ المشارك الدكتور بجامعة أصفهان

Asst. Prof. Dr. Samia Hasanlian,

Isfahan University

ملخص البحث

الحياة الطيبة تتمثل بحقيقة الحياة التي تكوّن الحياة الدنيوية أرضية لها فيما تمثل الحياة الأخروية نتيجة لها، ولعلَّ الدور البارز في تجلي هذه الحياة الطيبة الكريمة يبدو لنا جليًّا عن طريق مؤشراتها التي تُعَدُّ (الصحة الروحية) فيها من أهم تلك المؤشرات بل أهمها إن جاز لنا التعبير، ويبدو هذا الأمر جليًّا عندما نطَّلعُ على ما وصلنا من تراث اختص به أهل البيت (عليهم السلام) كجزء من الدين الإسلامي ومشروعه الكبير في بناء الحياة الجديدة الطيبة للإنسان؛ تلك الحياة التي تضمن للإنسان سعادته في الدنيا والآخرة.

وانسياقًا مع هذه الحقيقة الناصعة انطلقنا في هذا البحث لدراسة مؤشرات الصحة الروحية وعلاقتها بالحياة الطيبة في كلام الإمام أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) الذي وصلنا عبر كتاب نهج البلاغة، وقد اعتمدنا في كتابة بحثنا على المنهج الوصفي- التحليلي، وقد توصلنا بعد البحث والتقصي إلى أنَّ الصحة الروحية تتجلى في علاقات الإنسان المختلفة، وتظهر في ثلاثة محاور أصيلة على النحو الآتي:

- علاقة الإنسان بالله سبحانه وتعالى.
- علاقته الإنسان بنفسه.
- علاقته الإنسان بالآخرين.

إنَّ هذه المحاور جميعها لها مؤشراتها الخاصة التي تمت الإشارة إليها ومعالجتها علميا في هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: الإمام أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام)، الصحة الروحية، الحياة الطيبة، نهج البلاغة.

Abstract

Good life is represented by the truth, that earthly life is a Cause and an afterlife is Consequence. The indicators of Spiritual health plays the most prominent role in achieving good life.

In this research we dealt with Spiritual health indicators and their relationship with good life in Imam Alis (Pb) Sayings in Nahjul-Balagh, we have followed descriptive analytical method, and came up with that spiritual health manifested through different humankind's relation, identified by three main aspects;

- **Man's relation with Allah.**
- **Man's relation with himself.**
- **Man's relation with others.**

Keywords

Imam Ali (Pb), Spiritual health, Good life, Nahjul-Balagha.

١. المقدّمة:

لا يخامرنا شك في أهمية الصحة الروحية والمعنوية في حياة الإنسان الطيبة وبلوغه إلى سعادته في الدنيا والآخرة؛ إذ إنها تمهد الأرضية المناسبة لنمو الإنسان وتميزه، ونتيجة للتغيرات المحورية التي حصلت في المجتمع الإنساني في السنوات الأخيرة نتيجة لنمو التكنولوجيا وسرعة نقل المعلومات، اهتمّ علماء النفس بهذا الموضوع متوجهين إلى البحث والتقصي في البعد المعنوي للإنسان، وطفق هذا الجانب يلفت الأنظار إليه أكثر فأكثر بعد ظهور البعد المادي وتوسعه بشكل كبير، إذ طالما كانت الاحتياجات المادية للإنسان نصب عينيه طوال السنوات المديدة الماضية.

هذا من جانب ومن جانب آخر فإنّ التراث الثر الذي وصلنا من أهل البيت (عليهم السلام) لم يكن شيئا اعتياديا يمكن أن ننظر إليه عن طريق النسق التاريخي العام ومساراته فقط؛ بل إنَّ ذلك التراث المعرفي الثر فيه من المعارف والعلوم التي تفيد الإنسان في كل عصر وزمان، ولعل من أهم الآثار التي ينطبق عليها مقياس قولنا هذا كتاب (نهج البلاغة)، وهو مختارات من كلام الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولذلك تم اختيار هذا الكتاب لدراسة هذا الموضوع من خلاله، سعياً للحصول على مؤشرات الصحة الروحية ودراسة علاقتها بالحياة الطيبة من منظور هذا الإمام الجليل.

وغني عن الذكر أن القرآن الكريم قد ذكر بصورة لا تقبل اللبس أن

غاية دعوة الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) هي الحياة الطيبة، إذ إن المبتغى الأساسي للديانات التي رافقت الحياة الإنسانية منذ نبي الله آدم (عليه السلام) واختتامها برسول الإنسانية محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إنما كانت تريد من الإنسان أن يستجيب لتلك الدعوات المباركة بدليل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[1]؛ وهناك العديد من الآيات القرآنية الكريمة التي أوضحت بشكل لا يقبل اللبس يدلنا على الطريقة الصحيحة التي تعرفنا عليها للوصول إلى الحياة الطيبة، ويمكن لنا النظر على سبيل المثال في الآيات المباركات: ٩٥-١٠٠ من سورة النحل.

وانسياقا مع هذا المسار فإنّ بحثنا الحالي يستهدف دراسة مؤشرات الصحة الروحية وعلاقتها بالحياة الطيبة من منظور كلام الإمام أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) في نهج البلاغة؛ واقتضت خطة البحث عرض المباحث في ثلاثة محاور مهمة؛ هي: علاقة الإنسان بخالقه تعالى، علاقة الإنسان بنفسه؛ علاقة الإنسان بالآخرين في المجتمع، وكان لكل محور من هذه المحاور الثلاث عدة مؤشرات تندرج تحتها تفاصيل مهمة سنشير إليها في البحث بالتفصيل.

٢. أسئلة البحث:

تنحصر أسئلة البحث الأساسية بما يأتي:

١. ما علاقة الصحة الروحية بالحياة الطيبة؟

٢. ما أهم مؤشرات الصحة

الروحية في نهج البلاغة؟

٣. منهجية البحث:

المنهج الذي نتوخاه من هذا البحث للدراسة ولغرض الإجابة عن أسئلة البحث المنهج الوصفي – التحليلي؛ إذ إن هذا المنهج أنسب منهجٍ لإجراء البحوث والدراسات في العلوم الإنسانية.

٤. الدراسات السابقة:

بالنسبة إلى الدراسات السابقة حول هذا الموضوع لابد لنا من الإشارة إلى أن هناك الكثير من الدراسات والبحوث التي أجريت على كتاب نهج البلاغة بوصفه كتابًا يشمل المعارف الإنسانية والمشروع الذي يساعد الإنسان على نيل سعادته؛ ولا يسعنا في هذا الموجز إلّا أن نأتي بتلك الدراسات بالإجمال والتفصيل؛ فهناك دراسات عدة تحدثت عن الحياة الطيبة أو الصحة الروحية في نهج البلاغة، سنشير إلى بعضها على سبيل المثال لا الحصر:

ط حيات طيبة و راه رسيدن به آن در نهج البلاغة، محمود حاجي أحمدي وفخر السادات مير محمد صادقي، ١٣٩٦.ش، أصفهان: سلام سپاهان.

ط أصول بهداشت رواني، حسيني، سيد أبو القاسم، ١٣٨٥.ش، مشهد: العتبة الرضوية المقدسة.

ط سلامت معنوي از ديدگاه نهج البلاغة، أصغر منتظر القائم وفاطمة جعفري، ١٣٩٥.ش، تهران: كلام حق.

ولكن مما لا بد من الإشارة إليه أن الجديد في دراستنا، أن الدراسات السابقة لم تتطرق لدراسة تجمع بين الصحة الروحية والحياة الطيبة

والعلاقة بينهما من منظور كلام الإمام أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) في نهج البلاغة، وهذا هو الشيء الجديد الذي حاولنا تسليط الضوء عليه في هذا البحث.

٥. الصحة الروحية؛ التعريف والأهمية

على الرغم من أن بعضهم يذهب إلى أن الصحة الروحية والمعنوية لها تعاريف مختلفة عند الناس على اختلاف مشاربهم وأهوائهم، على وفق رؤيتهم الكونية أو معنى الحياة وفلسفتها عندهم، ولكن لا أحد يشك في أهمية هذا الموضوع وضرورة الاهتمام به، إذ تدل الكثير من الدراسات والبحوث التي أجريت في هذا المجال في البلدان الغربية النامية على أن باقي الأبعاد الحياتية والنفسية والاجتماعية للإنسان لا يعمل بشكل صحيح إلّا بوجود الصحة الروحية[٢].

والمراد هنا من الصحة: الحالة التي تؤدي بها كل جارحة من جوارح الجسم وأعضائه الواجبات بصورة كاملة وصحيحة[٣]؛ ومن ينعم النظر في هذا التعريف سيجد بأنه لا يخص الإنسان وحده بل يتجاوز إلى الكائنات الأخرى في هذا الكون كالنباتات والحيوانات، ويقابل الصحة ويعارضها بالمفهوم العام (المرض والداء)، الذي يتأتى من خلال عدم عمل العضو عمله بصورة جيدة[٤]، ولا تعتمد الصحة والمرض على الظروف الجسمية فقط، بل تتعداها الى أمور أخرى لها علاقة بالأفكار والإحساسات والمشاعر والدوافع الشخصية[٥].

إن الروحانية هي البحث الدائم

عن المعنى الحقيقي للحياة والفهم العميق لقيمة الحياة وسعتها ونظام القيم الشخصية فيها؛ وفي الحقيقة أن الروحانية تتمثل بالجهد والمثابرة لنمو وازدياد حساسية الإنسان لنفسه وعلاقته بالآخرين وبربه، وبحث مجاهدة الإنسان في الوصول إلى أن يكون إنسانا كاملا[٦].

والصحة الروحية على ذلك المفهوم ستشمل حفظ الطبيعة التوحيدية عن طريق العلاقة الوثيقة بالله تعالى، وإيجاد نظام القيم، والقدرة على حياة سالمة طيبة مع أهداف عالية عن طريق العلاقات السالمة والبناءة مع نفسه ومع الآخرين، ويلاحظ المتأمل في الروايات أن الإمام السجاد (عليه السلام) عبَّر عن الصحة الروحية بالصحة الدينية فضلاً عن السلامة البدنية التي تأتي في المقام الثاني، أو كما عبَّر عنها (عليه السلام) بقوله: «**وَامْنُنْ عَلَيَّ بِالصِّحَّةِ وَالْأَمْنِ وَالسَّلامَةِ في ديني وَبَدَني**»[٧].

٦. الحياة الطيبة؛ تعريفها ومكانتها:

إنّ مفهوم الحياة الطيبة يتجلّى في كونها الحياة الطاهرة البعيدة عن كل تلوث بالرذائل التي تختلط بالفضائل الأخلاقية والإنسانية التي يبشر الله المؤمنين الحقيقيين بها في القرآن الكريم بدليل قوله تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[٨]؛ فكما أن الهدف الرئيس هو الاستجابة لدعوة الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) للوصول إلى مضان هذه الحياة الطيبة كما قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿**يَا أَيُّهَا**

﴿الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[٩]؛ وعن طريق هذه الحياة يستطيع الإنسان أن يرى كل شيء جميلاً، وأن لا ينظر إلى السيئات ولا يتوجه إليها أبدا، وأنه يؤمن بأن الحياة في الدنيا تستمر بالإيمان والصحة الروحية والنفسية ويتوصل الإنسان عن طريق ذلك كله إلى سعادته الحقيقية في الآخرة[١٠].

وصحيح أن الدنيا في كثير من الروايات تُعرف بعدم الوفاء والحيلة والمكر[١١]، ولكن هذا لا يعني أن يغير الإنسان نظرته إلى الحياة الدنيوية ويتركها نهائيا أو يذمها، كما نرى ذلك في سيرة الأئمة الأطهار (عليهم السلام) وكلامهم؛ ففي هذا المجال يقول الإمام علي (عليه السلام) لمن يذم الدنيا: «إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا وَدَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا وَدَارُ غِنًى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا وَدَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنِ اتَّعَظَ بِهَا»[١٢]، وكان (عليه السلام) يحث الناس على الإفادة الصحيحة من الدنيا والقناعة فيها؛ لأن القناعة وترك الطمع من القضايا المهمة التي ترتبط ارتباطًا مباشرًا بالحياة الطيبة، لذلك قال الإمام علي (عليه السلام): «اِبْنَ آدَمَ إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ مِنَ الدُّنْيَا مَا يَكْفِيكَ فَإِنَّ أَيْسَرَ مَا فِيهَا يَكْفِيكَ وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تُرِيدُ مَا لاَ يَكْفِيكَ فَإِنَّ كُلَّ مَا فِيهَا لاَ يَكْفِيكَ»[١٣].

ولكي تكتمل الصورة لدينا فإن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يُعرّف القناعة فيعدُّها مقياسًا لقرب الإنسان من الحياة الطيبة، فكلما زاد الإنسان علماً وحكمة

استطاع أن يميز محطات القناعة في سلوكه ويتقرب إلى الله تعالى؛ إذ إن الإنسان بحصوله وتمتعه بهذه الفضيلة التي تلزم الصحة النفسية والروحية والطمأنينة سيحصل على أغنى كنز في هذه الدنيا، ويحدث هذا الاطمئنان نتيجة ابتعاده عن الماديات والطمع فيها والنتائج الوخيمة التي تنتج عنها مثل الظلم والفساد والكذب والجبن وغيرها من الرذائل التي تتحصل نتيجة الحرص عليها.

٧. مؤشرات الصحة الروحية وعلاقتها بالحياة الطيبة في نهج البلاغة

في هذا القسم من البحث سنشير إلى أهم مؤشرات الصحة الروحية التي ترتبط بالحياة الطيبة وتؤثر فيها من منظور الإمام أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) عن طريق كلامه الوارد في نهج البلاغة؛ وكما أسلفنا فإنها تتأتى من محاور ثلاثة سنخوض في تبيانها وكما يأتي:

٧. ١. علاقة الإنسان بخالقه تعالى:

لعلنا لا نبالغ إذا قلنا بأن الإنسان إذا اهتم بعلاقته مع خالقه سبحانه وتعالى سيصبح قادراً على أن يُصلح باقي علاقاته على المستويين الفردي والاجتماعي؛ إذ إن الإنسان يطمئن بهذه العلاقة لأنه سيصبح معتمداً على القدرة التي تفوق بقدرتها على كل شيء، فينتابه شعور خاص، إذ إن الدين سيصبح (هو المجال الطبيعي الملائم لاهتمامات الإنسان وتطلعاته وطموحه المتناهي والمتسامي، ولا شيء في هذا الكون يستطيع أن يحل محل الدين في حياة الإنسان في إرضاء طموحه واهتماماته وضميره، ولا شيء يستطيع أن يحقق شخصية الإنسان

وكماله الإنساني الخاص به وقيمته الحقيقية في هذا الكون كالدين والإيمان بالله سبحانه وتعالي)[١٤]؛ ومن أهم ما تشمله هذه العلاقة من محاور وموضوعات ما يأتي:

٧. ١. ١. الإيمان بالله سبحانه:

إن الكلام عن الإيمان كثير في نهج البلاغة، ولطالما تحدث الإمام علي (عليه السلام) عن هذا العنصر المهم الذي كان له الدور الأساس في صحة الإنسان الروحية والنفسية وخلق الحياة الطيبة للإنسان في هذه الدنيا فضلاً عن أثرها في الآخرة، ونشير في هذا المختصر إلى بعض ما ورد في نهج البلاغة عن الإيمان.

➢ **ماهية الإيمان:** قال أمير المؤمنين الإمام عليّ (عليه السلام): «وَسُئِلَ عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ الْإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ»[١٥].

➢ **علامات الإيمان:** قال الإمام عليّ (عليه السلام) في تلك العلامات ما نصه: «الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْثِرَ الصِّدْقَ حَيْثُ يَضُرُّكَ عَلَى الْكَذِبِ حَيْثُ يَنْفَعُكَ وَ أَلاَّ يَكُونَ فِي حَدِيثِكَ فَضْلٌ عَنْ عَمَلِكَ وَ أَنْ تَتَّقِيَ اللَّهَ فِي حَدِيثِ غَيْرِكَ»[١٦].

➢ **فلسفة الإيمان:** وعن بيانه لفلسفة الإيمان قال (عليه السلام): «فَرَضَ اللهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيراً مِنَ الشِّرْكِ»[١٧].

➢ **دعائم الإيمان:** أمّا عن أهم دعائم الإيمان فقد حددها (عليه السلام) بأربع دعائم، فقال «وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ الْإِيمَانُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمَ: عَلَى الصَّبْرِ وَالْيَقِينِ وَالْعَدْلِ وَالْجِهَادِ»[١٨].

➢ **عزيمة الإيمان:** قال أمير

المؤمنين (عليه السلام) عن عزيمة الإيمان فوصفها بقوله: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً مُمْتَحَناً إِخْلَاصُهَا مُعْتَقَداً مُصَاصُهَا نَتَمَسَّكُ بِهَا أَبَداً مَا أَبْقَانَا وَنَدَّخِرُهَا لِأَهَاوِيلِ مَا يَلْقَانَا فَإِنَّهَا عَزِيمَةُ الْإِيمَانِ وَفَاتِحَةُ الْإِحْسَانِ وَمَرْضَاةُ الرَّحْمَنِ وَمَدْحَرَةُ الشَّيْطَانِ»[19].

➢ **آفات الإيمان**: أمَّا عن الآفات المحيطة للإيمان فقد صرح أمير المؤمنين (عليه السلام) بها بقوله: «وَاعْلَمُوا أَنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ الْهَوَى مَنْسَاةٌ لِلْإِيمَانِ وَمَحْضَرَةٌ لِلشَّيْطَانِ جَانِبُوا الْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ»[20]؛ كما قال في موضع آخر من هذه الخطبة المباركة: «وَلَا تَحَاسَدُوا فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ»[21].

إن كلَّ ما ذكرناه هنا ما هو إلّا نماذج واستشهادات يسيرة من الأحاديث والحكم الكثيرة التي وردت في نهج البلاغة عن الإيمان، وهذا إن دلَّ على شيء فإنه ليدل على أهمية الإيمان ومحوريته في حياة الإنسان، فبه يبتعد الإنسان عن عالم الظلم والجهل، ويدخل نور المعرفة إلى قلبه ليشعر بالطمأنينة والسكينة النفسية، ويتجلى هذا النور في أعماله الصالحة التي يقوم بها في حياته، ولعل العلة في اقتران مفردة الإيمان بالله تعالى بالعمل الصالح في معظم ورودهما في آيات القرآن الكريم إنما نابع من أهمية الإيمان بالله ومحوريته؛ إذ إن الإيمان بالله والعمل الصالح ما هما إلّا وجهان لعملة واحدة لا يمكن التفريق بينهما؛ فضلا عن أن هذا الإيمان بالله سبحانه وتعالى المقترن بالعمل الصالح سيؤثر من

دون شك على سلوك الفرد في المجتمع، ويصبح من أساسيات مؤشرات الصحة الروحية وعلاقتها بالحياة الطيبة.

٧. ١. ٢. عبادة الله سبحانه والعمل بأحكام الشريعة

إن العبادة ما هي إلّا تعبير عن الخضوع للشيء بما أنّه إله... إنّ الإمعان في ذلك المجال يدفعنا إلى القول بأنّ العبادة عندهم عبارة عن الفعل الدالّ على الخضوع المقترن مع عقيدة خاصّة في حقّ المخضوع له، فالعنصر المقوّم للعبادة حينئذٍ أمران:

١. الفعل المنبي عن الخضوع والتذلّل.

٢. العقيدة الخاصّة التي تدفعه إلى عبادة المخضوع له.

أمّا الفعل، فلا يتجاوز عن قول أو عمل دالّ على الخضوع والتذلّل بأيّ مرتبة من مراتبها، كالتكلّم بكلام يؤدّي إلى الخضوع له أو بعمل خارجي كالركوع والسجود بل الانحناء بالرأس، أو غير ذلك مما يدلّ على ذلّته وخضوعه أمام موجود[٢٢]. ويكفينا في بيان أهمية العبادة في الإسلام ومنزلتها العالية أن نشير إلى هذه الآية المباركة؛ إذ قال الله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٢٣]؛ إذ ذكر سبحانه هدف الخلق وعلة وجوده إنما كان لغرض العبادة.

ولذلك تُعَدُّ العبادة من أهم المؤشرات للصحة الروحية والنفسية التي تؤدي إلى الحياة الطيبة، ومن الموضوعات المهمة التي ورد ذكرها في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة، إذ حفل كلامه (عليه

السلام) في نهج البلاغة بالحديث عن عبادة الله وطاعته وتقواه وإقامة الفرائض وأحكام الشريعة، فضلا عن أنه (عليه السلام) كان الأنموذج الأسمى والأمثل في العبادة؛ إذ إن عبادته (عليه السلام) كانت أعلى وأسمى ما يتقرب الإنسان به إلى الخالق، وقد وصف تلك العبادة وصفاً دقيقاً رائعاً بشكل لا مثيل له من بين عبادات الخلق في هذا الكون، فقال مخاطبا الله عز وجل: «مَا عَبَدْتُكَ خَوْفاً مِنْ نَارِكَ وَلاَ طَمَعاً فِي جَنَّتِكَ لَكِنْ وَجَدْتُكَ أَهْلاً لِلْعِبَادَةِ فَعَبَدْتُكَ»[٢٤].

وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) يذكر أحيانا فوائد العبادة أو فلسفتها؛ ليعرف الناس حقيقة العبادة وليقبلوا عليها بكل رضا وقناعة، فيقول: «وَعَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَوَاتِ وَمُجَاهَدَةِ الصِّيَامِ فِي الْأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ تَسْكِيناً لِأَطْرَافِهِمْ وَتَخْشِيعاً لِأَبْصَارِهِمْ وَتَذْلِيلاً لِنُفُوسِهِمْ وَ تَخْفِيضاً لِقُلُوبِهِمْ وَإِذْهَاباً لِلْخُيَلاَءِ عَنْهُمْ وَلَمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَعْفِيرِ عِتَاقِ الْوُجُوهِ بِالتُّرَابِ تَوَاضُعاً وَالْتِصَاقِ كَرَائِمِ الْجَوَارِحِ بِالْأَرْضِ تَصَاغُراً وَلُحُوقِ الْبُطُونِ بِالْمُتُونِ مِنَ الصِّيَامِ تَذَلُّلاً مَعَ مَا فِي الزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الْأَرْضِ وغَيْرِ ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ وَالْفَقْرِ»[٢٥].

وأمّا تقوى الله سبحانه وتعالى فقد ذكره الإمام (عليه السلام) في مواضع كثيرة من خطبه وحكمه ورسائله، وكانت وصيته الأولى لنفسه وللآخرين (تقوى الله)، وخير مثال على ما ورد عن التقوى في نهج البلاغة خطبة الإمام (عليه السلام)

الشهيرة لهمام في وصف المتقين؛ إذ قال في تلك الخطبة ما نصه: «عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا...»[٢٦].

٧. ١. ٣. الاقتداء بسنة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام):

لا أحد يشك في دور القدوة الحسنة في حياة الإنسان وأثرها البين في تربيته، واتساقاً مع هذا فإن القرآن الكريم الذي يمثل معالم الدين الكامل الذي اهتم بقضايا مختلفة تتعلق بوجود الإنسان، لم ينس الاهتمام بالجانب الاجتماعي له، وبهذا البعد من وجود الإنسان لحضوره في المجتمع، لذلك فقد بين الأصول والقوانين الاجتماعية التي تساعد الإنسان في العمل بها ليحظى بالنجاح الباهر في علاقاته مع الآخرين، فضلا عن أنه يُعرّف للناس القدوة الحسنة لينتهجوا منهجه ويسلكوا سبيله، وإن أردنا عدم مجانبة الصواب والوصول الى الحقيقة فمن يصلح أن يكون القدوة الحسنة لهذه البشرية أفضل من سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ الذي قال عنه الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾[٢٧]، حفيد إبراهيم النبي

(عليه السلام) القدوة التي قال عنها تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾(٢٨).

ولم يقتصر الأمر على إبراهيم (عليه السلام) وذريته من بعده وصولاً إلى الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإنما انتقل الأمر الى أهل بيته (عليهم السلام) القدوة للبشرية؛ لأنهم مطهرون بعيدون عن الرجس كما وصفهم الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(٢٩)، فهم أهلٌ لأن يكونوا قدوة الناس لأنهم سبقوا الناس كلهم في الفضائل الأخلاقية العليا للبشرية أجمع والعمل بالشريعة الإسلامية.

وليس مهمًّا أن يكون القدوة حاضرًا أو غائبًا أو حيًّا أو ميتًا؛ لأن الأصل في اتخاذ القدوة هو الأصول الأخلاقية والتربوية التي لا تبلى بمرور الزمن عليها.

ويجد المتأمل في نهج البلاغة تأكيد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) منهج التربية بالاستعانة بالقدوات الدينية كما هو واضح في الخطبة (١٦٠ من نهج البلاغة)، إذ يذكر (عليه السلام) بعض الأنبياء (عليهم السلام) وكيفية تعاملهم وتصرفاتهم في مجتمعاتهم، مثل النبي موسى، والنبي داود، والنبي عيسى، والنبي محمد (صلوات الله وسلامه عليهم وعلى نبينا الكريم)، إذ قال (عليه السلام): «وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله كَافٍ

لَكَ فِي الْأُسْوَةِ وَدَلِيلٌ لَكَ عَلَى ذَمِّ الدُّنْيَا وَعَيْبِهَا وَكَثْرَةِ مَخَازِيهَا وَمَسَاوِيهَا إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا وَوُطِّئَتْ لِغَيْرِهِ أَكْنَافُهَا وفُطِمَ عَنْ رَضَاعِهَا وَزُوِيَ عَنْ زَخَارِفِهَا.. فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ صلى الله عليه وآله فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى وَعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى»[٣٠]، وهذا إن دلَّ على شيء فهو يدلُّ على علم الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بدور القدوة في حياة الإنسان وتربيته.

٧. ٢. علاقة الإنسان بنفسه:

إن أهمية هذا المحور تكمن في أن الإنسان إذا أراد أن يبدأ بإصلاح المجتمع يتوجب عليه أن يبدأ بنفسه، لذا فإن عليه أن يكون ذا سلوك حسن مع الآخرين من أبناء مجتمعه، وعليه تبعاً لذلك أن يبدأ بتغيير نفسه وإصلاحها، إذ إن التغيير يجب أن يبدأ بالإنسان نفسه لكي يكرمه الله بمساعدته على تغيير ذاته، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[٣١].

والصالح من الناس في الحقيقة من صلحت سريرته وغريزته، أما المفسد منهم فهو من خبثت نفسه وفسدت أعماله، ولذلك فإن سلوك الإنسان الاجتماعي هو صورة للإنسان وجزء من سيرته الذاتية وواقعه العملي في هذه الحياة.

وقد أوضح الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم اهتمام الديانات السماوية بتربية الإنسان، بدءاً بذات الإنسان في سعي منه سبحانه وتعالى إلى السمو بتلك التربية، وتلطيف مشاعرها وعلو مقاصدها، على اعتبار أن الله سبحانه وتعالى شرّف الإنسان فجعله أشرف مخلوقاته،

فكان إصلاحه تعالى للإنسان من عدة وجوه أهمها ما يأتي:

• خلقه للإنسان وجعله صالحاً وقد أوضح تعالى هذه المزية بقوله تعالى: ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾(٣٢).

• إزالة ما في وجود الإنسان من فساد بدليل قوله تعالى: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾(٣٣).

• إصلاح الطبيعة للإنسان بما يلائم حياته ويوفر له أسباب السعادة كما أوضحه تعالى بقوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾(٣٤).

وإطلاقا ممَّا شرف به الله سبحانه وتعالى بني البشر، استلهم الإمام أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) تلك المفاهيم ووظفها تحت ما يندرج من محور علاقة الإنسان بنفسه في نهج البلاغة، وللباحث المتأمل في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) أن يركز على النقاط الآتية في تنمية وتطوير علاقة الإنسان بنفسه:

٧. ٢. ١. الاهتمام بالتربية النفسية

لا يخامرنا شك في أن منشأ الفساد في أي مجتمع إنما يبدأ من النفس الإنسانية الأمارة بالسوء، ومبعث ذلك الهوى الكامن في داخل الإنسان واتباع الشيطان الذي يوسوس له ومن ثم يظهر في سلوك الإنسان وتنتقل عدواه إلى المجتمع، والعلاج الناجع للقضاء على هذه الظاهرة السيئة يتمثل بالالتزام بتعاليم الدين الإسلامي، إذ إن هذا الدين وما جاء بدستوره الناطق به (القرآن الكريم)، لذلك فإن الذين اتبعوا هذا الدين هم الأقدر من غيرهم على معالجة

تلك البلوى ومكافحة تلك العدوى؛ لأن أول معالم هذا الدين تتمثل بالسعي لتربية الإنسان وترويض نفسه وصولا به إلى الغاية المثلى التي خلق الله تعالى من أجلها الإنسان والمتمثلة بالعبادة وطاعة الرحمن.

وأخذ أمير المؤمنين (عليه السلام) هذه الحقيقة ووظفها في مواضع مختلفة من نهج البلاغة مشيراً إلى هذه الأهمية مستعيذاً بالله من اتباع الهوى سائلاً الله تعالى أن يرحم من يترك اتباع الهوى، فيقول (عليه السلام) في ذلك: «فَرَحِمَ اللهُ امْرَأً نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ فَإِنَّ هَذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزِعاً وَإِنَّهَا لاَ تَزَالُ تَنْزِعُ إِلَى مَعْصِيَةٍ فِي هَوًى»[٣٥]، وفي مكان آخر يشير (عليه السلام) إلى ضعف الإنسان في مواجهة النفس الطاغية موضحًا على أنه يخاف على الإنسان من أمرين مهمين هما: اتباع الهوى وطول الأمل؛ فيحذر الإنسان من هذين الخطرين بقوله: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَتَانِ اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْرُزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَداً»[٣٦]، وفي بيان معالجة هذين الخطرين والوقوف أمامهما وعلاجهما، دعا (عليه السلام) الإنسان الى أن يعود إلى نفسه دائما ويحاسبها؛ لأن محاسبة النفس من الأصول المهمة في الإصلاح والتغيير الذي سيحصل إثر هذه المراقبة والمحاسبة سيقود الإنسان إلى صلاحه والعودة إلى رشده، ويهيئه للحياة الأفضل والنفس السليمة، وفي ذلك يقول (عليه السلام): «زِنُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوزَنُوا وَ حَاسِبُوهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا»[٣٧].

٧. ٢. ٢. الزهد

إن الزهد دعوة الى أن ينظر الإنسان إلى الدنيا وما فيها بعين الاحتقار والزوال، وأن يقصر آماله فيها ويطمئن بأنها ستزول مهما امتد بها الزمن، وأنه سيفنى ما فيها ويبقى وجه الله فقط، وقد أشار الإمام السجاد (عليه السلام) إلى هذه الحقيقة وضمنها في دعائه سائلا الله أن يُزهِّد الدنيا في عينه ويُرغبه في الآخرة فيقول: «وَارْزُقْنِي الرَّغْبَةَ فِي الْعَمَلِ لَكَ لِآخِرَتِي حَتّى أَعْرِفَ صِدْقَ ذَلِكَ مِنْ قَلْبِي، وَحَتّى يَكُونَ الْغَالِبُ عَلَيَّ الزّهْدَ فِي دُنْيَايَ، وَحَتّى أَعْمَلَ الْحَسَنَاتِ شَوْقاً، وَآمَنَ مِنَ السّيِّئَاتِ فَرَقاً وَخَوْفاً»[٣٨]، ولم يقتصر الأمر على الإمام السجاد (عليه السلام) بل كان الزهد في الدنيا ثقافة نبوية، ورثها أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وكان في مقدمتهم الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، وتتبدى لنا مظاهر تجلي الزهد عند أمير المؤمنين (عليه السلام) من خلال كلامه في نهج البلاغة في مواضع عدة، بعث فيها رسائل مهمة إلى الإنسان، ومن أهم تلك الرسائل ما يأتي:

• **الحث على التقوى**: لا نبالغ إذا ادعينا أنها من أكثر الدعوات الى الزهد في نهج البلاغة؛ فكثيراً ما وردت عبارة (اتقوا الله) في كلام الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وخطبه.

• **تحقير الدنيا**: أن ينظر الإنسان إلى هذه الدنيا بعين الاحتقار، إلّا أن ذلك لا يعني أن الإمام (عليه السلام) نظر إلى الدنيا نظرة تشاؤم، ولعل أبرز ما قاله (عليه السلام)

في تحقير شأن الدنيا عنده قوله: «لَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ!»[٣٩].

• **دعوة الناس إلى تحليل طباع النفوس**: فهو يدعو الناس إلى أن يَزِنوا أنفسهم ويحاسبوها قبل أن يزنها الله بميزانه الأوفى فيحاسبهم، وفي ذلك يقول (عليه السلام): «عِبَادَ اللهِ زِنُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوزَنُوا وَحَاسِبُوهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا»[٤٠].

٧. ٢. ٣. القناعة وترك الطمع:

إن القناعة من الخصال الحسنة عند الإنسان، ومفهومها العام يتمثل في أن يكتفي الإنسان بما رزقه الله سبحانه وتعالى من الدنيا، ويجتنب الحرص والطمع في اكتساب الكثير من المال والقدرة، وإن استطاع الإنسان أن يكون قنوعاً في حياته سيشعر حتماً بالغنى وإن كان فقيرا، وهذا الشعور يختلف عن التكاسل أو عدم الرغبة في المزيد، أما الطمع والحرص فهما من دون شك من الخصال السيئة التي ذمها الإسلام ودعا الإنسان إلى تركها، فالإنسان الطماع هو الذي يتذلَّل دائمًا ويشعر أنه فقير إلى ما في أيدي الناس، ويجعله ذلك الطمع في أن يكون عبدًا للعبيد، ولطالما تحدث الإمام (عليه السلام) عن مثل هذه المواضيع وأشار إليها في كلامه ودعا الناس إلى القناعة وترك الطمع؛ ومن ذلك قوله (عليه السلام) في الأمور الآتية:

• بين (عليه السلام) أن هلاك العقل في الطمع فقال: «أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ الْمَطَامِعِ»[٤١]، كما قال (عليه السلام) في ذلك: «فَإِنْ سَنَحَ لَهُ الرَّجَاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَعُ وَإِنْ هَاجَ بِهِ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الْحِرْصُ»[٤٢].

• أوضح (عليه السلام) على أن الطمع إهانة وازدراء للنفس فقال: «أَزْرَى بِنَفْسِهِ مَنِ اسْتَشْعَرَ الطَّمَعَ»(٤٣)، كما أشار (عليه السلام) في موضع آخر على أن الطمع يرق الإنسان ويجعله عبدًا له: «الطَّمَعُ رِقٌّ مُؤَبَّدٌ»(٤٤).

• وأشار الإمام (عليه السلام) الى أن القناعة هي الحياة الطيبة: «سُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ فَقَالَ هِيَ الْقَنَاعَةُ»(٤٥).

٧. ٢. ٤. ذكر الموت:

لعلنا لا نبالغ إذا قلنا أن مفتاح حياة الإنسان السعيدة تتمثل بالتربية الدينية، ومفتاح التربية الدينية يتجلّى من دون شكٍ بذكر الموت، وهي دعوة للمسلم في كل مراحل حياته لأن يعتقد بأن الموت يرصده دومًا، ويمكن أن يأخذه في كل لحظة، واتساقا مع هذه الحقيقة فإن الإنسان إن اعتقد بالموت اعتقاداً راسخاً، فإنه سيهتم بكل لحظة من لحظات حياته ولا يقضيها في التوافه من الأمور، بل سيسعى جاداً الى أداء الحقوق التي تقع على عاتقه مادية كانت أم معنوية، وفي هذا الباب يوصي الإمام علي (عليه السلام) في كثير من المواضع في خطبه وحكمه إلى ذكر الموت واصفاً حالة الموتى؛ وسنستعرض بعضًا منها وكما يأتي:

➢ قال (عليه السلام): «وَأُوصِيكُمْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَإِقْلَالِ الْغَفْلَةِ عَنْهُ وَكَيْفَ غَفْلَتُكُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفِلُكُمْ وَطَمَعُكُمْ فِيمَنْ لَيْسَ يُمْهِلُكُمْ! فَكَفَى وَاعِظاً بِمَوْتَى عَايَنْتُمُوهُمْ حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ وَأُنْزِلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا

عُمَّاراً وَكَأَنَّ الْآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَاراً أَوْحَشُوا مَا كَانُوا يُوطِنُونَ وَوطَنُوا مَا كَانُوا يُوحِشُونَ وَاشْتَغَلُوا بِمَا فَارَقُوا وَأَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ انْتَقَلُوا»(٤٦).

➢ ويطلب (عليه السلام) من الناس أن يستعدوا للموت؛ لأنه كالظل القريب من الإنسان يغشاه ويظلله من حيث لا يدري فيقول: «وَاسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظَلَّكُمْ»(٤٧).

➢ ويصف (عليه السلام) الموت في بعض كلامه ويشبهه بصياد يطلب الأحياء، فيقول: «أَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذِي لاَ يَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ وَلاَ يَفُوتُهُ طَالِبُهُ وَلاَ بُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرِ أَنْ يُدْرِكَكَ وَأَنْتَ عَلَى حَالِ سَيِّئَةٍ»(٤٨).

➢ وفي مكان آخر يدعو (عليه السلام) الناس الى الاستعداد إلى الموت؛ إذ إن الموت يجعل الإنسان قانعًا، داعيًا الإنسان إلى أن يرضى بالقليل من الدنيا ويزهد فيها فيقول: «وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ»(٤٩).

٧. ٣. علاقة الإنسان بالآخرين في المجتمع

هناك مجموعة من المجالات والميادين التي يعيش فيها الإنسان، ولابد له من أن يحصل على التوافق في هذه المجالات والميادين التي تدخل في دائرة علاقته بالآخرين مثل المهنة والأسرة والاقتصاد والتعليم، ولكن كل هذه الأمور وغيرها تتصل بمظهر التوافق العام الذي يرتبط بمدى تمسك الفرد بالعقيدة والقيم وقدرته على التعامل السوي مع الآخرين وإقامة الصلات الطيبة معهم.

في هذا القسم من البحث سنشير

إلى ما وضعه الإمام أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) من أصولٍ في نهج البلاغة لمحور علاقة الإنسان بالآخرين في المجتمع.

وعندما نتأمل في تلك الأصول سنلاحظ أنها تدل من دون شكٍّ على اهتمام الإمام (عليه السلام) بوجوب أن يكون العمل في الأوساط الاجتماعية وكل مجالاتها قائما على أساس احترام الإنسان وإكرامه كما أراد الله تعالى الذي أوضح تلك الحقيقة بقوله: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا»[٥٠]، ومن ثم الدعوة إلى احترام حقوقه ومساعدته للنهوض بواجباته على أساس القانون الذي يحمي الجميع ويحاسبهم بمعيار واحد.

ويؤكد الإسلام دوماً على احترام حقوق الإنسان كونه خليفة الله في أرضه، الذي سخّر له السموات والأرض وأن تكون خدمة الناس ورفعة الإنسان ورفاهه ومحور التشريعات والخدمات في المجتمع ورعاية حقوقه المتفق عليها، ضمان حرية الرأي وحق النقد المسؤول دون استثناء لشخص أو جهة.

ومن أهم تلك الأصول ما يأتي:

٧. ٣. ١. محبة الآخرين:

بقدر ما تتسع دائرة المحبة للآخرين عند الإنسان فسيصبح شعوره بالرضا أعمق وأكثر، وهذه المحبة والمودة تجعل أواصر الحب بين الناس أقوى وأشد، ولأهمية هذا الموضوع عدَّ الإمام (عليه السلام) المحبة والمودة للآخرين نصف العقل؛ لأن فيها راحة للنفس؛ وفي

ذلك يقول (عليه السلام): «التَّوَدُّدُ نِصْفُ الْعَقْلِ»[٥١].

٧. ٣. ٢. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

من الأصول العملية في الإسلام أصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي ذلك يقول تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٥٢]، وقد أشار الأستاذ الشهيد مطهري في بيان هذه الآية فقال: (نجد في الآية أن بعض الأمور قد ذكرت لعلة ومعلول وسبب ومسبب يتعلق بعض ببعض. من شروط الإيمان الحقيقي والواقعي لا الإيمان التقليدي التلقيني أن يكون هناك رباط من الود يربط الإنسان بمصير أخيه. ومن شروط هذا الود وهذه المحبة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن شروط الأمر بالمعروف والنهي عن النكر قيام العباد بوظائف العبادة والخضوع لله وهي الصلاة، وقيامهم بوظيفة مد يد العون والمساعدة إلى الفقراء وهي الزكاة، وأخيرا من شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إطاعة الله ورسوله بإحياء جميع القوانين الدينية، ومن نتائج هذه كلها أنهم تصيبهم رحمة لا متناهية من لدن الله القادر الغالب الذي تتصف كل أعماله بالحكمة)[٥٣].

وفي ظل هذين الأصلين (الأمر بالمعروف - النهي عن المنكر) يتحقق الهدف الأساس من رسالات الأنبياء

وجهود الأئمة والأولياء ألا وهو إصلاح المجتمع ومنع الفساد فيه.

وقد أشار الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى قيمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال: «مَا أَعْمَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ عِنْدَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ إِلاَّ كَنَفْثَةٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ»(٥٤)، كما قال (عليه السلام) محرضًا عليهما محذرًا الناس عن تركهما؛ لأن تركهما يؤدي إلى حكم الأشرار عليهم، فقال: «لا تَتْرُكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيُوَلَّى عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلاَ يُسْتَجَابُ لَكُمْ»(٥٥).

ولعل هذين الأصلين يعدان من مصاديق محبة الآخرين؛ إذ يحملان الإنسان المسؤولية أمام الآخرين ومصيرهم، وألا يكون الإنسان اللامبالي أمام من يعيش معهم في مجتمع واحد.

٧. ٣. ٣. التوجه إلى المحرومين:

إن مشكلة الفقر والعوز لا تقل خطورة عن بقية المشاكل التي تهدد كيان المجتمع، ولذلك تصدى الإسلام لها فأولاها اهتمامًا خاصًّا، فوضع لها حلولًا دقيقة ورسم لها الخطوط العريضة ليخفف الضغط عن الطبقات الضعيفة بأن يجعل لهم حقًّا في أموال الأغنياء، فمن منظور القرآن الكريم المال كله هبة من الله تعالى بدليل قوله تعالى: ﴿وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾(٥٦).

وفي الحقيقة فإن الإنسان المسلم إن أحسَّ بأنه مسؤول عن الملكية والثروة والمال وسائر النعم التي أنعم الله بها عليه فإنه يسعى من دون شكٍّ في استخدامٍ أفضل لهذه النعم؛ لأنه عارف من دون شكٍّ بأنها كلها

ضرب من الامتحان الإلهي لمدى تحمل الإنسان، وفي ذلك يقول تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٥٧].

ولم يغفل الإمام علي (عليه السلام) عن هذا الأمر المهم في مدة حكمه للمسلمين أو المدة التي سبقتها، وكان يشير إلى العوامل التي تنتج الفقر؛ والتي تتمثل بالآتي:

✓ **البخل**: وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) فيه: «عَجِبْتُ لِلْبَخِيلِ يَسْتَعْجِلُ الْفَقْرَ الَّذِي مِنْهُ هَرَبَ وَيَفُوتُهُ الْغِنَى الَّذِي إِيَّاهُ طَلَبَ فَيَعِيشُ فِي الدُّنْيَا عَيْشَ الْفُقَرَاءِ وَيُحَاسَبُ فِي الْآخِرَةِ حِسَابَ الْأَغْنِيَاءِ»[٥٨].

✓ **الحرص والطمع في الدنيا**: وقال (عليه السلام) عن ذلك ما نصه: «يَا ابْنَ آدَمَ مَا كَسَبْتَ فَوْقَ قُوتِكَ فَأَنْتَ فِيهِ خَازِنٌ لِغَيْرِكَ»[٥٩].

✓ **عدم الاهتمام بأداء حق الفقراء**: إذ قال (عليه السلام) في هذا الأمر: «إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلاَّ بِمَا مُتِّعَ بِهِ غَنِيٌّ وَاللهُ تَعَالَى سَائِلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ»[٦٠].

✓ **الإسراف والتبذير**: نهى (عليه السلام) عن الإسراف والتبذير، فإنما المال مال الله! ألا وإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف، وفي ذلك قال (عليه السلام): «مَا عَالَ مَنِ اقْتَصَدَ»[٦١].

ولقد كانت للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) برامج عدة ومشاريع مختلفة في إزالة الفقر عن المجتمع والاهتمام بالمحرومين والمساكين

والفقراء، وكانت تلك الأمور تظهر من خلال كلامه إلى الأمراء والحكام الذين ولّاهم الأمصار الإسلامية في أيام خلافته، فضلا عن عمله في المجتمع وإجرائه تلك المشاريع، وندرج هنا بعض النماذج على النحو الآتي:

➢ **دعوة الإمام (عليه السلام) إلى الاهتمام بعمارة الأرض:** فهو يوصي مالك بن الأشتر حينما وجهه لولاية مصر الالتفات إلى هذا الأمر المهم أكثر من إثقال كاهل الناس بالضرائب، فيقول (عليه السلام): «وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ لِأَنَّ ذَلِكَ لاَ يُدْرَكُ إِلاَّ بِالْعِمَارَةِ وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلاَدَ وَ أَهْلَكَ الْعِبَادَ وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلاَّ قَلِيلاً»(٦٢). ومن الواضح أن الإمام (عليه السلام) قد قرن القول بالفعل، فمن خلال النظر في سيرة الإمام (عليه السلام) نجد أنه كان يجهد نفسه في زراعة الأشجار وعمارة الأرض وحفر الآبار.

➢ **التخطيط الصحيح في الإدارة:** إذ إن المدير إذا كانت له كفاءة فسيستطيع من دون شكٍّ أن يخطط للمشاريع الاقتصادية ويستثمر رؤوس الأموال في البدء بالمشاريع والأعمال التي تنفع المجتمع، ولذلك حذر الإمام علي (عليه السلام) من أن يتولى الأمور السفهاء والفجار، فقال: «وَلَكِنَّنِي آسَى أَنْ يَلِيَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ سُفَهَاؤُهَا وَفُجَّارُهَا فَيَتَّخِذُوا مَالَ اللهِ دُوَلاً وَعِبَادَهُ خَوَلاً وَالصَّالِحِينَ حَرْباً وَالْفَاسِقِينَ حِزْباً»(٦٣).

ط **مراعاة الادخار وتجنب الإسراف والتبذير:** إن الاهتمام بهذه

المسألة المهمة المتمثلة في الادخار وتجنب الإسراف وتحمل المصاعب ما هي إلّا عنصر ثقافي يمكن ملاحظته في الدراسات الاجتماعية بعبارة (تأخير تلبية الاحتياجات الاجتماعية والإنسانية)، كما أن هناك في التراث الإسلامي آيات وروايات كثيرة تدين الإسراف لدرجة أن القرآن يعرّف المسرفين على أنهم إخوة الشيطان.

➢ **الاستثمار**: إن دور الاستثمار في التنمية الاقتصادية وخلق العمل والتوظيف لا يخفيه أي عاقل؛ لأن المجتمع الناجح بلا شك هو المجتمع الذي يوجه رأس المال والمرافق الأخرى في الاتجاه الصحيح ويستخدمها في نمو الإنتاج، وفي الواقع فإن التدفق الصحيح للممتلكات في المجتمع يقود الثروة من التدفقات المنحرفة إلى التدفق الرئيس ويتدفق لصالح المجتمع ولصالح الناس وإغاثة المحتاجين، وهو يجلب الثروة، والثروة هنا ستصبح كالدم لكامل الجسم الاجتماعي ويسد الثغرات الاقتصادية والاجتماعية في حياة الناس، لذلك قال الإمام علي (عليه السلام): «**لَيْسَ فِي الْمَالِ الصَّامِتِ نَفْلٌ**»(٦٤).

٧. ٣. ٤. حفظ الأمانة

إن من أهم الأمور التي اهتم بها التشريع الإسلامي (الأمانة)؛ إذ حمَّل التشريع الإسلامي الإنسان مسؤولية خطيرة عُدَّت من الصفات الجليلة عند الإنسان المسلم، وقد أمر الله تعالى عباده بتأدية الأمانات فقال جلَّ وعلا: ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**﴾(٦٥)،

وقد ركزَّ الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) على هذا الأمر مشيرا إلى أهمية أداء الأمانة فقال: «ثُمَّ أَدَاءَ الْأَمَانَةِ، فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا؛ إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى السَّمَاوَاتِ الْمَبْنِيَّةِ وَالْأَرَضِينَ الْمَدْحُوَّةِ وَالْجِبَالِ ذَاتِ الطُّولِ الْمَنْصُوبَةِ، فَلَا أَطْوَلَ وَلَا أَعْرَضَ وَلَا أَعْلَى وَلَا أَعْظَمَ مِنْهَا، وَلَوِ امْتَنَعَ شَيْءٌ بِطُولٍ أَوْ عَرْضٍ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِزٍّ لَامْتَنَعْنَ، وَلَكِنْ أَشْفَقْنَ مِنَ الْعُقُوبَةِ وَعَقَلْنَ مَا جَهِلَ مَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُنَّ، وَهُوَ الْإِنْسَانُ، ﴿إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾»[٦٦]، كما أشار (عليه السلام) إلى ضرورة حفظ الأمانة وعدم الاستهانة بها كبُرت أم صغُرت، فقال في ذلك:

«وَمَنِ اسْتَهَانَ بِالْأَمَانَةِ، وَرَتَعَ فِي الْخِيَانَةِ، وَلَمْ يُنَزِّهْ نَفْسَهُ وَدِينَهُ عَنْهَا، فَقَدْ أَحَلَّ (أخلّ) بِنَفْسِهِ الذُّلَّ وَالْخِزْيَ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَذَلُّ وَأَخْزَى»[٦٧].

٧. ٣. ٥. تجنب الظلم:

عدَّ التشريع الإسلامي (الظلم) من الصفات السيئة في الدين الإسلامي، وأوجب على الإنسان المسلم أن يتجنبه من أي شكل كان أو من أي نوع، ونلاحظ أن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يصف يوم القيامة من هنا بهذا الحديث فيقول: «يَوْمُ الْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الظَّالِمِ عَلَى الْمَظْلُومِ»[٦٨]، ويقول (عليه السلام) في أمر بيعته مشيرًا إلى غايته ومشروعه في التعامل مع الظالمين وإنصاف المظلومين في المجتمع: «لَمْ تَكُنْ بَيْعَتُكُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِداً إِنِّي أُرِيدُكُمْ لله وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لِأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ

وَايْمُ اللهِ لَأُنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ وَلَأَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ حَتَّى أُورِدَهُ مَنْهَلَ الْحَقِّ وَ إِنْ كَانَ كَارِهاً»[٦٩].

ويذكر الإمام (عليه السلام) أنواع الظلم قائلا: «أَلاَ وَإِنَّ الظُّلْمَ ثَلاَثَةٌ فَظُلْمٌ لاَ يُغْفَرُ وَظُلْمٌ لاَ يُتْرَكُ وَظُلْمٌ مَغْفُورٌ لاَ يُطْلَبُ فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لاَ يُغْفَرُ فَالشِّرْكُ بِاللهِ قَالَ اللهُ تَعَالَى إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لاَ يُتْرَكُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً»[٧٠].

٧. ٣. ٦. ترك الحسد

الحسد داء عيي وعيب فاحش، وعلى المسلم أن يجتنبه في علاقاته مع الآخرين؛ لأن من ابتلي بهذا المرض فمن الصعب التخلص منه، ولا يشفى غليل الحسود إلّا بإضرار من يحسده، ولهذا نهى الإمام علي (عليه السلام) عن الحسد مشيرًا إلى ضرره على الإيمان: «لا تَحَاسَدُوا فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ»[٧١]، وبين (عليه السلام) ضرر الحسد على الجسم والسلامة الجسدية؛ إذ قال (عليه السلام): «الْعَجَبُ لِغَفْلَةِ الْحُسَّادِ عَنْ سَلاَمَةِ الْأَجْسَادِ!»[٧٢]؛ ويعد الإمام الحسد من العوامل التي تجعل الإنسان يركض وراء الدنيا ويطلبه بحرص وطمع: «وَإِنَّمَا طَلَبُوا هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَداً لِمَنْ أَفَاءَهَا اللهُ عَلَيْهِ»[٧٣].

وإذا انتهى الحسد كآفة من آفات المجتمع فإن كل الناس سيعيشون في راحة وأمان وصدق وطمأنينة.

٧. ٣. ٧. الشكر على محبة الآخرين

إن على الإنسان أن يشكر الله

تعالى ويحمده على ما أنعم عليه ويُعدّ شكر الله القناة الموصلة للنعم الإلهية، فعليه أيضا أن يشكر الناس بما يمنون عليه ويُعدّ شكر الناس نوعا من شكر الله تعالى إذ قيل: من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق.

وفي الحقيقة فإن هذه الصفة من صفات أصحاب النفوس السليمة وسمة أصحاب النفوس الرفيعة، إذ تجعل الشكر والتقدير لمعروف الآخرين وإحسانهم إليه نصب عينيه ويسعى إلى رد الجميل. ومن هذا المنطلق تزداد الثقة والاحترام والتعاون والمحبة بين الناس، وقد ركز الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) على هذه الحقيقة فقال: «مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعاً لَمْ يُحْرَمْ أَرْبَعاً مَنْ أُعْطِيَ الدُّعَاءَ لَمْ يُحْرَمِ الْإِجَابَةَ وَمَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ لَمْ يُحْرَمِ الْقَبُولَ وَمَنْ أُعْطِيَ الِاسْتِغْفَارَ لَمْ يُحْرَمِ الْمَغْفِرَةَ وَمَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ الزِّيَادَةَ»[٧٤].

وقد أورد الإمام السجاد (عليه السلام) في الصحيفة السجادية المباركة حقيقة الشكر وأهميته فتعوذ بالله من ألا يشكر لمن عمل معروفًا في حقه، فقال: «اللهم إني أعوذ بك من.. تَرْكِ الشّكْرِ لِمَنِ اصْطَنَعَ الْعَارِفَةَ عِنْدَنَا»[٧٥].

٧. ٣. ٨. الإحسان إلى الآخرين مقابل سيئاتهم

إن جزاء الإحسان لا يكون إلّا الإحسان، ولكن على الإنسان السليم النفس أن يجازي سيئة الآخرين في المجتمع بالإحسان وأن يعفو عن خطايا الناس وسيئاتهم، وقد دعا الله تعالى إلى هذا الأمر فقال: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾[٧٦]،

وكان الإمام علي (عليه السلام) يمتاز بصفة العفو، ومن كلامه في هذا المضمار قوله (عليه السلام) قبل موته على سبيل الوصية لمّا ضربه ابن ملجم لعنه الله داعيًا إلى العفو عنه؛ إذ قال: «فَاعْفُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ»(٧٧)، وفي مكان آخر قال (عليه السلام): «عَاتِبْ أَخَاكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَارْدُدْ شَرَّهُ بِالْإِنْعَامِ عَلَيْهِ»(٧٨)، ولقد كان ذلك دأب كل الأئمة (عليهم السلام)، إذ نلاحظ أن الإمام السجاد (عليه السلام) مثلاً يطلب من الله سبحانه القدرة على الإحسان إلى الآخرين مقابل سيئاتهم فيقول: «سَدِّدْنِي لِأَنْ أُعَارِضَ مَنْ غَشَّنِي بِالنُّصْحِ، وَأَجْزِيَ مَنْ هَجَرَنِي بِالْبِرِّ، وَأُثِيبَ مَنْ حَرَمَنِي بِالْبَذْلِ، وأُكَافِيَ مَنْ قَطَعَنِي بِالصِّلَةِ، وَأُخَالِفَ مَنِ اغْتَابَنِي إِلَى حُسْنِ الذِّكْرِ، وَأَنْ أَشْكُرَ الْحَسَنَةَ، وَأُغْضِيَ عَنِ السَّيِّئَةِ»(٧٩).

٧. ٣. ٩. الدعاء للآخرين و نصحهم

من الصفات الجليلة للإنسان المسلم أن يكون ناصحًا لغيره مشفقًا عليه، ومن مظاهر هذه الشفقة والنصح أن يدعو له ويرجو الخير له وإذا تشاور معه لا يكون بخيلا في إرشاده ونصحه، ولا شك في أن هذه الصفة تجعل العلاقات بين الناس على أساس إكرام الشخصية والمحبة ويزداد الاطمئنان بينهم.

وقد تعلمنا من كلام الإمام أمير المؤمنين في (نهج البلاغة) دروسًا وعبر كثيرة في أهمية الدعاء وآدابه؛ نورد هنا بعضًا من النقاط المهمة ومنها:

- **أهمية الدعاء**: إذ قال (عليه

السلام) عن تلك الأهمية: «مَا كَانَ اللهُ لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ الشُّكْرِ وَ يُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الزِّيَادَةِ وَلاَ لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ الدُّعَاءِ وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الْإِجَابَةِ وَلاَ لِيَفْتَحَ لِعَبْدٍ بَابَ التَّوْبَةِ وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الْمَغْفِرَةِ»[٨٠].

• **دفع البلاء بالدعاء**: وتحدث الإمام (عليه السلام) عنه فقال: «وَادْفَعُوا أَمْوَاجَ الْبَلاَءِ بِالدُّعَاءِ»[٨١].

• **الإخلاص في الدعاء**: قال الإمام (عليه السلام) يوصي ابنه الإمام الحسن (عليه السلام): «وَأَخْلِصْ فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ فَإِنَّ بِيَدِهِ الْعَطَاءَ وَالْحِرْمَانَ»[٨٢].

• **عدم الخيبة في الدعاء**: قال عليه السلام: «فَلاَ يُقَنِّطَنَّكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِهِ فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ وَرُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ الْإِجَابَةُ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِ السَّائِلِ وَأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الْآمِلِ وَرُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلاَ تُؤْتَاهُ وَأُوتِيتَ خَيْراً مِنْهُ عَاجِلاً أَوْ آجِلاً أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلاَكُ دِينِكَ»[٨٣].

• **عدم الاكتفاء بالدعاء بدون العمل**: إذ لا يتحقق الدعاء بلا عمل وجهد، وفي ذلك يقول (عليه السلام): «الدَّاعِي بِلاَ عَمَلٍ كَالرَّامِي بِلاَ وَتَرٍ»[٨٤].

• **آداب الدعاء**: ويعلمنا (عليه السلام) آداب الدعاء والحديث مع الله تعالى فيقول: «إِذَا كَانَتْ لَكَ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ حَاجَةٌ فَابْدَأْ بِمَسْأَلَةِ الصَّلاَةِ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ سَلْ حَاجَتَكَ فَإِنَّ اللهَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حَاجَتَيْنِ فَيَقْضِيَ إِحْدَاهُمَا وَيَمْنَعَ الْأُخْرَى»[٨٥]، وأدعية الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى الله تعالى كثيرة جرت على لسانه ووصلت إلينا

متواترة تعلمنا كيفية الدعاء وآداب مخاطبة الخالق سبحانه وتعالى.

٨. الخاتمة والنتائج:

بعد أن أكملنا محاور هذا المقال ندرج في أدناه أهم النتائج التي تحصلنا عليها بعد البحث والتقصي والتأمل في نصوص كلام الإمام أمير المؤمنين في (نهج البلاغة) للبحث عن العلاقة بين الصحة الروحية والحياة الطيبة، وندرج بعضًا من تلك النتائج في النقاط الآتية:

• أن هناك صلة وثيقة وعلاقة محكمة بين بناء الشخصية الفردية والصحة النفسية، والإنسان بعيشه في هذه الحياة يستطيع في حدود العقيدة والقيم يحسن التوافق بين الصحة النفسية والحياة الطيبة.

• تظهر الصحة الروحية في علاقات الإنسان بالله تعالى وبنفسه وبالآخرين. وكل من هذه المحاور يتضمن مؤشرات عدة.

• تضافر كلام الإمام أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) على بيان علاقات الإنسان المختلفة والتي تؤدي إلى تحقق الغاية من حياته في الدنيا وهي سعادته الأخروية.

• إن المحاور الثلاثة التي تم ذكرها في هذا البحث تشمل المؤشرات الأخرى الكثيرة التي تستحق التأمل والدراسة العميقة.

الهوامش:

١. الأنفال ٨: ٢٤.

٢. اميدواري، ١٣٨٧. ش، ٥- ١٧.

٣. التهانوي، ١٩٩٦م، ١٠٦.

٤. ابن سينا، ١٣٨٩. ش، ٦٧.

٥. ديماتئو، ١٣٨٧. ش، ١٥.

٦. رستگاري، ١٣٨٥. ش، ٣٥.

٧. الصحيفة السجادية، ١١٢.

٨. النحل ١٦: ٩٧.

٩. الأنفال ٨: ٢٤.

١٠. ينظر: الطباطبائي، ١٣٨٨. ش، ١٢: ٤٩٣.

١١. منها ما ورد في نهج البلاغة: «وَمِن خَبَرِ ضِرَارِ بنِ حَمزَةَ الضبّائِي عِندَ دُخُولِهِ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَ مَسأَلَتِهِ لَهُ عَن أَمِيرِ المُؤمِنِينَ عليه السلام وَقَالَ فَأَشهَدُ لَقَد رَأَيتُهُ فِي بَعضِ مَوَاقِفِهِ وَقَد أَرخَى اللّيلُ سُدُولَهُ وَهُوَ قَائِمٌ فِي مِحرَابِهِ قَابِضٌ عَلَى لِحيَتِهِ يَتَمَلمَلُ تَمَلمُلَ السّلِيمِ وَيبكِي بُكَاءَ الحَزِينِ وَيَقُولُ: يَا دُنيَا يَا دُنيَا إِلَيكِ عَنّي أَ بِي تَعَرّضتِ أَم إِلَيَّ تَشَوّقتِ لَا حَانَ حِينُكِ يهَاتَ غرُّيَ غيرِي لَا حَاجَةَ لِي فِيكِ قَد طَلّقتُكِ ثَلاثاً لاَ رَجْعَةَ فِيهَا! فَعَيْشُكِ قَصِيرٌ وَ خَطَرُكِ يَسِيرٌ وَأَمَلُكِ حَقِيرٌ» (نهج البلاغة، الحكمة ٧٧).

١٢. نهج البلاغة، الحكمة ١٣١.

١٣. الشيخ الكليني، ١٣٦٧. ش، ٢: ١٣٨.

١٤. الآصفي، ٢٠٠٧م، ١٨٣.

١٥. نهج البلاغة، الحكمة ٢٢٧.

١٦. المصدر نفسه، الحكمة ٤٥٨.

١٧. المصدر السابق، الحكمة ١٥٢.

١٨. نهج البلاغة، الحكمة ٣١.

١٩. المصدر نفسه، الخطبة ٢.

٢٠. المصدر السابق، الخطبة ٨٦.

٢١. نهج البلاغة، الخطبة ٨٦.

٢٢. السبحاني، ١٤١٦هـ، ٢٢.

٢٣. الذاريات:٥١: ٥٦.

٢٤. المجلسي، ١٤٠٣هـ، ٦٧: ١٨٦.

٢٥. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

٢٦. المصدر نفسه، الخطبة ١٩٣.

٢٧. الأحزاب ٣٣: ٢١.

٢٨. المتحنة ٦٠: ٤.
٢٩. الأحزاب ٣٣: ٣٣.
٣٠. نهج البلاغة، الخطبة ١٦٠.
٣١. الرعد ١٣: ١.
٣٢. محمد ٤٧: ٢.
٣٣. الأحزاب ٣٣: ٧١.
٣٤. الأعراف ٧: ٥٦.
٣٥. نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦.
٣٦. المصدر نفسه، الخطبة ٢٨.
٣٧. المصدر السابق، الخطبة ٩٠.
٣٨. الدعاء الـ٤.
٣٩. نهج البلاغة، الخطبة ٣.
٤٠. المصدر نفسه، الخطبة ٩٠.
٤١. المصدر السابق، الحكمة ٢١٩.
٤٢. نهج البلاغة، الحكمة ١٠٨.
٤٣. المصدر نفسه، الحكمة ١.
٤٤. المصدر السابق، الحكمة ١٨٠.
٤٥. نهج البلاغة، الحكمة ٢٢٩.
٤٦. نهج البلاغة، الخطبة ١٨٨.
٤٧. المصدر نفسه، الخطبة ٦٤.
٤٨. المصدر السابق، الرسالة ٣١.
٤٩. نهج البلاغة، الحكمة ٣٤٩.
٥٠. الإسراء ١٧: ٧٠.
٥١. نهج البلاغة، الحكمة ١٤٢.
٥٢. التوبة ٩: ٧١.
٥٣. مطهري، د. ت، ٨١.
٥٤. نهج البلاغة، الحكمة ٣٧٤.
٥٥. المصدر نفسه، الرسالة ٤٧.
٥٦. النور ٢٤: ٣٣.
٥٧. الأنعام ٦: ١٦٥.
٥٨. نهج البلاغة، الحكمة ١٢٦.
٥٩. المصدر نفسه، الحكمة ١٩٢.
٦٠. المصدر السابق، الحكمة ٣٢٨.
٦١. نهج البلاغة، الحكمة ١٤٠.
٦٢. المصدر نفسه، الرسالة ٥٣.
٦٣. نهج البلاغة، الرسالة ٦٢.
٦٤. نوري، ١٩٨٨م، ١١: ١٢٦.
٦٥. النساء ٤: ٥٨.
٦٦. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٩.
٦٧. المصدر نفسه، الرسالة ٢٦.
٦٨. المصدر السابق، الحكمة ٢٤١.
٦٩. نهج البلاغة، الخطبة ١٣٦.

٧٠. المصدر نفسه، الخطبة ١٧٦.

٧١. المصدر السابق، الخطبة ٨٦.

٧٢. نهج البلاغة، الحكمة ٢٢٥.

٧٣. المصدر نفسه، الخطبة ١٦٩.

٧٤. المصدر السابق، الحكمة ١٣٥.

٧٥. الصحيفة السجادية، الدعاء الـ ٨.

٧٦. المؤمنون ٢٣: ٩٦.

٧٧. نهج البلاغة، الرسالة ٢٣.

٧٨. المصدر نفسه، الحكمة ١٥٨.

٧٩. الصحيفة السجادية، الدعاء الـ٢٠.

٨٠. نهج البلاغة، الحكمة ٤٣٥.

٨١. المصدر نفسه، الخطبة ١٤٦.

٨٢. المصدر السابق، الرسالة ٣١.

٨٣. نهج البلاغة، الرسالة ٣١.

٨٤. المصدر نفسه، الحكمة ٣٣٧.

٨٥. المصدر السابق، الحكمة ٣٦١.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما نبتدئ به القرآن الكريم .

• أمير المؤمنين، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، نهج البلاغة.

• الإمام السجاد، علي بن الحسين (عليه السلام)، الصحيفة السجادية.

• ابن سينا، الحسين بن عبد الله، (١٣٧٣هـ). عيون الحكمة، تهران: سروش.

• الآصفي، محمد مهدي، (٢٠٠٧م). دور الدين في حياة الإنسان، ط٢، قم: مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية.

• اميدواري، سپيده، (١٣٨٧. ش). سلامت معنوي مفاهيم وچالش ها، مجله پژوهش هاى ميان رشته اى قرآنى، تهران: اميركبير.

• التهانوي، محمد علي، (١٩٩٦م). كشاف اصطلاحات الفنون، لبنان: مكتبة ناشرون.

• ديماتئو، ام. رابين، (١٣٨٧. ش). روان شناسي سلامت، ترجمة: محمدكاوياني والآخرون، تهران: سمت.

• رستگار، عباسعلي، (١٣٨٩. ش). معنويت در سازمان با رويكرد روان شناختي، قم: انتشارات دانشگاه اديان و مذاهب.

• السبحاني، جعفر؛ (١٤١٦هـ). العبادة حدها ومفهومها، قم: مشعر.

• الطباطبائي، السيد محمد حسين، (١٣٨٨. ش). الميزان في تفسير الميزان، قم: دفتر انتشارات إسلامي.

• الشيخ الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت ٣٢٩هـ)، (١٣٦٧. ش) الكافي، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط ٣ طهران: دار الكتب الإسلامية.

• المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي (ت ١١١١ هـ)، (١٤٠٣هـ)، بحار الأنوار: الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

• مطهري، مرتضى. (د. ت). الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ترجمة إلى العربية: جعفر صادق الخليلي. طهران: بنياد بعثت.

• النوري، الميرزا حسين. ١٩٨٨م. مستدرك الوسائل. بيروت: آل البيت (عليهم السلام).

السلام على الإمام الحسين
وعلى علي بن الحسين
وعلى أولاد الحسين
١٤٤٠
وعلى أصحاب الحسين

ثنائية الحاكم والرعية قراءة في أقوال الإمام علي (عليه السلام) ومكيافيلي

The Duality of "Ruler - Parish" Study in Imam Ali (Pb) and Machiavelli Sayings

م. د. أحمد جاسم محمد النجفي

كلية التربية الأساسية/ جامعة الكوفة

Dr. Ahmed Jassem Muhammed Al-Najafi

College of Basic Education, Kufa University

ملخص البحث

يتناول الباحث في دراسته الشخصية الإدارية والقيادية لخليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في أقواله وحكمه ومكاتباته مع ولاته، ويقارن ذلك مع الفكر الإداري والقيادي المادي القائم على المصالح الشخصية وهو فكر السياسي الإيطالي مكيافيلي في كتابه الأمير، وعلى الرغم من الاختلافات بين العملين، فإنهما يلتقيان في نقاط مشتركة، تُتيحُ ترشيحهما بشكل لائق لمقارنة بين العملين، وكان الغرض الذي دعا الإمام عليًّا (عليه السلام) إلى كتابة جملة من رسائله إلى ولاته هو الغرض نفسه الذي دعا ميكيافيلي إلى كتابة كتابه الأمير، هو إيجاد دليل سياسي لأمير جديد، إلّا أن الهدف المرجو من تطبيق هذا الدليل ونجاحه يختلف باختلاف توجهات الإمام علي (عليه السلام) ومكيافيلي، فالأول أراد إقامة دولة إسلامية قوامها العدل والمساواة، والأمير فيها (خليفة الله)، يعمل بتعاليم الله ولا يستطيع أن يعارضها عملاً بهواه، في حين كان مكيافيلي نتاج نظام اجتماعي وسياسي أفضى به إلى الاقتناع بأن الدين هو العقبة التي تحول دون الازدهار السياسي، وأن السبيل الوحيد للخروج من هذه العقبة هو العودة الى السياسة الوثنية.

الكلمات المفتاحية: الحاكم، الرعية، الإمام علي (عليه السلام)، نهج البلاغة، ميكافيلي، كتاب الأمير.

Abstract

The researcher deals with administrative and leadership Personality of Imam Ali (pb) in his sayings, wisdom and covenants to walis, and compares it with material administrative leadership thought, which based on personal interests- It has suggested by Machiavelli in his book "The writting, which prince" - Imam Ali and Machiavelli have the same purpose finding a political reading but the aim is vary, since Imam Ali (Pb) wanted to establish Islamic statement based on justice and equality, while Machiavelli aims to return to pagan policy.

Keywords:

Ruler, Parish, Imam Ali (Pb), Nahjul-Balagha, Machiavelli," The Prince" book.

المقدمة

إن مقياس تقدّم الدول وازدهارها يرتبط بمدى العلاقة بين حاكمها ورعيته، فكلما كانت العلاقة وطيدة ومتماسكة بينهما قويت الدول وحافظت على استقرارها السياسي والاجتماعي والاقتصادي، والعكس هو الصحيح.

يتناول الباحث في دراسته الشخصية الإدارية والقيادية لخليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في أقواله وحكمه ومكاتباته مع ولاته، ويقارن ذلك مع الفكر الإداري والقيادي المادي الذي ابتعد عن رسالة السماء وهو فكر السياسي الإيطالي مكيافيلي في كتابه الأمير، الأول يرجع إلى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في أقواله وحكمه ومكاتباته مع ولاته، والثاني إلى نيقولا ميكيافيلي في كتابه الأمير، وعلى الرغم من الاختلافات بين العملين، فإنهما يلتقيان في نقاط مشتركة كثيرة، تُتِيحُ ترشيحهما بشكل لائق لمقارنة بين العملين، ليكون القارئ على بصيرة وتأمل في النظر إلى تربية السماء لشخص أمير المؤمنين (عليه السلام)، وتربية الفكر المادي لميكيافيلي، وما نتج عن تلكما التربية.

لقد كان الغرض الذي دعا الإمام عليًّا (عليه السلام) إلى كتابة جملة من رسائله إلى ولاته هو الغرض نفسه الذي دعا ميكيافيلي إلى كتابة كتابه الأمير، والغرض: هو إيجاد دليل سياسي لأمير جديد، إلّا أن الهدف المرجو من تطبيق هذا الدليل ونجاحه يختلف باختلاف

توجهات الإمام علي (عليه السلام) ومكيافيلي، فالأول أراد إقامة دولة إسلامية قوامها العدل والمساواة، والأمير فيها (خليفة الله)، يعمل بتعاليم الله ولا يستطيع أن يعارضها عملاً بهواه، في حين كان مكيافيلي نتاج نظام اجتماعي وسياسي أفضى به إلى الاقتناع بأن الدين هو العقبة التي تحول دون الازدهار السياسي وأن السبيل الوحيد للخروج من هذه العقبة هو العودة الى السياسة الوثنية.

واستعنت بالمنهج الوصفي التحليلي في كتابة البحث، واتبعت الموضوعية وعدم الانحياز في عرض النصوص ومعالجتها، وقد سميت البحث بـ(ثنائية الحاكم والرعية قراءة في أقوال الإمام علي (عليه السلام) ومكيافيلي).

وقد قسمت البحث على مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث، تحدثت في التمهيد عن (ضرورة إقامة الحكومة)، وجاء المبحث الأول بعنوان (صفات الحاكم)، تحدّثت فيه عن صفات الحاكم كما أوردها الإمام علي (عليه السلام) ومكيافيلي.

والمبحث الثاني: جاء بعنوان (واجبات الحاكم تجاه الرعية)، وقد تضمن الحديث عن واجبات الحاكم بحسب أقوال الإمام علي (عليه السلام) وبحسب رأي ميكيافيلي.

والمبحث الثالث: جاء بعنوان (واجبات الرعية تجاه الحاكم)، وقد تضمن الحديث عن واجبات الرعية بحسب أقوال الإمام علي (عليه السلام) وبحسب رأي ميكيافيلي.

والمبحث الرابع: بعنوان (العلاقة بين الحاكم والرعية)، وقد تضمن

بيان أهمية تطبيق تعاليم السماء في نجاح العلاقة بين الحاكم والرعية وأثر ذلك في إقامة الدولة وازدهارها وديمومتها، بخلاف رأي ميكيافيلي الذي يجد أن الدين عقبة يجب التخلص منها لإقامة دولة مستقرة، وقد ختمت البحث بخاتمة جاءت فيها أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث.

التمهيد: ضرورة إقامة الحكومة

استعان الناس منذ القِدَم بتشكيل الحكومات؛ لإدارة شؤونهم على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وبحسب الأنظمة التي يجدونها مناسبة لحكمهم؛ نحو القبيلة والممالك والدويلات والحكومات التي نشهدها اليوم، ويعلم بنو البشر "أن الحياة الاجتماعية من دون تحكيم النظام والقانون لا يمكن إيجادها ولو ليوم واحد"[1]، ولهذا نجد الفوضى تَعُمُّ بعد سقوط حكومة ما، وتستمر تلك الفوضى إلى قيام حكومة جديدة تبسط الأمن والأمان وتفرض نفوذها بين الناس.

لذا لا يمكن الشك في القول بضرورة وجود الحكومة في المجتمعات البشرية، وقد أشار الإمام علي (عليه السلام) إلى ذلك الأمر بقوله: «**لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَو فَاجِرٍ، يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤمِنُ، وَيَسْتَمتِعُ فِيهَا الكَافِرُ، وَيُبَلِّغُ اللهُ فِيهَا الأَجَلَ، وَيُجْمَعُ بِهِ الفَيءُ، وَيُقَاتَلُ بِهِ العَدُوُّ، وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ، وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ القَوِيِّ، حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ، وَيُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ**»[2].

يجد الإمام علي (عليه السلام) أن وجود الحاكم ضرورة إنسانية؛ لأن طبيعة البشر المدنية وهم بحاجة

مُلحة إلى حاكم يُنظم شؤونهم، ويقضي بينهم، ويُدافع عنهم، وتوجب الفطرة أن يكون الحاكم عادلًا، وفيما لو تعذَّر وجوده فلا بد من حاكم آخر ولو كان جائرًا.

ولا يعني قول الإمام علي (عليه السلام) (أو فاجر) أن نرضخ للحُكام الفاسدين الجائرين ونوليهم الشرعية والأهلية، بل إن الإمام أكد على ضرورة التدبير في اختيار الحاكم الصالح العادل الذي يقيم حدود الله ويستن بِسُنَّة نبي الله ويعمل على تطبيق تعاليم الله، وعلى أيَّة حال فوجود الحاكم الجائر في حكومة ما أهون من عدم وجود حكومة؛ لبسط الأمن، وإقامة العدل[٣].

ونجد مكيافيلي يتحدّث عن طبيعة الحكومات في كتابه (الأمير)، إذ يرى أن جميع الدول تمارس السلطة للسيطرة على الشعوب[٤]، ثم يورد نماذج لطبيعة الحكم؛ إذ هي "إما جمهوريات أو ممالك، والممالك إما أن تكون وراثية وحكامها من أسرة واحدة، وتستمر في الحكم لسنوات طويلة، أو أنها تكون ممالك حديثة النشأة... أو أن تكون قد انضمت حديثًا كأجزاء جديدة"[٥].

ويؤكد مكيافيلي على ضرورة إقامة الحكومة، وقد ألَّف كتابه (الأمير) لهذا الغرض معززًا إيَّاه بمزايا الأمير الذي يحكم تلك الحكومة[٦]، ويجد الدارس اتفاق رأي مكيافيلي مع الإمام علي (عليه السلام) في القول بضرورة إقامة الحكومات لتسيير أمور الشعوب؛ إلّا أن طريقة إدارة تلك الحكومات تختلف معاييرها عند مكيافيلي الذي ينطلق من مبدأ "الغاية تبرر الوسيلة"[٧]، عن مبدأ

الإمام علي (عليه السلام) الذي يجسد المبادئ السماوية بقوله: «إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخُلْقِ»[٨].

المبحث الأول:
صفات الحاكم

ذكر علماء الأخلاق والسياسة مجموعة صفات على الحاكم أن يتَّصف بها؛ ليحكم دولته بحكمة وحنكة، ولم تغب تلك الصفات عن أمير المؤمنين (عليه السلام) حينما وَلَّى قادة جنده في الأمصار الإسلامية، فيما نجد مكيافيلي يحدد مجموعة صفات يجب أن يتَّصف بها الأمير ليستطيع السيطرة والتشبث بِحُكْمِهِ ويَتَمَدَّد في دولته، وسوف نعرض لكلا الرأيين، مبتدئين بآراء الإمام علي (عليه السلام) في تحديد صفات الحاكم ثم مكيافيلي، وهي:

١) المقدرة والكفاءة:

من أهم الصفات التي يجب أن تتوافر في الحاكم هي المقدرة على إدارة الأمور والكفاءة فيها، إذ لا يكفي في الحاكم أن يكون عادلًا ورعًا تقيًّا ما لم يمتلك القدرة والكفاءة على إدارة زمام أمور الدولة، وقد تحدّث الإمام علي (عليه السلام) عن هذه الصفة بقوله: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الأمرِ-الحكم- أَقوَاهُم عَلَيهِ، وَأَعلَمُهُم بِأَمرِ اللهِ فِيهِ»[٩]؛ إذ يبيّن الإمام علي (عليه السلام) أهمية الكفاءة والمقدرة في إدارة الحكم؛ إذ الكفاءة تمنع الحاكم عن الوقوع في الخطأ وتعصمه عن الزلل، والمقدرة تُمَكِّن الحاكم من اتخاذ القرارات المناسبة والحاسمة التي تتعلق في إدارة شؤون دولته، فالحاكم الكفوء والمقتدر هو الذي يصون حريات

شعبه ويرتقي بهم، والحاكم المُستَبِد هو الذي يَستُر ضعفه بالظلم[10].

وذهب مكيافيلي أيضًا إلى ضرورة اتصاف الحاكم بالمقدرة والكفاءة في إدارة شؤون دولته، ليستطيع أن يحافظ على دولته ويستمر في حكمها، ويستعين بقصة نبي الله موسى (عليه السلام) مثالًا على ذلك، إذ يقول: "أمَّا إذا أردنا التحدّث عن هؤلاء الحكام بفضل ما لديهم من قدرات عالية، وليس بفضل حظهم السعيد، فسنجد أن أعظمهم جميعًا هو موسى (عليه السلام) وكورش وروموولوس وتيسيوس... وإذا ما تفحصنا حياتهم وأعمالهم لن نجد أنهم قد ركنوا إلى الحظ في أي شيء، لكن ما حصلوا عليه من فرص هو ما ساعدهم على صياغة ما حولهم فيما رأوه مناسبًا، ولولا هذه الفرص لضاعت قدراتهم أدراج الرياح، وبدون تلك القدرات لما كان للفرص أي معنى"[11]، يقول في موضع آخر: "إن من يستقيدون من قدراتهم حتى يصبحوا أمراء يحصلون على الإمارة بصعوبة، إلّا أنهم يحافظون عليها بسهولة"[12]، وبذلك نجد مكيافيلي يتفق مع أمير المؤمنين (عليه السلام) في أن المقدرة والكفاءة عامل رئيس في نجاح الحاكم.

٢) الورع:

جعل الإمام علي (عليه السلام) الورع من الصفات التي يجب أن يتحلّى بها الحاكم؛ وذلك ليعصم نفسه عن مغريات الدنيا وبهرجة السلطة، إذ يقول (عليه السلام): «**لَا تَصُحُّ الإِمَامَةِ فِي رَجُل إلّا إذا اجْتَمَعَت فِيهِ خصال ثلاث: ورع يعصمه من معاصي الله، وحلم يملك به غضبه،**

وحسن الرعية لمن يلي»[١٣]، وقال (عليه السلام): «لاَ شَرَفَ أَعْلَى مِنَ الإِسْلاَمِ، وَلاَ عِزَّ أَعَزُّ مِنَ التَّقْوَى، وَلاَ مَعْقِلَ أَحْصَنَ مِنَ الْوَرَعِ...»[١٤].

وفي مقابل قول أمير المؤمنين (عليه السلام) نجد مكيافيلي يعدّ الورع صفة شكلية يَخدع بها الحاكم الآخرين، إذ عليه أن يتزين أمام رعيته بحلل زائفة من الصدق والعدل والسلام والوفاء، إذ يقول: "وليس من الضروري للأمير أن تكون لديه كل الخصال التي سبق ذكرها، على أنه من الضروري أن يبدو عليه أنه يتصف بها"[١٥]، ويرى أيضًا على الأمير أن يكون ذئبًا في جلد شاة، وأن يُظهر الحُكامَ الآخرين بأنهم كاذبون وجائرون وناكثو العهود والمواثيق، وعلى الأمير أن يستفيد من أسلوب الثعلب في الغش والخداع والمكر، فقد أثبتت التجربة عنده نجاح هذا الأسلوب، وكان النجاح حليف من استعان بذلك[١٦]، إذًا نجد مكيافيلي يدعو إلى المكر والخديعة في مزاولة الحكم؛ وذلك ليُضلل الحاكم شعبه بما ينسجم وأهدافه.

٣) سعة الصدر:

هو التأنِّي واستيعاب الآخرين والصبر عليهم، وقد أكد الإمام علي (عليه السلام) هذه الصفة في أكثر من مناسبة؛ وذلك لأهميتها فيمن يدير شؤون المسلمين، حتى لا يُشطط في حكمه نتيجة غضبه، أو يجور في حكم، أو يتعجل في عقوبة، يقول (عليه السلام): «آلَةُ الرِّيَاسَةِ سَعَةُ الصَّدْرِ»[١٧]، وقال (عليه السلام): «وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَّ مِنهَا مَنْدُوحَةً»[١٨]، وتجدر الإشارة إلى أن سعة الصدر

"لا تعني الحِلمَ والتَّسامح فقط، إنما قبول الناس كلِّ الناس، مؤيدين ومعارضين، المسيء والمحسن، وما يصدر عنهم من أفعال وأقوال، فيها الصَّواب والغلط"[١٩].

ونجد مكيافيلي أيضًا يدعو إلى الصبر والأناة وعدم التسرع في اتخاذ القرارات الحاسمة التي تخص شؤون الدولة[٢٠].

٤) الشجاعة:

صفة مهمة يجب على الحاكم أن يتَّصف بها؛ وذلك ليتمكن من الحفاظ على أرضه وشعبه، والمتتبع لسيرة الإمام علي (عليه السلام) يجده قد اختار أشجع فرسان العرب لإدارة الأمصار الإسلامية، فاستعمل مالك الأشتر على مصر، ومحمد بن أبي بكر كذلك، واستعمل عبد الله بن عباس واليًا على البصرة وغيرهم.

وقد كتب عليٌّ إلى مالك الأشتر يحذره من استشارة الجبان بقوله: «**وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُرَتِكَ... جبانًا يُضعِّفُكَ عَنِ الأُمُورِ**»[٢١]، إن القوة والشجاعة تعزز شعور الرعية بالأمن والعزيمة، فكلما كان الحاكم قويًّا شُجاعًا دام ملكه وخشيه أعداؤه.

ويرى مكيافيلي أن من الواجب على الحاكم أن يكون شجاعًا مهابًا؛ ليستطيع بسط نفوذه في البلاد وحب الرعية له[٢٢].

٥) الكرم:

على الحاكم أن يكون كريم النَّفس جوادًا غير شحيح، يساعد الفقراء والمعوزين ويشفق على المساكين، ولا يُفكر بماله وتجارته بل يجعلهما آخر اهتماماته، يقول علي (عليه السلام) في وصيته لمالك الأشتر: «**وَلَا تُدْخِلَنَّ**

فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الفَضْلِ، وَيَعِدُكَ الفَقْرَ... وَلَا حَرِيصًا يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بِالجَورِ، فإن البُخْلَ والجُبْنَ وَالحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ»[٢٣].

ويذهب مكيافيلي إلى أن من الأفضل للأمير أن يكون كريمًا سخيًّا، على أن لا يضر ذلك خزينة دولته؛ لأنه قد يتسبب في استهلاك "جميع موارده، فيضطر إلى فرض الضرائب الباهظة على شعبه وجباية الأموال في سبيل المحافظة على هذه الشهرة - أي: صفة الكرم -، وهذا يبدأ الكراهية له في صدور رعاياه، فهو قليل الاحترام حين يصبح فقيرًا، كما أنه سيكون قد أضرّ الكثيرين بسخائه الذي لن يستفيد منه سوى القلة"[٢٤].

ثم لا يجد مكيافيلي بأسًا في شدّة الكرم إذا لم يكن الإنفاق من أموال الأمير الخاصة أو أموال دولته، كأن ينفق من الأموال التي حصل عليها عن طريق الفتوحات، إذ يقول: "ومن الممكن لك أن تكون سخيًّا جدًّا بما لا تملك أو لا يملكه رعاياك... فالإنفاق من ثروات الآخرين لن يحط من سمعتك، بل إنه سيعلي من قدرك"[٢٥].

٦) التواضع:

التواضع ضد التَّكبُّر والغرور والخُيلاء، فعلى الحاكم أن يحذر الانزلاق في مهاوي التكبر والتَّرفُّع عن النّاس، ولاسيّما أن "موقع المسؤولية بطبيعته يفسح المجال واسعًا لتسويلات الشيطان والنَّفس الأمارة بالسوء، لكي ينفخ في الإنسان روح العلو والخيلاء والترفع"[٢٦]، لذا نجد الإمام عليًّا (عليه السلام) يُحذر

ولاته من هذا الداء؛ إذ يقول: «إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللهِ فِي عَظَمَتِهِ، وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ، فَإِنَّ اللهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ، وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ»[٢٧]، وقال في موضع آخر: «وَإِيَّاكَ وَالإِعجَابَ بِنَفسِكَ، وَالثِّقَةَ بِمَا يُعجِبُكَ مِنهَا، وَحُبَّ الإِطْرَاءِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِن أَوثَقِ فُرَصِ الشَّيطَانِ فِي نَفسِهِ، لِيَمحَقَ مَا يَكُونُ مِن إِحسَانِ المُحسِنِينَ»[٢٨].

إن التواضع بحسب مكيافيلي صفة ليس على الأمير الاتصاف بها دائمًا، بل يجب عليه أن يكون متسلطًا على رعاياه؛ وذلك بحسب الموقف الذي يتطلبه إدارة دولته[٢٩].

المبحث الثاني:
واجبات الحاكم تجاه الرعية

ذكر الإمام علي (عليه السلام) الواجبات التي على الولاة الالتزام بها وتنفيذها، وذلك في كثير من خطبه ورسائله إلى ولاته في الأمصار الإسلامية، وتُعدّ تلك الواجبات دستورًا إسلاميًّا يتبعه الولاة لإيجاد حياة كريمة لأفراد المجتمع الإسلامي، في الوقت نفسه هي دعامات رئيسة لاستمرارية الحكم واستقراره، على وفق الرؤية الإسلامية التي اختط معالمها علي (عليه السلام).

ويرى عليٌّ (عليه السلام) وجود علاقة حقوقية متوازنة بين الحاكم والرعية، فإنه يرى "أن التكامل الحقوقي المبني على الحق والحق المقابل هو الأساس الوحيد الذي يضمن التناسق الاجتماعي بين أفراد الأمة، وظهور معالم الجور بينها ليس إلّا نتاجًا لتهشم العلاقة بين السلطة والمجتمع وهبوطها إلى أدنى مستوى"[٣٠]، إذن فمقياس

بقاء الدول وزوالها مبني على علاقة الحاكم ورعيته، فكلما كانت العلاقة وطيدة ومتماسكة استمر الحاكم في حكمه وتنعم أفراد المجتمع، وكلما كانت العلاقة بينهما مفككة وقائمة على الجور والحيف قصرت مدّة الحكم نتيجة سقوط تلك الحكومة وزوالها.

وفي قبال ذلك نجد التنظير السياسي المادي الذي رسمه مكيافيلي للأمير، والذي ينطلق من مبدأ (كيف تفوز بالولاية، وكيف تحافظ عليها)[٣١]، وشتان بين رؤية الإمام علي (عليه السلام) ورؤية مكيافيلي في إرشاد الحكّام وتوجيههم، وسوف أعرض في هذا المبحث لرؤية الإمام علي (عليه السلام) في تبيين واجبات الحاكم تجاه الرعية وأقارنها برؤية مكيافيلي، واقفًا مُحللًا لأقوالهما، وهي:

١) تحقيق العدالة:

جاء الإسلام ليبسط عدالة السماء في الأرض، فأزال الفوارق العرقية والمادية بين الناس، وجعل ميزان التفاضل بينهم التقوى، إذ قال (جل وعلا): ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات: ١٣]، والناظر في سيرة علي (عليه السلام) يجده قد جسَّد ذلك قولًا وفعلًا؛ لأنه ترجمان القرآن.

وقد كتب علي (عليه السلام) إلى مالك الأشتر واليه على مصر قوله: «**أَنْصِفِ اللهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمْ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللهِ كَانَ**

الله خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَمَهُ الله أَدْحَضَ حُجَّتَهُ، وَكَانَ لله حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ أَوْ يَتُوبَ»[٣٢]، ويقول في موضع آخر: «**وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الأُمُورِ إِلَيكَ أَوسَطُهَا فِي الحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِي العَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَا الرَّعِيَّةِ**»[٣٣]، فنجد الإمام عليًّا (عليه السلام) يؤسس لمعيار إدارة شؤون الرعية على وفق محاور ثلاثة، هي: الحقُّ، والعدل، ورضا النّاس[٣٤].

ويَجدُرُ بالحكَّام والرؤساء النظر في سيرة الإمام علي (عليه السلام) والحكم على هديها، فهي مرجعية سياسية إنسانية نافعة فيما لو تم العمل بها والسير على هداها.

فيما نجد مكيافيلي قد وضع فلسفة حكم الأمير قائمة على التجارب العملية التي سبقته، حتى وإن كانت لا تتفق والمبادئ الإنسانية، إذ الأمر المهم هو (التجربة الناجحة)، وهذا الأمر قائم على الظلم الذي يؤدي بالحكّام إلى الاستبداد والتعسف والانخراط وراء الأهواء، يقول مكيافيلي "كلنا نعرف مدى الثناء الذي يناله الأمير الذي يحفظ عهده ويحيا حياة مستقيمة دون مكر، لكن تجارب عصرنا هذا تدل على أن أولئك الأمراء الذين حققوا أعمالًا عظيمة هم من لم يصن العهد إلّا قليلًا، وهو من استطاع أن يؤثر على العقل بما له من مكر، كما استطاعوا التغلب على من جعلوا الأمانة هاديًا لهم"[٣٥]، إذن تحقيق العدالة بحسب مكيافيلي ما هي إلّا خدعة يطليها الأمير على شعبه ليحقق أهدافه ومراميه.

٢) المودة للرعية:

إنَّ الرعية في فكر الإمام علي

(عليه السلام) هي "مادة الحكم، والرئيس جزء منها"[٣٦]، وهو منها موضع الرأس من الجسد، والأب الروحي لأبناء شعبه، يحنو عليهم ويرفق بهم ويعيش كأحدهم، يشعر بآلامهم ومخاوفهم، ويعي حاجاتهم ومطامحهم، ويعمل على إصلاحهم وتذليل العقبات أمامهم، "فيشعرهم ذلك برعايته لهم، وحياطته لأمورهم، وعمله لصالحهم، فيدعمون حكمه بحبهم وإيثارهم له، ويؤازرونه في السراء والضراء"[٣٧]، وبذلك ينعم المجتمع ويعود بالصالح العام للحاكم والرعية.

يقول (عليه السلام) لمالك الأشتر: «وَأَشْعِرْ قَلبَكَ الرَّحمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالمَحَبَّةَ لَهُم، وَاللُّطفَ بِهِم...»[٣٨]، فبالرحمة والمحبة واللطف تتضافر العلاقة بين الحاكم والرعية ويسود الحب والخير، وترتقي البلاد بصلاح الساسة والعباد.

ولم يغب ذلك الأمر - أعني: المودة للرعية - عن مكيافيلي، فقد أكده في كتابه الأمير في أكثر من موضع، وجعله سببًا لاستمرار الملك وبقائه؛ لأن المودة للرعية يقابلها حُب الرعية للأمير، وإذا ما حبّ الناس الأمير "بذلوا كل ما في وسعهم للدفاع عنه"[٣٩]، يقول مكيافيلي: "الأمير الشرعي المحبوب من شعبه... لا يحب شعبه أن يتخلص منه، ومن الطبيعي لشعبه أن يتمسك به، ومن الطبيعي أيضًا أن يتناسى الأسباب والدواعي البسيطة التي تدعوه لتغيير الحاكم"[٤٠].

٣) مخالطة الرعية والنظر في أمورهم:

يجدر بالحاكم أن يكون قريبًا

من رعيته، يطّلع على مشاكلهم ويشاركهم همومهم، ويعمل على كشف الكرب عنهم، ويجعل وقتًا للتواصل معهم بعيدًا عن الموانع والحواجز والقيود المقيتة؛ وذلك ليطّلع على معوقات العمل ويعمل على تذليلها، وهذا الأمر نجد له تطبيقات في حكومة الإمام علي (عليه السلام)؛ إذ أوصى مالك الأشتر بذلك، إذ يقول: «وَاجْعَلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً، فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لله الَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ، حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَعْتِعٍ...»[٤١].

ثُم نجد الإمام عليًّا (عليه السلام) يوصي الأشتر بعدم الاحتجاب طويلًا عن رعيته، بل يجب عليه أن يحدد لهم وقتًا يلتزم به لمقابلتهم والاستماع إلى مشاكلهم والاطلاع على أعمالهم ميدانيًّا؛ وذلك لتثمين عمل المُحسن وإصلاح عمل المتلكئ، إذ يقول: «فَلاَ تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوُلاَةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيقِ، وَقِلَّةُ عِلْمٍ بِالأُمُورِ، وَالاحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ الْكَبِيرُ، وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ، وَيَقْبُحُ الْحَسَنُ، وَيَحْسُنُ الْقَبِيحُ، وَيُشَابُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ»[٤٢].

ونجد مكيافيلي قد أدرك أهمية تواصل الحاكم مع رعيته؛ ليستطيع كسب ثقة الشعب من جهة ويراقبهم من جهة أخرى، فيكون على دراية بالمؤامرات والدسائس التي تُحاك ضدّه، إذ يقول: في ذلك "لابدّ للأمير أن يعيش وسط رعيته بطريقة لا يؤثر

فيها حدوث حادث له، فيخرجه عما يخطط، سواء كان حادثًا مؤلمًا أو حادثًا سعيدًا؛ وذلك لأنك لا تكون موفقًا إذا استخدمت الشدّة، وإن فعلت الخير لن تجني من ورائه أي فائدة؛ لأنه سيؤخذ على أنه اضطرار وبلا أي فائدة"[٤٣]، ويقول في موضع آخر: "والأمير مضطر للحياة بين أفراد الشعب"[٤٤]، إذن نجد مكيافيلي قد تبع الإمام عليًّا (عليه السلام) في ضرورة مخالطة الحاكم لرعيته، لكنه اختلف عنه في الهدف، إذ كان هدف علي (عليه السلام) إقامة حدود الله؛ عن طريق تطبيق شريعة السماء وتعاليمها التي تنظم علاقة الحاكم بالمحكوم، فيما نجد مكيافيلي كان همّه كيف يحافظ الحاكم على سلطانه.

٤) ستر عيوب الرعية:

يجب على الحاكم أن يستر عيوب رعيته ويحافظ على أسرارهم، ولا يفتش عن عيوبهم، والوسيلة إلى ذلك "إبعاد أهل النميمة، وطلاب العيوب"[٤٥]، عن بطانة الحاكم، فقد أوصى الإمام علي (عليه السلام) مالكًا الأشتر بستر عيوب الرعية وحسن الظن بهم، إذ يقول: «**وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ، وَأَشْنَأَهُمْ عِنْدَكَ، أَطْلَبُهُمْ لِمَعَائِبِ النَّاسِ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوباً، الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا، فَلاَ تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ، وَاللهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ، فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ**»[٤٦].

وتجدر الإشارة إلى أن مكيافيلي لم يتطرق في كتابه الأمير إلى وجوب ستر عيوب الرعية من لدن الحاكم؛ وأحسب أن السبب في ذلك عدم

انسجام هذا الأمر مع أهدافه واهتماماته.

٥) الإحسان إلى الرعية بلا منّة:

المِنَّةُ: النِّعمة الثقيلة، وتكون بالقول والفعل، نحو: مَنَّ فُلانٌ على فُلان، أي: أثقله بالنِّعمة[٤٧]، أو هي: استكثار الإنسان إحسانَه وفخرُه به حتى يُفسِدَه[٤٨]، وقد أوجب الإمام علي (عليه السلام) على ولاته الإحسان إلى رعيتهم وعدم إفساد ذلك بالمَنّ وأن يجعلوا أنفسهم معيارًا بينهم وبين رعاياهم في أقوالهم وأفعالهم، إذ يقول: «**وَإِيَّاكَ وَالْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ، أَوِ التَّزَيُّدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ، أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ، فَإِنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الإِحْسَانَ، وَالتَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ، وَالْخُلْفَ يُوجِبُ الْمَقْتَ عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ**»[٤٩].

وذكر مكيافيلي أن صفة الإحسان واجبة على الأمير؛ ليستطيع السيطرة على رعاياه ويستعملهم وقت الشدّة؛ لأنهم مدينون له، إذ يقول: "الأمير الحكيم يجب عليه أن يبحث عن وسائل تجعل رعاياه في حاجة مستمرة إلى حكومته، وحينئذ سيخلصون الولاء له دائمًا"[٥٠]؛ لأن "طبيعة الإنسان أن يرتبط بمن يقدم له نعمًا وينعم بها عليه"[٥١].

٦) ألّا يسخط العامَّة برضى الخاصة:

مبدأ رائع يجسده الإمام علي (عليه السلام) حينما يوصي ولاته بعدم الانحياز إلى الطبقة الخاصة من الأغنياء وأصحاب النفوذ ورعايا الوالي على حساب الطبقة العامّة وهم أبناء الشعب والذين يمثلون الشريحة الأكبر؛ وذلك "لأن سخط

الخاصة يغتفر مع رضا العامة التي تمثل الأكثرية الغالبية من الرعية، وهذا هو أساس الارتكاز في بناء الحكم العادل الذي يريده الله"[٥٢]، يقول (عليه السلام): «وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ، وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ»[٥٢]، إلّا أننا نجد كثيرًا من الحكّام ممّن يتولّون إدارة شؤون الدولة يحيدون عن هذا المبدأ، فيقربون الخاصة على حساب العامة، والذي ينتج عن ذلك حدوث "أعمال الشغب والاضطرابات ممّا يؤدي إلى توقف مصالح الأمّة والإضرار بالممتلكات العامّة"[٥٤]، فضلًا عن ذلك فإن "الخاصة يشكلون عبئًا ثقيلًا على الحاكم، فهم أقل نفعًا وأكثر ضررًا ويثقلون عليه بالحاجات بمطالبهم بالحصول على المناصب والوظائف وتدخلهم في شؤون الحكم"[٥٥]، وهم أقل وفاءً، فإذا عُزل الحاكم فإنهم "يتنكرون ويبتعدون عنه ويأخذون بالتقرب إلى الوالي الجديد"[٥٦]، يقول (عليه السلام): «وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ، أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَؤُونَةً فِي الرَّخَاءِ، وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلاَءِ، وَأَكْرَهَ لِلإِنْصَافِ، وَأَسْأَلَ بِالإِلْحَافِ، وَأَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ الإِعْطَاءِ، وَأَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ الْمَنْعِ، وَأَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ، وَإِنَّمَا عَمُودُ الدِّينِ، وَجِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، وَالْعُدَّةُ لِلأَعْدَاءِ، الْعَامَّةُ مِنَ الأُمَّةِ، فَلْيَكُنْ صِغْوُكَ لَهُمْ، وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ»[٥٧].

والحال نفسها عند مكيافيلي في عدم الميل إلى العامّة على حساب

الخاصة، ولاسيّما إذا كان مُنتخبًا من قبل العامّة، وبطبيعة الحال فإن إقامة العدل بينهما لا يرضي الطبقة الخاصة الذين يجدون أنفسهم أشرف نسبًا وأكثر مالًا وأعظم جاهًا، إلّا أن ذلك لا يهم ما دام الأمير يحظى بتأييد العامة ودعمهم له، يقول مكيافيلي: "إن المعاملة العادلة لن ترضي عنه - أي: الأمير - طبقة النبلاء في حين أن نفس الأمر سيرضي عامّة الشعب بسرعة، فالعامّة يرضون بالعدل بينما النبلاء يرغبون في التعسف والبطش"[٥٨]، ثم نجد مكيافيلي يعود لمعالجة الطبقة الخاصة؛ لأنها داعمة أيضًا لنفوذ الأمير، ومعززة مكانته بين النبلاء، فيقترح اختبار الخاصة لامتحانهم في مدى ولائهم للأمير، فإن كانوا موالين له حظوا بالتكريم والمحبة من قِبَلِهِ[٥٩]، وإن كانوا بعيدين عن الأمير، فيشخص الأمير بحنكته وفراسته سبب بعدهم عنه، فإن كان إحجامًا وجُبنًا، فليس على الأمير أن يخشاهم في الضراء؛ لأنهم لا يشكلون مصدر تهديدٍ له، بل يمكن الاستعانة بأصحاب الرأي منهم في النصح والمشورة[٦٠]، وإن كانوا بعيدين بسبب حقدهم وعدم ولائهم "فهذا يعني أنهم ذوو طموحات، وأنهم يفكرون في أنفسهم ولا يفكرون في الأمير، فيجب على الأمير أن يحترس منهم، وأن يعتبرهم أعداء غير ظاهرين يمكنهم المساهمة في سقوطه وقت الشدّة"[٦١]، إذن نجد ميكيافيلي هنا يوصي الحاكم أن يكون منافقًا، إذ عليه أن يُرضي الطبقة العامة وهي أغلبية الشعب، وفي الوقت نفسه يرضي المخلصين من الطبقة الخاصة من النبلاء والسّاسة

وأصحاب المناصب على حساب العامّة؛ لأنهم يدعمون حكومته ويُساندونه في وقت الحاجة.

المبحث الثالث:

واجبات الرعية تجاه الحاكم

بعد أن فرغنا من ذكر واجبات الحاكم تجاه الرعية يحسن بنا ذكر واجبات الرعية تجاه الحاكم، وإنما ابتدأنا بذكر (واجبات الحاكم)؛ لأنه مصدر السلطة ورأس الهرم والمشرف على سن القوانين والنظر في تطبيقها، أمّا الرعية فهم المادة الرئيسة للحكم، ولا يقوم الحكم إلّا بهم، فهناك علاقة تبادل قوامها المحبة والتآخي والترابط والتآزر والتماسك بينهما، فكلما تحقق "الاستيعاب والفهم والتفهُّم الحقيقي لحقوق وواجبات الرعيّة أو العاملين من قبل القائد، كلما تحقق التعاون والتنسيق بين الجميع"[٦٢]، والعكس صحيح، ووضع الإمام علي (عليه السلام) الواجبات التي على الرعية الوفاء بها وتنفيذها أمام الولاة، ليتمكنوا من إدارة الدولة بحكمة وحنكة ورويّة، ومن تلك الواجبات:

١) الوفاء بالبيعة

يجب على الرعية الوفاء بالبيعة لواليهم، بما يحقق التقدّم والتطور والنمو في صنع قرارات الدولة، ولاسيّما الاستراتيجية المعول عليها في بناء وحدة الدولة وتماسكها، فعلى الرعية الوفاء لقائدهم "والوفاء: هو العمق الحقيقي والقوة الفاعلة في النجاح والتفوق في المسيرة السياسية والإدارية والاجتماعية، وتماسكها التربوي والثقافي والحضاري، والوفاء يعني الكثير العظيم، في التعامل الميداني السلوكي القويم،

وأداء خطط الأعمال على أفضل صورة ممكنة لتحقيق الأهداف المرسومة"[٦٣].

ومن مصاديق الوفاء بالبيعة الكلمة الطيبة الصادقة لمن يستحقها، فهي تعزز العلاقات الاجتماعية بين الرعية والحاكم، وتحفز الحاكم على بذل الجهد في سبيل الحصول على أفضل نتائج تصبّ في خدمة رعيته بما يضمن حياة كريمة لهم، ينعمون من خلالها في دولته، يقول الإمام علي (عليه السلام): «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً، وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ:... وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ: فَالوَفَاءُ بِالبَيْعَةِ...»[٦٤]، والبيعة هنا تعني "عقد توثيق بين الحاكم والمحكوم على أن يدبر الحاكم أمور المحكوم على أساس المصلحة، ويحفظ الأمن والنظام، ويقيم الحدود وينفذ الأحكام، وعلى كل من الطرفين أن يفي بهذا العقد، ولا يجوز فسخه بحال"[٦٥].

وتجدر الإشارة إلى أن مكيافيلي لم يتطرق إلى ذكر حقوق الرعية على الحاكم، إلّا أننا نستطيع أن نخلص ذلك عن طريق استنطاق أقواله، من ذلك حديثه عن وفاء الرعية بالبيعة للأمير، فيجد مكيافيلي أن الرعية يتابعون أعمال أميرهم، وحين يجدون أعماله فاضلة وتنسجم مع توجهاتهم الإصلاحية فإنهم سوف يرتبطون به ارتباطًا وثيقًا، "وحين تكون حالتهم الراهنة جيدة يرضون بها ولا يبحثون عن غيرها... فهم سوف يبذلون كل ما في وسعهم للدفاع عن الأمير"[٦٦] والوفاء ببيعته.

إذن على الرعية الوفاء ببيعتها إلى حاكمها والإخلاص له والذود دونه والعمل على دعمه في كافة الأصعدة

السياسية والاجتماعية والاقتصادية ليحقق لهم الاستقرار والأمن ويرتقي بأوضاعهم الاقتصادية نحو الأفضل، لكن ذلك مرهون بصلاح الحاكم نفسه، فمتى فسد الحاكم تمردت الرعية عليه واخلفت ببيعتها له.

٢) إسهام الرعية في النصيحة

ذكر شُرّاح نهج البلاغة أن المراد بقول الإمام علي (عليه السلام): «وَالنَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ»[٦٧]، المراد بالنصيحة هنا الإخلاص للحاكم، والصدق في القول والعمل في حضرته وفي غيابه، لا كما يفعل أرباب الطمع والتصنع، إن حضروا عنده فملائكة، وإن غابوا عنه فشياطين[٦٨]، يقول السيد محمد كاظم القزويني الحائري: "فالنصيحة للإمام هو الدفاع عنه بحضرته وغيبته، ونُصرته باليد واللسان والمال والحياة، عند الحاجة إلى ذلك"[٦٩]، فعلى الرعية صدق الحاكم في القول والعمل والإخلاص له والانقياد إلى أوامره والعمل بتوجيهاته ونصائحه.

ويُشدد مكيافيلي على الأمير كسب رضا الرعية في جميع الأحوال - بالحقيقة والخديعة - وأن يُحسن إليهم تباعًا، إذ يقول: "أمَّا المزايا فيجب إعطاؤها للرعايا جرعة جرعة حتى يستمتعوا بها ويشعروا بفائدتها"[٧٠]، ويقول في موضع آخر في وصف الأمير الجيد: "هو من يحبه الشعب ويخشاه"[٧١]؛ لأن حُبَّ الشعب له يجعلهم ينصرونه ويؤازرونه ويدافعون عنه في جميع الظروف.

٣) إسهام الرعية وتضامنهم مع حاكمهم

يؤكد الإمام علي (عليه السلام)

أن على الرعية مساندة الحاكم والتضامن معه، إذ يقول: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً، وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ:... وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ: والإِجَابَةُ حِينَ أدعُوكُم...»[٧٢]، ومن مصاديق إجابة الرعية لدعوة الحاكم الامتثال إلى أوامره في عمارة البلاد وإصلاح العباد، "ولاسيّما وقت الحاجة، ومنه إدارة الأزمات واحتواء أي مشكلة أو أزمة، سواء كانت عامة أو خاصة، وحماية مستقبل نشاط معين، قد يؤثر مستقبلًا على ما يحيط بالعامّة من الناس، وما يتطلبه من وضع الحلول المناسبة له"[٧٣].

وقد تحدّث مكيافيلي عن تضامن الرعية مع الأمير، إذا كان مُنصِفًا، عادلًا، لا يتجاوز على ممتلكات رعيته وعرضهم، فإن الرعية سوف تدعمه وتقف إلى جانبه، واستشهد مكيافيلي بما فعله دُوق إيطاليا عندما سيطر على مدينة (رومانا)، إذ يقول: "فعندما سيطر الدوق على (رومانا) كان حكامه السابقون ضعفاء وكانوا ينهبون الرعية بدلًا من أن يحكموهم، ويعملون على فرقتهم وليس توحيدهم، حتى أصبحت المقاطعة فريسة للصوصية، والسلب، وجميع أنواع الفوضى، لذلك رأى الدوق أن إيجاد حكومة صالحة فيها، هو أمر مهم جدًا"[٧٤]، والهدف من ذلك "حتى يجعل أهلها مسالمين ومدينين لحكمه بالطاعة"[٧٥].

إذن يجد مكيافيلي أن تضامن الرعية مع حكامها يتوقف على إقامة العدل وعدم المساس بممتلكات الرعية والإحسان إليهم ورفع الظلم عنهم من لدن الحاكم ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، وإذا لم يستطع فعليه أن يتظاهر

بتلك الصفات[٧٦]؛ "لأن النّاس يحكمون على ما يرونه بأعينهم، وليس على ما يدركونه"[٧٧].

٤) إطاعة الحاكم

يجد بعض شُرّاح نهج البلاغة إن الظاهر من عطف (الطاعة) على (إجابة الدعوة) هو من باب عطف التفسير، وقد يفرق بينهما في أن المراد بالطاعة الاستمرار فيها، والثبات عليها[٧٨]، ومهما يكن من أمر فالإمام علي (عليه السلام) يوجب على الرعية الطاعة لحاكمهم بوعي وإدراك، وفي أي زمان ومكان، "وبحرص أداء الواجبات والأعمال على أفضل وجه، وبوعي الطاعة النَّام عن النصحية المتبادلة، وحمايته بمرونة استقبال الرأي والرأي الآخر، للتقييم والتقويم المتبادل الأشمل، والمُحقق بناء روح الجماعة وتماسكها وزرع روح الإقدام والمبادرة، والوصول إلى الهدف البنّاء المشترك"[٧٩].

ونجد مكيافيلي يُرهن طاعة الأمير من لدن الرعية بصلاح سيرته، سواءً أكانت حقة أم بالحيلة والخديعة، إذ يقول: "حيث إن الأمير الشرعي المحبوب من شعبه الذي لا توجد له رذائل مفضوحة أمام الناس لا يحب شعبه أن يتخلص منه، ومن الطبيعي لشعبه أن يتمسك به"[٨٠]، ويقول في موضع آخر: ليس من الضروري للأمير أن تكون لديه كل الخصال الجيدة، إلّا أنه من الضروري أن يبدو عليه أنه يتصف بها[٨١]، فمن المفيد "أن يبدو الأمير رحيمًا، وفيًّا، حلو الصفات، وصادقًا، متدينًا"[٨٢]، إذن إطاعة الحاكم مرهونة بعلاقته مع رعيته، فكلما كانت علاقتهم

قائمة على أساس المحبة والعدل والأُلفة كانت الرعية طوع أمره، وكلما كانت علاقتهم قائمة على الجور والظلم والحيف كانت الرعية تتربص به الدوائر للإطاحة بحكمه والخلاص منه.

المبحث الرابع:
العلاقة بين الحاكم والرعية

تتجسد فلسفة الحكم في الإسلام على معرفة الحاكم والرعية ما لهم من أحكام وما عليهم من واجبات تجاه بعضهم بعضا، والهدف من ذلك إيجاد بيئة اجتماعية صالحة قائمة على المودة والرحمة والأُلفة بين الحاكم والرعية، فحينما يعلم الحاكم حقوقه وواجباته ويلتزم بها يَصلُح حاله، ويرتقي بالمنظومة الإدارية لبلاده، وإذا علمت الرعية ما لها وما عليها من حقوق وواجبات وأخذت بها، هَيَّأت أمام الحاكم بيئة صالحة يستطيع الارتقاء بهم على الأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، وإذا تعسف أحد الطرفين - أعني الحاكم أو الرعية - كان ذلك سببًا رئيسًا في ظهور الفساد بجميع مستوياته.

فالدولة عند الإمام علي (عليه السلام) كيان تدبيري عام تنبثق فيه المسؤولية من الإدارة العامة للرعية، وتحدّد وظائف الدولة وسلطاتها التي يتولاها المسؤول الحاكم طبقًا لمبادئ الشريعة، وتكون العلائق في ذلك تضامنية، وقد جسد الإمام علي (عليه السلام) في الفترة التي ولي فيها المسؤولية العامة في الحكومة الإسلامية الدور الاجتماعي العام في معادلة تكافأت فيها الحقوق والواجبات ما بين

الحكومة ومواطنيها، وتجسدت فيها آفاق الفكر ومعالم الفكر والنشاط التدبيري المثابر[٨٣].

فنجد الإمام عليًّا (عليه السلام) يُرسي العلاقة بين الحاكم والرعيَّة، لتنظيم شؤون الحكومة الإسلامية بما يناسب وأهدافها، إذ يقول: «وَأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ -سُبْحَانَهُ- مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ، وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ، عَلَى الْوَالِي، فَرِيضَةً فَرَضَهَا الله -سُبْحَانَهُ- لِكُلّ عَلَى كُلّ، فَجَعَلَهَا نِظَاماً لأُلْفَتِهِمْ، وَعِزّاً لِدِينِهِمْ، فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلاَّ بِصَلاَحِ الْوُلاَةِ، وَلاَ تَصْلُحُ الْوُلاَةُ إِلاَّ بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ»[٨٤].

وعند استنطاق كلام الإمام علي (عليه السلام) المُتقدّم والوقوف على المفاصل الرئيسة نخلص إلى النقاط الآتية:

أولًا: جعل الله تعالى حقوقًا متبادلة بين الحاكم والرعية، فيلزم على الحاكم اتباعها، ويلزم على الرعية اتباعها أيضًا.

ثانيًا: وصف الحق تبارك وتعالى تلك الحقوق بـ(الفرض)، ويعني وجوب اتباعها والعمل بمضمونها، "وأعظم الفرض الإلهي، هو ما افترضه الخالق عز وجل من الحقوق المتبادلة بين القائد والناس أو الرعية أو العامة، وبين بعضهم بعضا، لبناء الإنسان من دواخله؛ كفرد وكجماعات ومجتمعات متحضِّرة، لكون الإسلام جاء لبناء الإنسان والحياة وتماسك بعضه بعضًا، كالبنيان المرصوص، وما يترتب من تكامل حقوق إعمار ما حولهم من البشر والحجر والبيئة، وحقوق المحاورة الحضارية بين

الحضارات الإنسانية، والابتعاد عن نظرية الصراع المدمرة بين الحضارات الإنسانية، ومنه حقوق ما تستقيم به الأمور، وحقوق ما كسب به ذو حق حقه، وحقوق ما تزدهر الحياة ومنظوماتها الحياتية والحضارية على وفق التشريعات وبناءاتها المتشعِّبة، ومنها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية والتعليمية"(٨٥).

ثالثًا: معرفة حقوق الولاة والرعية وواجبات كل منهم، تعدّ نظامًا سماويًّا يلزم العمل بمضمونه والسير على هديه لتحقيق سعادة العباد وإصلاح البلاد على وفق رؤية اسلامية.

رابعًا: العمل بالحقوق والواجبات التي ذكرها الإمام علي (عليه السلام) بين الحاكم والرعية، يعزز وحدة المسلمين ويقوي شوكتهم وينصر دينهم، ويدرئ الخطر عنهم، ويأس الأعداء من اختراق صفوفهم؛ لعدم وجود ثغرة في صفوفهم، فهم كالبنيان المرصوص الذي يشد بعضه بعضًا.

خامسًا: فلسفة الحقوق قائمة على أساس صلاح الراعي والرعية، فإذا صَلُح الحاكم استقام أمر رعيته باتباعه، وإذا فَسُد الحاكم فسدت الرعية وتمرّدت على الحاكم.

ثم فصل الإمام علي (عليه السلام) العلاقة المتبادلة بين الحاكم ورعيته؛ لإنجاح المشروع السماوي على الأرض، إذ يقول: «**فَإِذا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ، وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا، عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ، وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلاَلِهَا السُّنَنُ، فَصَلَحَ**

بِذلِكَ الزَّمَانُ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ، وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ الأَعْدَاءِ»[٨٦].

ويتبيّن لنا من النَّصِّ المتقدّم نتائج العلاقة الصالحة بين الحاكم والرعية في إدارة شؤون الدولة، بما يأتي[٨٧]:

أولًا: الآثار المترتبة من العلاقة الصالحة بين الحاكم والرعية:

ت	قول الإمام علي (عليه السلام)	الأثر
١	عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ	أثر قيمي
٢	وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ	أثر ديني
٣	وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ	أثر سياسي- أخلاقي
٤	وَجَرَتْ عَلَى أَذْلاَلِهَا السُّنَنُ	أثر اجتماعي

ثانيًا: النتائج المترتبة من العلاقة الصالحة بين الحاكم والرعية:

ت	قول الإمام علي (عليه السلام)	الناتج
١	فَصَلَحَ بِذلِكَ الزَّمَانُ	ناتج اجتماعي- تاريخي
٢	وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ	ناتج سياسي - نظمي
٣	وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ الأَعْدَاءِ	ناتج أمني - عسكري

ونخلص إلى أنَّ الإمام عليًّا (عليه السلام) يجعل استقرار الدول وازدهارها ناتج عن العلاقة الصالحة والمتوازنة بين الحاكم والرعية، فيمكننا قياس تقدّم البلدان وتأخرها ناتج عن قوة العلاقة وضعفها بين الحكومة والشعب، فكلما كانت العلاقة قوية ومتماسكة وقائمة على العدل والمساواة كلما تطورت البلدان وازدهرت، والعكس صحيح.

فيما نجد مكيافيلي قد صور لنا علاقة الحاكم بالرعية قائمة على أساس المصلحة بينهما، فالهدف الرئيس من الحاكم هو "الفوز بالولاية، والمحافظة عليها"[٨٨]، وذلك بأي طريقة يجدها الأمير مناسبة حتى "لو اضطر للقيام بأعمال ضد الوفاء والإحسان والصفات الحسنة والدين، ولذلك فعليه أن يعد عقله للتكيف مع أي ريح قد تهب عليه، ومع تغيرات المستقبل،

كما يجب عليه أن لا يبتعد عن الخير قدر الإمكان مع قدرته على ارتكاب الشرور إذا اضطر إليها"[٨٩].

ثم يؤكد مكيافيلي علاقة الحاكم بالرعية قائمة على أساس المصلحة، فعلى الحاكم أن يتظاهر بالرحمة والصدق والوفاء بالعهود والاستقامة والتقوى والعدل أمام رعيته؛ "لأن الناس يحكمون على ما يرونه بأعينهم، وليس على ما يدركونه"[٩٠]، فعلى الأمير أن يتماشى مع مصلحته الشخصية، فلا يصدق الحديث وينكث العهود والمواثيق ويظلم الرعية ويقتل كل من يجده يشكل خطرًا على ملكه، ولا يلومه أحد على ذلك؛ "لأن الغاية تبرر الوسيلة"[٩١].

وإذا ما قارنا بين أقوال الإمام علي (عليه السلام) وآراء مكيافيلي المتعلّقة بعلاقة الحاكم بالرعية نجد أن الإمام عليًّا (عليه السلام) قد أرسى فلسفة الحقوق والواجبات بين الحاكم والرعية على وفق الرؤية الإسلامية القائمة على أساس العدل والمساواة، وقرر بأن «**لَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلاَّ بِصَلاَحِ الْوُلاَةِ، وَلاَ تَصْلُحُ الْوُلاَةُ إِلاَّ بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ**»[٩٢].

أمّا مكيافيلي فبنى علاقة الحاكم بالرعية على أساس الفلسفات المادية الحديثة التي تستند إلى التجربة في الغالب، ففي الوقت الذي يأمر فيه الإمام علي (عليه السلام) مالكًا الأشتر بالرفق بالرعية والإحسان إليهم، بقوله: «**وَلاَ تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ**»[٩٣]، فإن مكيافيلي يوجه الأمير أن يتصرف "كالحيوان، فهو يقلد الثعلب والأسد، لكن الأسد لا يستطيع أن يحمي نفسه من الفخاخ، والثعلب

غير قادر على مواجهة الذئاب، على المرء إذن أن يكون ثعلبًا ليواجه الفخاخ ويكون أسدًا ليخيف الذئاب"[٩٤]، ويصور مكيافيلي أيضًا سلطة الأمير بأنها منقطعة الصلة عن أي قواعد أخلاقية، وذلك تحت مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة)، ورأى أن السلطة دائمًا قاسية وغاشمة وظالمة ومستغلة، وأن هذا من حقها، ولو لم تفعل ذلك لاستضعفتها الرعية وأقصتها من الحكم[٩٥].

إذن شتَّان بين سياسة الإمام علي (عليه السلام) القائمة على العدل والمساواة، وسياسة مكيافيلي القائمة على الماديَّة والتجربة والمصلحة.

الخاتمة

ظهر للباحث عدّة نتائج بعد الخوض في مضامين ثنائية العلاقة بين الحاكم والرعية قراءة في أقوال الإمام علي (عليه السلام) والسياسي الإيطالي مكيافيلي كان أبرزها:

١) وجود الحاكم ضرورة إنسانية؛ لأن طبيعة البشر المدنية وهم بحاجة مُلحة إلى حاكم يُنظم شؤونهم، ويقضي بينهم، ويُدافع عنهم، وتوجب الفطرة أن يكون الحاكم عادلًا، وفيما لو تعذَّر وجوده فلا بد من حاكم آخر ولو كان جائرًا.

٢) وجد الباحث أن الإمام عليًّا (عليه السلام) يُقرر بأن واجب الحكومات تجاه الرعية هو لتنظيم شؤونهم السياسية والاجتماعية والقضائية والاقتصادية، بينما يرى مكيافيلي أن جميع الدول تمارس السلطة للسيطرة على الشعوب واستغلالها.

٣) يُقرّر الإمام علي (عليه السلام) بأن (لَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلاَّ بِصَلاَحِ

الْـوُلاَةِ، وَلاَ تَصْلُـحُ الْـوُلاَةُ إِلاَّ بِاسْـتِقَامَةِ الرَّعِيَّـةِ)، فيـما يذهـب مكيافيـلي إلى أن بإمـكان الأمـير اسـتعمال المكـر والحيلـة في إدارة شـؤون البـلاد إن لم يكـن مقتـدرًا.

٤) إنَّ الإمـام عليًّـا (عليـه السـلام) يؤكـد صـلاح الرعيـة عـن طريـق تثقيفهـم بمعرفـة مـا لهـم مـن حقـوق ومـا عليهـم مـن واجبـات؛ ليعملـوا عـلى وفـق ذلـك قـولًا وفعـلًا.

٥) أوجـد مكيافيـلي مبـدأ (الغايـة تـبرر الوسـيلة) في رسـم سياسـة جائـرة ظالمـة للحـكام تجـاه الرعيـة قوامهـا المصلحـة الشـخصية وحـب الـذات.

الهوامش:

(١) نفحات القرآن، ناصر مكارم الشيرازي: ١٠/ ١١.

(٢) نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الخطبة: ٤٠.

(٣) ظ: الفكر السياسي في رؤية الإمام علي (عليه السلام)، علي جميل عبد الموسوي: ١٦٠.

(٤) ظ: الأمير، مكيافيلي: ٢١.

(٥) المصدر نفسه: ٢١.

(٦) ظ: المصدر نفسه: ٢٤- ٢٥.

(٧) المصدر نفسه: ٣٥.

(٨) عهد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى والي مصر الصحابي مالك الأشتر، فليح السوداني: ١٥.

(٩) نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الخطبة: ١٧٣.

(١٠) ظ: جمهورية الحكمة في نهج البلاغة، حسن عباس نصر الله: ٨٩.

(١١) الأمير، مكيافيلي: ٣٨.

(١٢) المصدر نفسه: ٤٠.

(١٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٣/ ٤٦٦.

(١٤) نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، باب المختار من حكم أمير المؤمنين (عليه السلام) ومواعظه: ٥٨٢.

(١٥) الأمير، مكيافيلي: ٩٠.

(١٦) ظ: المصدر نفسه: ٩٠- ٩١.

(١٧) نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، باب المختار من حكم أمير المؤمنين (عليه السلام) ومواعظه: ١٦٦.

(١٨) نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، باب المختار من كتب أمير المؤمنين (عليه السلام) ورسائله إلى أعدائه وأمراء بلاده: ٥٣.

(١٩) جمهورية الحكمة في نهج البلاغة، حسن عباس نصر الله: ٨٩.

(٢٠) ظ: الأمير، مكيافيلي: ٩١.

(٢١) نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، باب المختار من

كتب أمير المؤمنين (عليه السلام) ورسائله إلى أعدائه وأمراء بلاده: ٤٨٠.

(٢٢) ظ: الأمير، مكيافيلي: ٨٦- ٨٧.

(٢٣) نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، باب المختار من كتب أمير المؤمنين (عليه السلام) ورسائله إلى أعدائه وأمراء بلاده: ٥٣.

(٢٤) الأمير، مكيافيلي: ٨٢.

(٢٥) المصدر نفسه: ٨٤.

(٢٦) من وحي نهج البلاغة: ٦٨.

(٢٧) نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، باب المختار من كتب أمير المؤمنين (عليه السلام) ورسائله إلى أعدائه وأمراء بلاده: ٥٣.

(٢٨) نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، باب المختار من كتب أمير المؤمنين (عليه السلام) ورسائله إلى أعدائه وأمراء بلاده: ٥٣.

(٢٩) ظ: الأمير، مكيافيلي: ٩٤- ٩٥.

(٣٠) البناء القيمي والتقوائي للراعي في عهد الإمام علي (عليه السلام) للأشتر النخعي، هادي عبد النبي التميمي وختام راهي مزهر: ٥٦.

(٣١) الأمير، مكيافيلي: ٩١.

(٣٢) نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، باب المختار من كتب أمير المؤمنين (عليه السلام) ورسائله إلى أعدائه وأمراء بلاده: ٥٣.

(٣٣) المصدر نفسه.

(٣٤) ظ: البناء القيمي والتقوائي للراعي في عهد الإمام علي (عليه السلام) للأشتر النخعي، هادي عبد النبي التميمي وختام راهي مزهر: ٦٢.

(٣٥) الأمير، مكيافيلي: ٨٩.

(٣٦) جمهورية الحكمة في نهج البلاغة، حسن عباس نصر الله: ٩٣.

(٣٧) البناء القيمي والتقوائي للراعي في عهد الإمام علي (عليه السلام) للأشتر النخعي، هادي عبد النبي التميمي وختام راهي مزهر: ٨٤.

(٣٨) نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، باب المختار من

كتب أمير المؤمنين (عليه السلام) ورسائله إلى أعدائه وأمراء بلاده: ٥٣.

(٣٩) الأمير، مكيافيلي: ١١٧.

(٤٠) المصدر نفسه: ٢٢.

(٤١) نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، باب المختار من كتب أمير المؤمنين (عليه السلام) ورسائله إلى أعدائه وأمراء بلاده: ٥٣.

(٤٢) نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، باب المختار من كتب أمير المؤمنين (عليه السلام) ورسائله إلى أعدائه وأمراء بلاده: ٥٣.

(٤٣) الأمير، مكيافيلي: ٥٥.

(٤٤) المصدر نفسه: ٥٧.

(٤٥) البناء القيمي والتقوائي للراعي في عهد الإمام علي (عليه السلام) للأشتر النخعي، هادي عبد النبي التميمي وختام راهي مزهر: ٩١.

(٤٦) نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، باب المختار من كتب أمير المؤمنين (عليه السلام) ورسائله إلى أعدائه وأمراء بلاده: ٥٣.

(٤٧) ظ: الكليات، أبو البقاء الكفوي: ٨٧٢؛ التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي: ٣١٧.

(٤٨) ظ: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر وآخرون: ٣/ ٢١٣٠.

(٤٩) نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، باب المختار من كتب أمير المؤمنين (عليه السلام) ورسائله إلى أعدائه وأمراء بلاده: ٥٣.

(٥٠) الأمير، مكيافيلي: ٥٩.

(٥١) المصدر نفسه: ٦٢.

(٥٢) عهد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لمالك الأشتر دراسة تحليلية في ضوء علم النّص، عبد الكاظم محسن الياسري: ٤٢.

(٥٣) نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، باب المختار من كتب أمير المؤمنين (عليه السلام) ورسائله إلى أعدائه وأمراء بلاده: ٥٣.

(٥٤) الرؤية السياسية عند الإمام علي بن

أبي طالب (عليه السلام) قراءة في عهده إلى مالك الأشتر، شاكر مجيد كاظم: ٦٨.

(٥٥) المصدر نفسه: ٦٨.

(٥٦) المصدر نفسه: ٦٨.

(٥٧) نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، باب المختار من كتب أمير المؤمنين (عليه السلام) ورسائله إلى أعدائه وأمراء بلاده: ٥٣.

(٥٨) الأمير، مكيافيلي: ٥٧.

(٥٩) ظ: المصدر نفسه: ٥٧.

(٦٠) ظ: المصدر نفسه: ٥٧.

(٦١) الأمير، مكيافيلي: ٥٧- ٥٨.

(٦٢) الإدارة والأسلوب القيادي في نهج البلاغة، هاشم حسين ناصر المحنك: ٢٦٣.

(٦٣) المصدر نفسه: ٢٦٧.

(٦٤) نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الخطبة: ٢١٦.

(٦٥) في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ١/ ٢٢٩.

(٦٦) الأمير، مكيافيلي: ١١٧.

(٦٧) نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الخطبة: ٢١٦.

(٦٨) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ١/ ٢٢٩.

(٦٩) شرح نهج البلاغة، محمد كاظم القزويني الحائري: ١/ ٢٥٠، وينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الخوئي: ٦/ ٧١.

(٧٠) الأمير، مكيافيلي: ٥٥.

(٧١) المصدر نفسه: ٤٩.

(٧٢) نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الخطبة: ٢١٦.

(٧٣) الإدارة والأسلوب القيادي في نهج البلاغة، هاشم حسين ناصر المحنك: ٢٦٨.

(٧٤) الأمير، مكيافيلي: ٤٦.

(٧٥) المصدر نفسه: ٤٦.

(٧٦) الأمير، مكيافيلي: ٩٠.

(٧٧) المصدر نفسه: ٩١.

(٧٨) في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ١/ ٢٣٠.

(٧٩) الإدارة والأسلوب القيادي في نهج البلاغة، هاشم حسين ناصر المحنك: ٢٦٨.

(٨٠) الأمير، مكيافيلي: ٢٢.

(٨١) ظ: المصدر نفسه: ٩٠.

(٨٢) المصدر نفسه: ٩٠.

(٨٣) ظ: الإمام علي (عليه السلام) التدبير القيادي للدولة، مهدي حسين التميمي: ١١٠- ١١١؛ البناء القيمي والتقوائي للراعي في عهد الإمام علي (عليه السلام) للأشتر النخعي، هادي عبد النبي التميمي وختام راهي مزهر: ٥٣-٥٤.

(٨٤) نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الخطبة: ٢١٦.

(٨٥) الإدارة والأسلوب القيادي في نهج البلاغة، هاشم حسين ناصر المحنك: ٢٦٤.

(٨٦) نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الخطبة: ٢١٦.

(٨٧) ظ: البناء القيمي والتقوائي للراعي في عهد الإمام علي (عليه السلام) للأشتر النخعي، هادي عبد النبي التميمي وختام راهي مزهر: ٥٤- ٥٥.

(٨٨) الأمير، مكيافيلي: ٩١.

(٨٩) المصدر نفسه: ٩١.

(٩٠) المصدر نفسه: ٩١.

(٩١) المصدر نفسه: ٩١.

(٩٢) نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الخطبة: ٢١٦.

(٩٣) نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، باب المختار من كتب أمير المؤمنين (عليه السلام) ورسائله إلى أعدائه وأمراء بلاده: ٥٣.

(٩٤) الأمير، مكيافيلي: ٨٩- ٩٠.

(٩٥) ظ: صلاح الراعي وإصلاح الرعية قراءة في عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك الأشتر النخعي، عبد الزهرة جاسم الخفاجي: ٨٤- ٨٥.

المصادر والمراجع

١) الإدارة والأسلوب القيادي في نهج البلاغة، هاشم حسين ناصر المحنك، دار أنباء للطباعة والنشر، ١٩٩١م.

٢) الإمام علي (عليه السلام) التدبير القيادي للدولة، د. مهدي حسين التميمي، بلا دار نشر، ١٤٢٦هـ- ٢٠١٥م.

٣) البناء القيمي والتقوائي للراعي في عهد الإمام علي للأشتر النخعي، د. هادي عبد النبي التميمي و د. ختام راهي مزهر الحسناوي، مؤسسة علوم نهج البلاغة في العتبة الحسينية المقدسة، ١٤٣٨هـ- ٢٠١٧م.

٤) التوقيف على مهمات التعاريف، الشيخ عبد الرؤوف محمد بن تاج العارفين المناوي (١٠٣١ هـ)، تحـ: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١١م.

٥) جمهورية الحكمة في نهج البلاغة أو فلسفة الدولة في الإسلام، د. حسن عباس نصر الله، دار القارئ، بيروت، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٦) الرؤية السياسية عند الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) قراءة في عهده إلى مالك الأشتر، د. شاكر مجيد كاظم، مؤسسة علوم نهج البلاغة في العتبة الحسينية المقدسة، ١٤٣٨هـ- ٢٠١٧م.

٧) شرح نهج البلاغة، عز الدين بن هبة الله المدائني المعروف بابن أبي الحديد المعتزلي (٦٥٦هـ)، تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ١٩٦٥م.

٨) صلاح الراعي وإصلاح الرعية قراءة في عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك الأشتر النخعي، د. عبد الزهرة جاسم الخفاجي، مؤسسة علوم نهج البلاغة في العتبة الحسينية المقدسة، ١٤٣٨هـ- ٢٠١٧م.

٩) عهد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى والي مصر الصحابي مالك الأشتر، إعداد: المستشار فليح السوداني، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العلوية المقدسة، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

١٠) عهد الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) لمالك الأشتر دراسة تحليلية في

ضوء علم النص، د. عبد الكاظم محسن الياسري، مؤسسة مسجد السهلة المعظم في أمانة مسجد السهلة المعظم، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

١١) الفكر السياسي في رؤية الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، د. علي جميل عبد الموسوي، مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدسة، ١٤٣٨هـ- ٢٠١٧م.

١٢) في ظلال نهج البلاغة محاولة لفهم جديد، الشيخ محمد جواد مغنية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٢م.

١٣) كتاب الأمير، نيقولا مكيافيلي، ترجمة: أكرم مؤمن، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ٢٠٠٤م.

١٤) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (١٠٩٤ هـ)، تحـ: د. عدنان درويش ومحمد المصري، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

١٥) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر وآخرون، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١٦) من وحي نهج البلاغة في الأخلاق والفلسفة والسياسة، إعداد: شعبة الدراسات والنشر، إصدارات قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العلوية المقدسة، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

١٧) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، الميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي، دار المحجة البيضاء، بيروت، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

١٨) نفحات القرآن، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، قم المقدسة، ١٣٨٤- ١٤٢٦هـ.

١٩) نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، جمع: أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى المعروف بالشريف الرضي (٤٠٦هـ)، تحـ: السيد هاشم الميلاني، منشورات قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العلوية المقدسة.

يا علي ولي الله

وا سیدہ
ماسین مظلوم اکیدہ
تا ایلا افضل العلیا ادرکینی

التفكير السليم وحدود معرفة الله
في نهج البلاغة

Common Sense and The Limits of Human Knowledge
Concerning Allah in Nahjul-Balagha

الباحث صلاح صبحي عبد
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
هيئة البحث العلمي

by Salah Subhi Abid
Ministry of Higher Education and Scientific Research
Scientific Research Authority

ملخص البحث

إن الذات الإلهية المقدسة كاملة من أي نقص، وهي غير متناهية وجودا. ولا تخضع لأيِّ قيدٍ أو قياس. وما يلزم هذا الوجود هو الوجوب والوحدة. والوحدة أعظم صفة من صفات الله عز وجل، وهذه الوحدة لا يقابلها إمكان التعددية وتمتاز هذه الوحدة بالثبات والسعة والإحاطة. وفي هذا البحث بيَّنا صفات التوحيد، والحدود التي يتم عنها الخوض في معرفة الله تعالى؛ لأن معرفة حقيقة الذات الإلهية وكنهه مستحيلة؛ لأنه دل على ذاته وقدرته من خلال مخلوقاته، وتناولنا الوحدانية في الإحاطة والسعة والصمدية والقوة والسلطان والديمومة والثبات، وتم إثبات أن جميع الموجودات وإن امتلكت بعض الصفات لكن تملكها جزئي وليس كاملًا، فأصبح من الممكن أن تتجلّى هذه الموجودات والإحساس والشعور بها عن طريق الحواس، لكن الوجود الكامل الذي يمتاز بالثبات والاستطاعة والقدرة والديمومة والصمدية التي لا تقبل التجزئة والتركيب لا يمكن أن تتجلّى لخلقه؛ لاستحالة استيعاب تجلّيه من قبل الموجودات الأخرى؛ لأنها فاقدة إلى عناصر تحمل التجلّي.

إن عملية التفكير لها أسباب ومقدمات، وللفرد طاقات وإدراكات محدودة، وعند استخدام آلية التفكير بشيء يفوق قدراته العقلية قد يسبب وقوعه بالوهم وانحراف الفكر عن مساره الصحيح إذا لم تكن المقدمات صحيحة. وإن طاقات الإنسان الكامنة أودعها الله تعالى لمنفعة الإنسان نفسه، وجعل له الآيات والآفاق برهانًا لتوحيده. وعندما يجمع الإنسان تلك الطاقات الذهنية الاستدلالية ويتوجه نحو الخلق ووجوده، فإنَّه يحصل على نتائج عدة مترابطة بأحقية الخلق وحكمة وعظمة ووحدانية الخالق. كما أن عملية التفكير في صفات الله وذاته على الرغم من أنها صعبة المنال، لكن قد يقع الإنسان بانحراف العقيدة والفكر ما لم يكن التفكر بالتدبر والتأمل والنظر، فإن القلوب قبل التفكر تكون غافلة، وإن التفكّر في كنه الذات الإلهية مستحيل؛ لأنه يمتنع على المحدود أن يحيط علمه بالمطلق الثابت.

قمنا في هذا البحث ببيان التفكير السليم وأنواعه وأهميته وتدرجه في نهج البلاغة، وفي هذا البحث تمت الاستعانة بآراء العلماء في التخصصات التربوية والنفسية وكذلك العلوم الإنسانية، والوقوف عند آرائهم حول التفكير السليم وآلياته.

تم في هذا البحث التعريف اللغوي والاصطلاحي لنهج البلاغة ولمعنى التفكير في المعاجم اللغوية.

الكلمات المفتاحية: نهج البلاغة، التفكير، الديمومة، الاستطاعة.

Abstract

Truth is that Divine Self is whole, oneness of Allah is the greatest because attributes of him. In this research we dealt with oneness attributes, Knowing the truth about Divine self is impossible as Allah shows hisself and power through his creatures. The process of thinking has reasons and intros and every individual has limited realizations and capacity, hence when he thinks beyond his mental capacity, he may get caught up in illusion if the intros incorrect. Allah has granted every human being abundant energy for the benefit of him, and has made signs as assurance of oneness.

In our research, we investigate the Types and importance Common Sense in Nahjul-Balagha, Scientists opinions about common sense and its mechanisms are used.

Keywords: NahjulBalagha, Thinking

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والحمد لله حمدًا كما يستحقه، الذي أنعم على عباده بنِعَمٍ جليَّة وواضحة، الذي لا تحصى نعماؤه على عباده مهما اجتهد فيه المجتهدون وتعجز الألسن عن حمده وشكره، اللهم واجعل صلواتك وبركاتك الدائمة سرمداً لا ينقطع أبدًا على خير مَنْ خَلَقْتَ وصفوة من اجتبيت وحجتك على خلقك ومبلّغ رسالاتك والحامل لأمانتك عبدك ورسولك والخاتم لرسالاتك، وعلى آله الكرام الذين جعلتهم عِدْلًا لكتابك ومنارًا للعلم ودعائم للدين، والدافعين عن المؤمنين والمبينين ما خفي من شريعتك بعد رسولك الأمين صلواتك عليهم أجمعين.

إن موضوع البحث سيقوم على دراسة موضوع تربوي ـنفسيـ عقائدي من صميم متطلبات الحياة الإنسانية للفرد والمجتمع الإسلامي، وسنقوم فيه بدراسة عملية التفكير السليم وحدود معرفة الله في نهج البلاغة، وطالما أكدت الشريعة المقدسة وحاملو لوائها على أهمية التفكير وبيان التوحيد والعوائق التي تكون سببًا في تقييد العقل ومنعه من استخدام طاقاته التي وهبها الله عزوجل إلى الفرد ليكون فردًا مؤثرًا وفاعلًا في مجتمعه.

ونقصد بالتفكير السليم تشخيص جميع المعوقات المادية أو المعنوية التي تعيق أو تحرف أو تمنع تحقق التفكير الصحيح، وتكون سببًا في انحراف عقيدة الفرد نفسه، وغالبا ما تكون خارجية مفروضة من التقاليد والأعراف والتسلط السياسي وغير

ذلك. وسنحاول في هذا البحث عن طريق نصوص نهج البلاغة وشروحه رصد واستقراء أنواع التفكير وتدرجه والتعرف على مصاديقه من خلال بحث موضوعي علمي أكاديمي يمر بمراحل تصورية للتعريف بالتفكير وتدرجه وصفات التوحيد من منظار النهج الشريف. ومن فرضيات البحث أن التفكير عملية طبيعية يقوم بها الإنسان إلّا أنها مهارة تحتاج إلى التطوير، وعدَّ نهج البلاغة التفكير فريضة إسلامية. إن التفكير السليم ومقدماته الصحيحة بصفات التوحيد ومقدمات العقائد يؤدي بالفرد أن يكون إنسانًا فاعلًا متزنًا واسع الأفق لإيمانه بأنه لا يوجد مؤثر في هذا الكون سوى الله عزوجل.

في هذا البحث تناولنا أنواع التفكير السليم ومجالاته وتدرجه وأهم صفات التوحيد التي تساهم بالنمو المعرفي لدى الإنسان ومن ثَمَّ ينعكس إيجابًا على تطور الفرد والمجتمع وهو يعد ضربًا من العبادة.

وسنعتمد على المنهج الاستقرائي من أجل البحث عن الأدلة وشواهدها من كتب التفسير وشروح النهج، وتلك الأدلة منهجها أيضا استدلالي، ويكون البحث فيها أساسي، فهو يهدف إلى إنتاج معرفي لأصل مهم في القرآن ونهج البلاغة وتوسعي لأنه يستند إلى معرفة علمية.

تمهيد

إن دراسة التفكير في نهج البلاغة تكمن أهميته في بيان أن التمسك بتوجيهات الإمام المعصوم الذي هو

عدل القرآن ينهض بالأمة الإسلامية ويرتقي بها خلافًا لما يشاع بأن سبب تخلف الأمة هو تمسكها بالتقليد الأعمى. إن الاهتمام بالتفكير والتأمل والنظر في الآيات الكونية والأنفسية والآفاقية والحوادث والسنن الاجتماعية تكون نتيجته تنمية العقل الإنساني وإدراكه. وقد دعا الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) الناس دعوة صريحة إلى التفكير، فقد حث الله تعالى الإنسان على ممارسة مهارة التفكير والنظر في الكون والتأمل في الظواهر الكونية المختلفة، قال تعالى ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]. وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) «فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمواتٍ، جَعَلَ سُفْلاَهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً، وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً، وَسَمْكاً مَرْفُوعاً، بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُهَا، وَلا دِسَارٍ يَنْظِمُهَا. ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الكَوَاكِبِ، وَضِيَاءِ الثَّوَاقِبِ، وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً، وَقَمَراً مُنِيراً: فِي فَلَكٍ دَائِرٍ، وَسَقْفٍ سَائِرٍ، وَرَقِيمٍ مَائِرٍ»[2]. كما حثَّ الإنسان على تحصيل العلم ومعرفة سنن الله وقوانينه في جميع ميادين العلوم المختلفة، قال تعالى ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[3]. وقال سيّد الموحدين «اِبْتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوَانٍ وَمَوَاتٍ، وَسَاكِنٍ وَذِي حَرَكَاتٍ، وَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ اَلْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صَنْعَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، مَا اِنْقَادَتْ لَهُ اَلْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ، وَمَسَلِّمَةً لَهُ، وَنَعَقَتْ فِي أَسْمَاعِنَا دَلاَئِلُهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ»[4]. ولم

يحث القرآن ونهج البلاغة الإنسان على التفكير والبحث العلمي في الظواهر الطبيعية فقط، وإنما حثه أيضاً على التفكير في نفسه وفي أسرار تكوينه البيولوجي والنفسي، وهو بذلك يدعوه إلى ارتياد جميع ميادين العلوم، قال تعالى ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾[٥]. وجاء في نهج البلاغة: «ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الاَرْضِ وَسَهْلِهَا، وَعَذْبِهَا وَسَبَخِهَا، تُرْبَةً سَنَّهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ، وَلاَطَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ، فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ وَوُصُولٍ، وَأَعْضَاءٍ وَفُصُولاً أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ، وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ، لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ، وَأَجَلٍ مَعْلُومٍ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثُلَتْ إِنْساناً ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا، وَفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا، وَأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا، وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، والاَذْوَاقِ والمَشَامِّ، وَالاَلْوَانِ وَالاَجْنَاس، مَعْجُوناً بِطِينَةِ الاَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالاَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ، وَالاَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ، والاَخْلاطِ الْمُتَبَايِنَةِ، مِنَ الحَرِّ والبَرْدِ، وَالبَلَّةِ وَالْجُمُودِ، وَالْمُسَاءَةِ وَالسُّرُورِ»[٦].

فجعل قابلية الإنسان على حلّ المشاكل واستنباط النتائج والكليات واستخراجها وتأطيرها ممَّا يجعل الفرد المسلم عنصرًا فاعلًا في النهوض بالأمة الإسلامية وجعلها أمة حضارية مؤمنة متيقنة "لا يستطيع أي إنسان مهما بلغ من النضج أن يكون مستقلًّا تمام الاستقلال، وهذا من جملة القصور المستولي على البشر لكن على من يريد أن يكون مفكّرًا أن يدرك أن عليه أن يبذل جهدًا

متواصلًا في بناء عقلية متحررة من كثير من القيود التي يواجهها في حياته"[٧]. وأيضًا تظهر أهمية دراسة التفكير السليم في نهج البلاغة في أنها تكون لإثبات أن التفكير السليم أحد الأصول الفكرية الذي تناولته روايات المعصومين (عليهم السلام) وحثت على ممارسته على وفق الضوابط الشرعية والعقلية، لذا يجدر بنا عند دراسة التفكير الوقوف على تعاريفه المتعددة التي تتعلق بالإنسان وتعريف نهج البلاغة صفوة كلام المعصوم (عليه السلام) الذي هو عدل القرآن الكريم.

المبحث الأول: التعريفات

أولًا: تعريف نهج البلاغة

لم يتم العثور في القواميس العربية على تعريف لغوي لمصطلح نهج البلاغة إلّا في حالة تجزئة المصطلح إلى مفردتين، ويكون التعريف خارجًا عن المحتوى والمفهوم الأساسي لمعنى نهج البلاغة، ولذلك سيتم تناول المعنى الاصطلاحي له.

قام بتأليف هذا الكتاب العلّامة الشريف الرضي الذي أستطاع فيه أن يجمع بعضًا من خطب وحكم ومواعظ الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) حتى أصبح كتاب نهج البلاغة من أوائل الكتب الموسوعية في علم البلاغة، كما تتنوع موضوعات هذا الكتاب بين معارف راقية في التوحيد والنصائح والمواعظ مع تحليلات للأحداث السياسية والاجتماعية ولكن الأقسام الأساسية هي الخطب والكتب والحكم.

ثانيا: تعريف التفكير

١- التفكير لغة:

قال الجوهري: "التفكر، والتأمل.

والاسم الفكر والفكرة"[٨].

وقال ابن فارس: "فكر: الفاء والكاف والراء تردّد القلب في الشيء، يقال: تفكر إذا ردّد قلبه معتبرا"[٩].

وفي اللسان: "الفَكر بالفتح والفِكر بالكسر: إعمال الخاطر في الشيء"[١٠].

وفي المصباح: "الفِكر بالكسر تردّد القلب بالنظر والتدبّر لطلب المعاني، ولي في الأمر فكر أي نظر وروية"[١١].

وفي القاموس "الفكر بالكسر ويفتح: إعمال النظر في الشيء، كالفِكرة والفِكرى بكسرهما، والجمع: أفكار"[١٢].

وفي المعجم الوسيط "فكر في الأمر فكرًا أعمل العقل فيه ورتب بعض ما يعلم ليصل فيه إلى المجهول. (أفكر) في الأمر: فكر فيه فهو مفكر. (فكر) في الأمر: مبالغة في فكر وفكر في المشكلة: أعمل عقله فيها ليتوصل إلى حلها، فهو مفكر"[١٣].

ويمكن القول إن التعريف اللغوي الجامع للتفكير بأنه عمل داخل العقل يرتب حسب الأولويات لحل إشكال معين عن نظر وروية.

٢- التفكير اصطلاحًا:

إن التفكير كمفردة يصعب تحديد تعريف اصطلاحي لها؛ لأن دلالاتها متشعبة في السلوك والمواقف المختلفة، ولذلك من الصعوبة تحديد مفهوم معين للتفكير أو اختيار تعريف معين يحدد أهدافه ونوعيته ووسائل التفكير ونتائجه، لذلك سنتعرض إلى عدد من التعريفات.

عرفه بعضهم: "هو عبارة عن سلسلة من النشاطات العقلية التي يقوم بها الدماغ عندما يتعرض لمثير يتم استقباله عن طريق الحواس

الخمس (اللمس والبصر والسمع والشم والذوق)"[١٤].

وقال الدكتور جروان في تعليم التفكير: إن التفكير بمعناه الواسع "عملية بحث عن معنى من الموقف أو الخبر، وقد يكون هذا المعنى ظاهرًا حينًا وغامضًا حينًا آخر"[١٥].

وذكر زهير الكرمي في الإنسان والتعليم: "هو نشاط عقلي يقوم به العقل والذاكرة لحل مشكلة أو إبداع جديد باستغلال المعطيات والمخزون في الذاكرة"[١٦].

والقصد من ذلك أنه ليس من الضروري أن يصل التفكير دائمًا إلى حل المشكلة وتفسيرها والموقف الذي استثاره، وقد يعزى سبب ذلك إلى الحاجة لوجود تفصيلات أخرى، أو أن الأمر المراد فهمه خارج قدرة العقل على التصور والاستيعاب مثل بعض الأمور الغيبية، وقد يكون لأسباب أخرى.

وذكر الدكتور زكريا فؤاد في التفكير العلمي: "إن التفكير هو التفكير المنظم المبني على مجموعة من المبادئ التي نطبقها في كل لحظة دون أن نشعر بها شعورًا واعيًا، مثل مبدأ استحالة تأكيد الشيء ونقيضه في آن واحد والمبدأ القائل أن لكل حادث سببًا، وأن من المحال أن يحدث شيء من لا شيء"[١٧].

وتابع قائلًا: "هو النظر إلى الأمور بالاعتماد على العقل والبرهان المقنع بالتجربة أو الدليل"[١٨].

و"التفكير هو كل نشاط عقلي أدواته الرموز، أي يستعيض عن الأشياء والأشخاص والموقف والأحداث برموزها بدلًا من معالجتها معالجة فعلية واقعية"[١٩].

وممَّا تقدَّم فإن التفكير هو المهارة التي يستخدمها الإنسان بالاعتماد على عقله السليم الذي يكون متحررًا من الموانع الداخلية والخارجية التي تشكل عائقًا أمام تنمية تفكيره، والتي تمنعه من الوصول إلى الهدف النهائي والعلة الغائية وهي اليقين والإيمان المطلق بالله تعالى، وتكون نتيجته عن طريق التدبر والتأمل هي الهداية، وتكون له ثمرة علمية ويكون تفكيرًا سليمًا وصحيحًا.

ومن التعاريف اللغوية والاصطلاحية لمفهوم التفكير تم التوصل إلى:

١- إن التفكير يبدأ نتيجة لحدوث طارئ ما يستفز العقل.

٢- يسعى العقل عن طريق مهارة التفكير لإيجاد الحلول لمشكلة ما.

٣- التفكير نشاط عقلي وذهني.

٤- يعمل بخطوات متسلسلة و منتظمة.

٥- الاعتماد على الأسس الصحيحة والتخلص من الموانع التي تعيق التفكير، ومن ثمَّ يكون التفكير صحيحًا، وله ثمرة علمية، ونتيجته الهداية والوصول إلى العلة الغائية التي من أجلها خلق الإنسان.

المبحث الثاني: التفكير السليم في نهج البلاغة

أولًا: مجالات التفكير السليم:

أولى الإمام علي (عليه السلام) اهتماماً بالغاً بمسألة إعمال العقل من قبل الإنسان، و"المرتبة العقلية وهي الإدراك الكلي للأشياء المجردة عن الجسمية وعوارضها المادية، فهي إدراك للمعنى والوصف بنحو عام كالإنسان لا الصورة بنحو شخصي كهذا إنسان أو ذاك، وينقسم العلم

الحصولي في مرتبته العقلية إلى تصور وتصديق"[٢٠]. وذلك لكي يتمكن من إدراك السنن والقوانين في الحوادث والاعتبار بها، "ومن هنا كانت عملية الكسب المعرفي، والتي تعرف باسم التفكير، من أخطر الممارسات الإنسانية وأهمّها بالنسبة له، لكونه يفعل باختياره. والفعل الاختياري ينشأ من مبادئ وتصورات مرتسمة في ذهنه قد اكتسبها بعملية التفكير التي مر بيانها، فهو يبني دنيا هو يتحرك نحو آخرته على ضوء تلك المعلومات"[٢١]، وورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) «**رُبَّ عَالِمٍ قَدْ قَتَلَهُ جَهْلُهُ، وَعِلْمُهُ مَعَهُ لاَ يَنْفَعُهُ**»[٢٢]، فالمجالات التي يدعو إليها العقل إلى التفكير فيها هي على النحو الآتي:

١- **السنن الاجتماعية**: يعد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) من الشخصيات التي أكدت السنن الإلهية كما ذكرها في نهج البلاغة عن طريق خطبه وكتبه؛ إذ قال: «**إنّما أهلَكَ مَن كانَ قَبلَكُم أنَّهُم مَنَعُوا النـاسَ الحَقَّ فاشتَرَوهُ وأخَذُوهُم بالباطِلِ فاقتَدَوهُ**»[٢٣]. إن لله تعالى سننًا اجتماعية ثابتة وضعها لتستقيم المجتمعات الإنسانية وتزدهر وتؤدي الدور المناط بها من الرقي والتكامل الإنساني وعدم الالتزام بتلك السنن يؤدي إلى انهيار هذه الأمم وضياع حضارتها على الرغم ممَّا تملكه من قوة، لذلك حذر الإمام (عليه السلام) من اتباع أخطاء الأمم السابقة والاعتبار بمصيرهم و"السنن جمع سنة، وهي الطريقة المسلوكة في المجتمع، والأمر بالسير في الأرض لمكان الاعتبار بآثار الماضين من الأمم الغابرة، والملوك والفراعنة

والطغاة حيث لم ينفعهم شواهق قصورهم، ولا ذخائر كنوزهم، ولا عروشهم ولا جموعهم، وقد جعلهم الله أحاديث يعتبر بها المعتبرون، ويتفكه بها المغفلون"[٢٤].

٢- **الآيات الكونية**: تضمن نهج البلاغة من الخطب الكثيرة التي فيها تحمل أمر التكليف بالتفكر وتحث على عمل العقل للوصول إلى الهدف الغائي والنهائي وهو الله تعالى وأن التأمل والتفكر في الكون وهو من أجمل وأعظم وأرقى العبادات التي تجعلنا نكتشف عظمة الخالق عز وجل، وبهذا يحث الناس على التفكر في هذا الخلق البديع والعظيم، ليفهم كل شخص بقدر استعداده وقدرته على الاستيعاب من هذا الكون العظيم الذي لا يدرك له نهاية، ويرتوي من منهل أسرار الخلق البديع. أنّ هذا الكون العظيم بما فيه من نظام متقن وبديع، ونقوش رائعة، ولوحات خلابة هو كتاب بالغ العظمة، في كل حرف من حروفه، وكل سطر من أسطره دليل ساطع على وجود الله الخالق المبدع ووحدانيته وتفرّده، ونهج البلاغة عندما حث الإنسان أن يعمل عقله في التأمل والتفكر بالآيات الكونية يجب أن يكون عقله مجردًا من كل الخلفيات الاجتماعية والعقائدية وجميع مخلفات الماضي لتكون النتيجة النهائية نتيجة علمية وموضوعية.

وذكر محمد راتب النابلسي في مقومات التفكير: "ويتفكرون فعل مضارع يفيد الخبر لكن الخبر يأتي في القرآن في معرض الإنشاء والأمر، أي أن المؤمنين من شأنهم التفكر في خلق السماوات والأرض، وهو

لازم من لوازمهم، وخصيصة من خصائصهم، وسمة من سماتهم"[٢٥].

واستطرد النابلسي: "وآيات الله الكونية وسننه والتي هي مجال التفكر والتفكير يمتد ليبدأ من المجرات والكواكب والمذنبات والأبراج والسماء والأرض وما فيها من جبال وأنهار وأسماك وأطيار وأنواع لا تحصى من النباتات"[٢٦]. قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في التأمل والتفكر بالآيات الكونية: «اِبْتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوَانٍ وَمَوَاتٍ، وَسَاكِنٍ وَذِي حَرَكَاتٍ، وَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ اَلْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صَنْعَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، مَا اِنْقَادَتْ لَهُ اَلْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ، وَمَسَلِّمَةً لَهُ، وَنَعَقَتْ فِي أَسْمَاعِنَا دَلاَئِلُهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ»[٢٧].

٣- الآيات الأنفسية: جاءت دعوة القرآن لتؤكد على الإنسان أن يقوم بمهارة التفكير في أقرب شيء إليه وهي النفس؛ إذ وضح أمير المؤمنين (عليه السلام) سر خلق الإنسان وكيفيته ليعطي الدليل على عظمة الصانع: «ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الاَرْضِ وَسَهْلِهَا، وَعَذْبِهَا وَسَبَخِهَا، تُرْبَةً سَنَّهَا بالمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ، وَلاَطَهَا بِالبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ، فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاء وَوُصُول، وَأَعْضَاء وَفُصُول أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ، وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ، لِوَقْت مَعْدُود، وَأَجَل مَعْلُوم، ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثُلَتْ إِنْساناً ذَا أَذْهَان يُجِيلُهَا، وَفِكَر يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا، وَأَدَوَات يُقَلِّبُهَا، وَمَعْرِفَة يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، والاَذْوَاقِ والمَشَامِّ، وَالاَلْوَانِ وَالاَجْنَاس، مَعْجُوناً بطِينَةِ الاَلْوَانِ المُخْتَلِفَةِ، وَالاَشْبَاهِ المُؤْتَلِفَةِ،

وَالاَضْـدَادِ الْمُتَعَادِيَـةِ، والاَخْـلاطِ الْمُتَبَايِنَـةِ، مِـنَ الحَـرِّ والـبَرْدِ، وَالبَلَّـةِ وَالجُمُـودِ، وَالْمُسـاءَةِ وَالـسُّرُورِ»[٢٨].

ثانيا: تدرج التفكير في نهج البلاغة

عنـد تتبـع نهـج البلاغـة واهتمامـه بقضيـة التفكـير نسـتنتج أن الإمـام (عليـه السـلام) اسـتخدم التـدرج بالارتقـاء بمسـتوى التفكـير الإنسـاني لكـي يصـل إلى أعـلى مسـتويات التدبـر والتأمـل ليصـل إلى مرحلـة الإيـمان المطلـق واليقـين بعظمـة الله (جـل وعـلا) وهـو العلـة الغائيـة ومبتغـى كل الموجـودات. فإن نهـج البلاغـة قـد بـدأ يحـث الإنسـان عـلى التأمـل والتدبـر والنظـر والتفكـير في الآيـات الكونيـة والآيـات الآفاقيـة التـي هـي أول مراحـل التفكـير واليقـين، فالتفكـير بالآيـات الكونيـة يجعـل الإنسـان مكلفًا بالتفكـر في هـذا الكـون بـكل مكوناتـه الـذي خلـق مـن أجـل أن يتوافـق مـع الإنسـان وبإمـكان كل التخصصـات أن تصـل إلى الهـدف الرئيـس عـن طريـق قـراءة الكـون ليصـل إلى الله، ومـن ثـم انتقـل نهـج البلاغـة ليحـث الإنسـان عـلى النظـر في السـنن التاريخيـة ليصـل إلى مرحلـة يعقلـون، وبعـد ذلـك انتقـل إلى الآيـات الأنفسـية التـي هـي أعظـم وأدق الطـرق في الوصـول إلى الله فـإن الطريـق إلى الله يمـر عـن طريـق معرفـة الله. ولذلـك يشـير إلى طريـق الآفـاق والأنفـس التـي تسـمى المعرفـة الآفاقيـة والمعرفـة الأنفسـية، فبعـض الخطـب تتحـدث عـن الآيـات الكونيـة مثـل الشـمس والقمـر والليـل والنهـار والظلـمات وغيرهـا والثانيـة تتحـدث عـن الإنسـان وبدنـه وروحـه وحواسـه كالسـمع والبـصر والشـم واللمـس وغيرهـا التـي تكـون الأداة

التي يمكن عن طريقها تحقق المعرفة الحسية للوجود الخارجي، وتعد إحدى أدوات التفكير فضلا عن العقل وتعني وجود مدبر عالم خبير وعظيم، ولكن عند تتبع رأي المحققين نجد أن الآيات الأنفسية أنفع وأجدى من المعرفة الآفاقية على الرغم من اشتراكهما بالهداية إلى الله تعالى؛ لأن التفكر في الآيات الآفاقية يحتاج إلى مقدمات وأدلة وبراهين لغرض الوصول إلى نتائج وتنتهي بزوال المقدمات. لكن التفكر والنظر والتأمل بالنفس ومتعلقاتها يبقى لأنه ثابت ولا يحتاج إلى مقدمات وأدلة؛ لأن مشاهدة عظمة الخالق فيها لا تحتاج إلى أدلة وبراهين "وكون السير الأنفسي أنفع من السير الآفاقي لعله لكون المعرفة النفسانية لا تنفك عادة من إصلاح أوصافها وأعمالها بخلاف المعرفة الآفاقية أن كون معرفة الآيات نافعة، إنما هو لأن معرفة الآيات بما هي آيات موصلة إلى معرفة الله سبحانه وأسمائه وصفاته وأفعاله، ككونه تعالى حيًّا لا يعرضه موت، وقادرًا لا يشوبه عجز، وعالمًا لا يخالطه جهل، وأنه تعالى هو الخالق لكل شيء، والمالك لكل شيء، والرب القائم على كل نفس ما كسبت، خلق الخلق لا لحاجة منه إليهم، بل لينعم عليهم بما استحقوه، ثم يجمعهم ليوم الجمع لا ريب فيه، ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى"[٢٩].

"فقد تحصل أن النظر في آيات الأنفس أنفس وأغلى قيمة وأنه هو المنتج لحقيقة المعرفة فحسب، وعلى هذا فعدَّه (عليه السلام) إياها أنفع المعرفتين لا معرفة متعينة إنما هو

لأن العامة من الناس قاصرون عن نيلها، وقد أطبق الكتاب والسنة وجرت السيرة الطاهرة النبوية وسيرة أهل بيته الطاهرين على قبول من آمن بالله عن نظر آفاقي وهو النظر الشائع بين المؤمنين، فالطريقان نافعان جميعا لكن النفع في طريق النفس أتم وأغزر. وفي الدرر والغرر، عن علي (عليه السلام) قال: «العارِفُ مَن عَرَفَ نَفسَهُ فَأعتَقَها، ونَزَّهَها عَن كُلِّ ما يُبَعِّدُها» أقول: أي أعتقها عن إسارة الهوى ورقية الشهوات. وفيه عنه (عليه السلام) قال: «أعظَمُ الجَهلِ جَهلُ الإِنسانِ أمرَ نَفسِهِ». وفيه، عنه (عليه السلام): قال: «أَعْظَمُ الْحِكْمَةِ مَعْرِفَةُ الإِنْسانِ نَفْسَهُ». وفيه، عنه (عليه السلام): قال: «أكْثَرُ النّاسِ مَعرِفَةً لنَفْسِهِ أخْوَفُهُم لرَبِّهِ». أقول: وذلك لكونه أعلمهم بربه وأعرفهم به، وقد قال الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾. وفيه، عنه (عليه السلام): قال: «أفضل العقل معرفة المرء بنفسه فمن عرف نفسه عقل، ومن جهلها ضل». وفيه عنه (عليه السلام): قال «عَجِبتُ لِمَن يُنشِدُ ضالَّتَهُ وقَد أضَلَّ نَفسَهُ فَلا يَطلُبُها» وفيه، عنه (عليه السلام) قال: «عَجِبْتُ لِمَنْ يَجْهَلُ نَفْسَهُ، كَيْفَ يَعْرِفُ رَبَّهُ؟»[٣٠].

ويتبين من ذلك أن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) حث الإنسان على التدبر والتفكر والتأمل بكل الآيات الموجودة في الكون ليبدأ من الإيمان بوجود خالق ومدبر عظيم ثم يعرض نتائج تفكيره على العقل لكي يكون إيمانه راسخًا وثابتًا ومن ثم يبدأ بالتفكير بأعظم خلق الله وهي

الأنفس حتى يصل إلى مرحلة اليقين بمعرفة الله تعالى وهذه ذروة المعرفة، وقال صدر المتألهين "علم النفس هو أمّ الحكمة وأصل الفضائل، وهي أمّ الصناعة ومعرفتها أشرف المباحث بعد إثبات المبدأ الأعلى ووحدانيته، والجاهل بمعرفتها لا يستحق أن يقع عليه اسم الحكمة وإن أتقن سائر العلوم، فالعلم المشتمل على معرفتها أفضل من غيره"(٣١).

وقال حسن زاده الآملي: "فمبحث النفس من غرر المباحث الحكمية في جميع الصحف العلمية. وألذّ المعارف وأعزّها بعد معرفةِ الله تعالى شأنه، معرفةُ الإنسان نفسه، وهي من أهمّ المعارف وأجلّها، كيف لا ومعرفتها أمّ الحكمة وأصلها، ومفتاح خزائن الملكوت، ومرقاة معرفة الرب، لكونها مثال مفطرها ذاتاً وصفة وفعلاً، ولا طريق إلى حصول معرفة الرب إلّا من معرفة الآفاق والأنفس. والمروي عن الوصي الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) والصورة الإنسانية هي أكبر حجج الله على خلقه، وهي الكتاب الذي كتبه بيده، وهي الهيكل الذي بناه بحكمته، وهي مجموع صور العالمين، وهي المختصرة من اللوح المحفوظ وهي الشاهدة على كل غائب، وهي الحجة على كل جاحد، وهي الطريق المستقيم إلى كل خير، وهي الجسر الممدود بين الجنة والنار"(٣٢).

ثالثًا: انواع التفكير السليم

١- التفكير الذي له علة غائية: هذا النوع من التفكير يهدف إلى ربط الإنسان بالخالق (جل وعلا) من خلال ربط كل تفصيل وحركة

ونشاط من حياته بالعلة النهائية التي من أجلها خلق الإنسان وهي عبادة الله تعالى، وبذلك تكون كل حركاته وسكناته موجهة بشكل كامل لتحقيق هذا الهدف الغائي، والذي يقيد هذا الهدف هو الفطرة التي فطر الإنسان عليها التي يجب أن تكون سليمة من الشوائب والانحرافات؛ لكي يحقق الإنسان هذا الهدف، وهذا ما يميز الإنسان المؤمن عن غيره.

إن عالم العبادة في نهج البلاغة عالم مليء بالحركة والمعرفة والسير والسلوك لأجل تزكية الروح وطهارتها، وما أسعد من يقدم إلى ذلك العالم - على العبادة - في نهج البلاغة! ليعلله نسيمه المحيي للأرواح والقلوب! فإن من يقدم إلى ذلك العالم لا يبالي بعد ذلك أن يضع رأسه في دنيا المادة على الحرير أو اللبنة، قال: «**طُوبَى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرْضَهَا، وَعَرَكَتْ بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا، وَهَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ غُمْضَهَا، حَتَّى إِذَا غَلَبَ الْكَرَى عَلَيْهَا افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا، وَتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا، فِي مَعْشَرٍ أَسْهَرَ عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ، وَتَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ، وَهَمْهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفَاهُهُمْ، وَتَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ، ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**»[٣٣].

٢- **التفكير التنبؤي**: هو التفكير الذي من خلاله يستطيع الإنسان أن يستقرئ المستقبل وأحداثه من خلال مقدمات الواقع الذي يعيشه على وفق ضوابط السنن الإلهية التي تتحكم بكل مسارات الحياة، فبعضهم قد أيده الله بالوحي وهم الأنبياء والرسل، وبعضهم يستشرف

المستقبل عن طريق السنن الإلهية التي تحكم شؤون الحياة وغيرها من السنن. ولقد استعمل أمير المؤمنين (عليه السلام) هذه الطريقة مع أتباعه في معركة النهروان التي قاتل فيها الخوارج؛ إذ انتشرت الإشاعات بين صفوف جيش الإمام (عليه السلام) أنّ الأعداء قد عبروا نهر النهروان وقد أخبروه بهذا الخبر أكثر من مرَّة، ولكن الإمام (عليه السلام) كان على بصيرة من أمره، فكان يقول لهم: «مَصَارِعُهُمْ دُونَ النُّطْفَةِ، وَاللهِ لا يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ وَلا يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ»[٣٤].

٣- **التفكير الناقد**: هو التفكير الذي يكتشف خطأ ما في فكرة أو اتجاه معين أو تناقض هذه الفكرة مع الأدلة الحسية أو العقلية. وهذا النوع يرتبط بإدراك الفرد نفسه والذي يتطلب تنميته ليكتسب مهارات عالية تمكنه من تشخيص الخلل أو التعارض عن طريق التفكير بشكل واضح ودقيق و"هو عملية ترتبط بذات الفرد المفكر، وتعتمد على التمعن في تحليل الموضوع أو المشكلة ممَّا يتطلب مهارات هذا النوع من التفكير بالوضوح والدقة وصحة الفكرة والعمق معايير تطبق على التفكير المنضبط"[٣٥]. و"أن التفكير الناقد يمكن أن يتوجه إلى الذات فيقوم الإنسان بمحاسبة نفسه والتفكير في أعماله وأقواله ونقدها على جهة العموم، وفي مواطن المصائب والشدائد على جهة الخصوص، ومن شأن هذا أن يقضي على التفكير التبريري الذي يكرس الخطأ ويحجب صاحبه عن المعالجة السديدة الواعية لنقصه

وقصوره"[٣٦]، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) «مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَاماً فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ وَلْيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ وَمُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَمُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالْإِجْلَالِ مِنْ مُعَلِّمِ اَلنَّاسِ وَمُؤَدِّبِهِمْ»[٣٦].

٤- **التفكير الشمولي**: إن الوقوف على أرضية لفهم أبعاد حكومة الإمام علي (عليه السلام) ورصد استراتيجيته وأيديولوجيته على وفق المعطيات التاريخية يوقفنا عند حقيقة أن الحكومة في عهده كانت حكومة دينية متكاملة تعتمد على الرؤية الإلهية الشمولية لأبعاد الكون والإنسان والحياة، وأنه لا مجال لحكم العقل النظري والعملي من دون الرجوع إلى النص القرآني والنص النبوي، وهذا لا يعني بالضرورة عدم إعمال الاستشارة والخبروية البشرية من قبل المتخصصين في تلك الدولة وخصوصاً في المجال العسكري والإداري حيث تضمنت الوثيقة التي بعث بها الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك الأشتر (رحمه الله) والي مصر، وهذا النوع من التفكير يتعلّق بدراسة جميع جوانب المشكلة أو أي ظاهرة معينة، وتكون دراسته مستوفية لكل جوانب الموضوع الحالية والنتائج المستقبلة أي المقدمات والنتائج والأسباب الظاهرية والباطنية التي تتعلق بالموضوع نفسه فيكون قادرًا على اتخاذ القرار بشكل صحيح، وأن يكون شاملًا لكل جوانب الموضوع ونتائجه، وبذلك لا يكون قراره متحيّزًا أو متبوعًا بانحراف عقائدي أو فكري.

٥- **التفكير المقارن**: هو التفكير الذي يستعمل المقارنة بين ضدين بشرط التقابل، مثل: الجنة والنار، والدنيا والآخرة، والمؤمن والكافر، وحزب الرحمن وحزب الشيطان، ويستعمل أيضًا بين منهجين متضادين أو نظريتين لتحديد نتائج عمل فريقين مختلفين. وهذا التفكير يرتبط بشكل مباشر بإرادة الإنسان وحرية الاختيار ليحدد اتجاه حياته ويتحمل نتائج مقدماته، والأمثلة كثيرة في القرآن الكريم، منها على سبيل المثال لا الحصر: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[٣٨].

٦- **التفكير المنطقي**: هذا النوع من التفكير يؤدي فيه العقل دورًا كبيرًا ومؤثرًا، فهو يستخدم منهجية في ترتيب الأولويات التي تخص الموضوع أو الفكرة ترتيبًا منطقيًّا، ويكون ترتيبها على شكل متسلسل حيث تبدأ المرحلة الثانية من حيث انتهت المرحلة الأولى ولا تكون حركتها بمعزل عنها، وتكون نتائج هذا التفكير صحيحة وعقلية ويقينية؛ لأن مقدمتها قد بنيت على أساس صحيح. وأكد القرآن على هذا النوع لما له من تأثير بالغ على عقائد الناس لتكون ثابتة بشكل راسخ، ومثاله في القرآن: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٣٩].

٧- **التفكير الإبداعي**: لقد حثَّ الإمام (عليه السلام) على هذا التفكير بل استعمل المكافأة والثواب حتى وإن أصابه خطأ لكي يحث الإنسان على استثمار قدراته العقلية وإبداعاته

ويبعده عن الجمود في جميع العلوم، وكان للمسلمون مساهمات كبيرة في جانب الإبداع في العلوم كافة، ومن مظاهر الإبداع النظر بما يتميز به القادة الذين تقع على عاتقهم مسؤولية التغيير والإتيان بنظرية جديدة تخالف المألوف، "ومن تلك المعارف ما اصطلح على تسميته بالتفكير الإبداعي، الذي هو أحد أنماط التفكير المركب، الذي يمكن الوصول إليه بعد إخضاع التفكير الأساسي لسلسلة من الأساليب التنموية المختلفة، التي من شأنها الرقي بذلك المستوى المتقدم من التفكير، وهذا هو منهج الإسلام، الذي اعتمده في خطابه للعقل الإنساني"[٤٠].

خامسا: التفكير السليم في نهج البلاغة:

إن عملية التفكير لها فضائل ومميزات كثيرة، فهي مفتاح الوصول بالعقل إلى مدارك ومعارف عظيمة، و "إن العقل في الإسلام جزء مهمّ من وجود الإنسانيّة، كما أن الإيمان أعمق بكثير من المعرفة، إنّه ميل وتسليم وخضوعٌ ومحبّة واعتقاد، ولا يكفي مجرّد العلم والمعرفة، وإن كانت أحد أركان الإيمان إلّا أنّها ليست كلّ الإيمان، فقد يعلم المرء بشيءٍ ولا يحبَّه ولا يميل إليه، فهل يُقال إنّه مؤمن به"[٤١]. وتعد هذه العملية مقدمة إلى مدارك اليقين والإيمان بالله تعالى؛ لأن التفكير السليم الذي يبدأ بمقدمات ومعطيات أساسية صحيحة بالتأكيد سيصل إلى نتائج صحيحة على الرغم من تنوع التفكير إلى صحيح وممنوع أو محرم، فالممنوع ما كان مجاله التفكير بالذات الإلهية وكنهه، أما

التفكير بالذات لإثبات وحدانية الله وعظيم صنعه، فإنه محمود وصحيح. فكان لابد من الانتقال بالتفكير خلال مراحل ومقدمات لغرض الوصول إلى الغاية السامية والنهائية وهي الإيمان بالله عز وجل. ولأن نهج البلاغة استمد بيانه وبلاغته من إمام معصوم وهو عِدْلُ القرآن الذي استمد هدايته وبلاغته من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة وعلى آله الكرام، فكان من الطبيعي أن يهتم بما اهتم به القرآن الكريم ورسوله الكريم، فلذلك أخذت مهارة التفكير وآلياته حيزًا مهمًّا في خطب وحكم أمير المؤمنين (عليه السلام).

وقد وردت في نهج البلاغة خطبًا وحكمًا كثيرة في بيان قدرة الصانع وعجائب المصنوعات، وعند النظر إلى تنوع وتمام خلقته تعرف عظمة وقدرة الصانع، ولذلك ورد في نهج البلاغة حول قدرة الله وعظيم صنعه التي تستوجب من كل لبيب النظر والتأمل: «**الْحَمْدُ لله الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ وَلَا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ وَلَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ وَلَا وَقْتٌ مَعْدُودٌ وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ وَنَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ وَوَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِهِ**»[٤٢].

"وأمَّا قوله الذي لا يدركه فيريد أن همم النظار وأصحاب الفكر وإن علت وبعدت فإنها لا تدركه تعالى ولا تحيط به وهذا حق؛ لأن كل متصور فلا بد أن يكون محسوسًا أو متخيلًا أو موجودًا من فطرة النفس

والاستقراء يشهد بذلك، مثال المحسوس السواد والحموضة، ومثال المتخيل إنسان يطير أو بحر من دم، ومثال الموجود من فطرة النفس تصور الألم واللذة، ولما كان البارئ سبحانه خارجًا عن هذا أجمع لم يكن متصورًا. فأمَّا قوله الذي ليس لصفته حد محدود فإنه يعني بصفته هاهنا كنهه وحقيقته، يقول ليس لكنهه حد فيعرف بذلك الحد قياسًا على الأشياء المحدودة؛ لأنه ليس بمركب وكل محدود مركب. ثم قال: ولا نعت موجود أي ولا يدرك بالرسم كما تدرك الأشياء برسومها، وهو أن تعرف بلازم من لوازمها وصفة من صفاتها، ثم قال: ولا وقت معدود ولا أجل ممدود فيه إشارة إلى الرد على من قال إنا نعلم كنه البارئ سبحانه لا في هذه الدنيا بل في الآخرة، فإن القائلين برؤيته في الآخرة يقولون إنا نعرف حينئذ كنهه، فهو (عليه السلام) رد قولهم وقال: إنه لا وقت أبدا على الإطلاق تعرف فيه حقيقته وكنهه لا الآن ولا بعد الآن وهو الحق؛ لأنّا لو رأيناه في الآخرة وعرفنا كنهه لتشخص تشخصًا يمنع من حمله على كثيرين ولا يتصور أن يتشخص هذا التشخص إلّا ما يشار إلى جهته ولا جهة له سبحانه"[٤٣].

وذكر لبيب بيضون في تصنيف نهج البلاغة: "تنقسم معرفة الله تعالى إلى قسمين: الأول معرفة وجوده والإقرار بأنه واجب الوجود، وهذا واجب على كل إنسان، ويتم إدراك عظيم صنعه وقدرته عن طريق آلائه وآثاره في خلقه، وتتم هذه المعرفة بالعقل والتفكير وليس

بالتبعية والتقليد. والثاني معرفة كنهه وإدراك حقيقة ذاته، وهذا محال على المخلوق لمحدودية حواسه عن إدراك عظمة الخالق، وقد ورد في الحث على التفكير في مخلوقات الله والنهي عن التفكير في ذات الله"(٤٤).

وبيَّن أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة أهمية الفكر وضرورة استناده على أسس علمية وارتباطه بالعلم ارتباطًا وثيقًا ليكون التفكير سليمًا: «الْعِلْمُ وِرَاثَةٌ كَرِيمَةٌ وَالْآدَابُ حُلَلٌ مُجَدَّدَةٌ وَالْفِكْرُ مِرْآةٌ صَافِيَةٌ»(٤٥).

وقال ابن أبي الحديد: "وقال العلم وراثة كريمة، والآداب حلل مجددة، والفكر مرآة صافية، إنما قال العلم وراثة؛ لأن كل عالم من البشر إنما يكتسب علمه من أستاذ يهذبه وموقف يعلمه فكأنه ورث العلم عنه كما يرث الابن المال عن أبيه، وقد سبق منا كلام شاف في العلم والأدب. وكان يقال عطية العالم شبيهة بمواهب الله عز وجل؛ لأنها لا تنفد عند الجود بها وتبقى بكمالها عند مفيدها. وكان يقال: الفضائل العلمية تشبه النخل بطيء الثمرة بعيد الفساد. وكان يقال ينبغي للعالم ألّا يترفع على الجاهل، وأن يتطامن له بمقدار ما رفعه الله عليه وينقله من الشك إلى اليقين ومن الحيرة إلى التبيين؛ لأن مكافحته قسوة والصبر عليه وإرشاده سياسة. ومثاله قول بعض الحكماء: الخير من العلماء من يرى الجاهل بمنزلة الطفل الذي هو بالرحمة أحق منه بالغلظة ويعذره بنقصه فيما فرط منه ولا يعذر نفسه في التأخر عن هدايته"(٤٦).

وفي حديث آخر لأمير المؤمنين (عليه السلام) «الْفِكْرُ مِرْآةٌ صَافِيَةٌ

وَالِاعْتِبَارُ مُنْذِرٌ نَاصِحٌ وَكَفَى أَدَباً لِنَفْسِكَ تَجَنُّبُكَ مَا كَرِهْتَهُ لِغَيْرِكَ»[٤٧].

والاعتبار بالأمم السالفة وحوادث الماضين من أهم الأسس والمعطيات الأولية للتفكير السليم، فإن فيها من العبر والتجارب ما يغني عن التفكير الصحيح والسليم لتجنب الموانع التي تعيق وضوح منهج التفكير. وقد ورد في بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة للشيخ محمد تقي التستري: "الفكر مرآة صافية في (الكافي) سئل الصادق (عليه السلام) عمَّا يروى أن تفكر ساعة خير من قيام ليلة كيف يتفكر؟ قال: يمر بالخربة أو الدار فيقول: أين ساكنوك؟ أين بانوك؟ مالك لا تتكلمين؟ والاعتبار منذر ناصح ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾"[٤٨].

وقال (عليه السلام): «لَا مَالَ أَعْوَدُ مِنَ الْعَقْلِ وَلَا وَحْدَةَ أَوْحَشُ مِنَ الْعُجْبِ وَلَا عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ وَلَا كَرَمَ كَالتَّقْوَى وَلَا قَرِينَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ وَلَا مِيرَاثَ كَالْأَدَبِ وَلَا قَائِدَ كَالتَّوْفِيقِ وَلَا تِجَارَةَ كَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَلَا رِبْحَ كَالثَّوَابِ وَلَا وَرَعَ كَالْوُقُوفِ عِنْدَ الشُّبْهَةِ وَلَا زُهْدَ كَالزُّهْدِ فِي الْحَرَامِ وَلَا عِلْمَ كَالتَّفَكُّرِ وَلَا عِبَادَةَ كَأَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَلَا إِيمَانَ كَالْحَيَاءِ وَالصَّبْرِ وَلَا حَسَبَ كَالتَّوَاضُعِ وَلَا شَرَفَ كَالْعِلْمِ وَلَا مُظَاهَرَةَ أَوْثَقُ مِنَ الْمُشَاوَرَةِ»[٤٩]. ورد في بهج الصباغة: "ولا علم كالتفكر في (الكافي) عن الصادق (عليه السّلام) «أَفْضَلُ

الْعِبَادَةِ إِدْمَانُ التَّفَكُّرِ فِي اللهِ وَفِي قُدْرَتِهِ». وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) «التفكر يدعو إلى البر والعمل به، نبه بالتفكر قلبك وجاف عن الناس جنبك واتق الله ربك». وفي الخبر: (التفكر مرآتك تريك سيئاتك وحسناتك)"[٥٠].

حدود معرفة الله في نهج البلاغة:

تختلف الطرق للوصول إلى معرفة الله تعالى عن الطرق والوسائل لتحصيل المعارف التجريبية الأخرى اختلافاً جذريًّا، والسبب أن أي موضوع يكون في مقام الدراسة الغرض منه الوصول إلى حقائق ذلك الموضوع. أمَّا الذي يسعى لمعرفة الله تعالى، وهو خالق كل شيء، والمحيط بكل الأمور، فسيكون من المحال الوصول إلى معرفته إلّا بحدود مستوى الفكر السليم الذي يمتلكه الفرد ونقائه وقربه من الله والطاقة العقلية التي منحها الله إياه، والوصول إلى حقائق أي موضوع يستلزم دراسة جزئياته أولًا، لغرض معرفة الحقيقة كليًّا، وهذا محال بالنسبة إلى الله؛ لأنه لا يوجد أي سبيل علمي كالاستقراء والاستنباط والتعليل والبرهنة وغيرها يؤدي إلى المعرفة الكاملة بالله (عز وجل)، بل الطريق إلى معرفة الله تعالى تبدأ من النفس الإنسانية، وهي عكس معرفة الأشياء، حيث تبدأ في خارج النفس عن طريق الأدوات الحسية ثم بعد ذلك تصبح نظريات وأحيانا حقائق لتستبطن داخل النفس الإنسانية، وقد سأل ذعلب اليماني أمير المؤمنين (عليه السلام) «هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: (عليه السلام) أَفَأَعْبُدُ مَا لاَ أَرَى فَقَالَ وَكَيْفَ تَرَاهُ

قَالَ لاَ تُدْرِكُهُ اَلْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ اَلْعِيَانِ وَلَكِنْ تُدْرِكُهُ اَلْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ اَلْإِيمَانِ»[٥١]، فالرؤية هنا لا تكون بأحد الحواس الخمس وهو البصر إنما تكون رؤيته بالبصيرة، وهي من حقائق الإيمان ونور يقذفه الله في قلب العبد، لتتجلى في قلبه حب الخالق (عز وجل) وعظمته وقدرته، وتصبح رؤيته واقعًا بعد النظر والتأمل والتدبر في مخلوقات الله، ليصل القلب إلى درجة اليقين بوجود الصانع لهذه المخلوقات، ويصبح حقيقة في باطن النفس الإنسانية، «قَرِيبٌ مِنَ اَلْأَشْيَاءِ غَيْرَ مُلاَمِسٍ مُلاَبِسٍ بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرَ مُبَايِنٍ مُتَكَلِّمٌ بِلاَ رَوِيَّةٍ لاَ بِرَوِيَّةٍ مَرِيدٌ لاَ بِهِمَّةٍ صَانِعٌ لاَ بِجَارِحَةٍ لَطِيفٌ»[٥٢]، فهو قريب من جميع الموجودات ليس كقرب الأجسام من بعضها، فالله ليس بجسم حتى يتصف بالبعد والقرب المادي للأجسام إنما قريب منها لعلمه بها، كما قال الله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾[٥٣]، ولا يكون بعيدًا عن الأشياء بعدًا ماديًّا إنما لاختلافه عن خلقه، فهو لا يوصف بظروف الزمان والمكان، أين، متى، ولقد رسم أمير المؤمنين (عليه السلام) لنا معلمًا واضحًا في اتجاه المعرفة الإلهية التي تبدأ بتنقية النفس ومقدار حب الله تعالى في قلبه، بحيث تكون معرفة الله تعالى في قلب الإنسان مقدار حبه لله تعالى، وهذه المعرفة تجلّت في قلوب الأنبياء والأوصياء، فقد امتلك حب الله كل جوارحهم وكانوا حقًّا عارفين بالله (عز وجل).

المبحث الثالث: صفات التوحيد

إن التوحيد كما ورد عن بعض

العلماء على ثلاثة أوجه، منها التوحيد على الشواهد، وهو توحيد العامة من الخلق والشواهد هي الآيات الكونية والآفاقية والأنفسية الّتي يستدلّ بها على الخالق والصانع والّتي يستدلّ بها العلماء بالنظر والفكر والتأمل في براهين العقل، فتوحيد العامّة إنّما يصحّ بالاستدلال مثل قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[٥٤]، وهو توحيد ظاهري. أما الوجه الثاني من التوحيد وهو توحيد الخاصة، فهو التوحيد على الحقائق ولا يكتفي بالشواهد فقط بحيث لا يرى سوى الله مؤثرًا وفاعلًا. أما الوجه الثالث فقد اختص بعلمه فقط ومن منحهم الله وهم صفوته وما قدروا الله حق قدره.

إن موجبات عدم تجلي الله لخلقه لعدم استطاعة المجودات لتحمل تجليه لهم، ويبدو ذلك واضحاً من طلب موسى (عليه السلام) رؤية ربه، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٥٥].

١ - الوحدانية في السعة والإحاطة:

السعة هي الكبر والامتداد في أبعاد الموجود الوجودية، فكلما كبرت وامتدت أبعاد الموجود في وجوده كلما صار ممتنعاً على الحواس أن تستجليه؛ لأن قدرة الحواس لها طيف ثابت وقدرة محدودة لا يمكنها أن تستوعب كل أبعاد الوجود، والإحاطة هي شمول الموجود بوجوده لموجودات أخرى، وكلما كان الموجود محيطاً كلما

صعب تجليه. والحواس لا يمكنها أن تحيط أو تسع كل الموجودات الجزئية فكيف يمكنها أن تسع أو تحيط بالوجود الكامل الذي وسعت رحمته كل شيء وأحاط علمه بكل موجود.

٢- الوحدانية في الصمدية:

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «مَا وَحَّدَهُ مَنْ كَيَّفَهُ، وَلا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ، وَلا إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ، وَلا صَمَدَهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ»[٥٦]، "إذا قلت: كيف فلان؟ فإنك لا تسأل عن ذاته، بل عما يعرض لها من الأحوال كالعسر واليسر، والصحة والسقم، ومعنى هذا أن الذات المسؤول عنها محل للأحداث، وأنها تتغير وتتبدل من حال إلى حال. والله سبحانه واحد وكامل من كل وجه يستحيل في حقه التغيير والتحويل؛ لأنه فوق الأشياء، وخالق الأحوال والأحداث، قال الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) الكيف مخلوق، والله لا يوصف بخلقه، وقال الإمام الصادق (عليه السلام): من نظر إلى الله كيف هو فقد هلك.

وقوله (عليه السلام): (وَلا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ). كل صورة ترسمها في خيالك فهي صورة لجسم يرى ويحس وإلّا استحال الرسم والتشخيص، وهل يوجد ظل وشبح لغير المادة؟. والله سبحانه منزّه عن ذلك. قال الملا صدرا: إن كان ما تصورته لذات الله مطابقًا للواقع يلزم أن يكون الله جسمًا محدودًا، وهو محال، وإن لم يطابق فهو كذب وسراب. (وَلا إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ)؛ لأنه لا شبيه له ولا ضد. (وَلا صَمَدَهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ). كل الإشارات بشتى

أنواعها لا تكون إلّا للمحسوسات، والله فوقها ومنزّه عنها، وفي كلمات أهل البيت (عليهم السلام): إن أوهام العقول أدق من أبصار العيون، وأوهام العقول لا تدرك الله فكيف بأبصار العيون؟"[٥٧]. ومعنى ولا صمده من أشار إليه وتوهمه أي من تصور الله جسمًا يمكن الإشارة إليه توهمًا، فيمكن أن يجزّأ هذا الجسم ويمكن أن يتم تركيبه أيضًا، وهذا ينافي الصمدية التي لا تقبل التجزئة ولا تقبل التركيب. وهذا ما يؤيد قول أمير المؤمنين (عليه السلام): «كَمَالُ تَوْحِيدِهِ الإِخْلاصُ لَهُ، وَكَمَالُ الإِخْلاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ المَوْصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ، فَمَنْ وَصَفَ اللهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ، وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ، وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ [وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ]، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ،...»[٥٨]. فإن الكثير من الموجودات يتم الإحساس بها؛ لأنها تقبل التجزئة والتركيب على الرغم من عدم تجليها للعين البشرية أمثال القوة والحركة وغيرها، فيتم الإحساس بها من خلال آثارها التي قد تكون عقلية أو حسية والتي تظهر على الأجسام التي تؤثر فيها؛ لأنها لا تتصف بالكمال والسرمدية، لكن الصمد الذي يتصف بالكمال من الصعب الإحساس به؛ لأنه لا يتجزأ ولا يركب ولا تحيطه أوهام الإنسان القاصر.

٢- الوحدانية في الديمومة:

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الْحَمْدُ للهِ الأَوَّلِ فَلاَ شَيْءَ قَبْلَهُ، وَالآخِرِ

فَـلاَ شَيْءَ بَعْـدَهُ، وَالظَّاهِـرِ فَـلاَ شَيْءَ فَوْقَـهُ، وَالْبَاطِـنِ فَـلاَ شَيْءَ دُونَـهُ»[٥٩].

هنا بيَّن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أن الله (عز وجل) هو الأول قبل كل المخلوقات وليس بصنع صانع أو قدرة خالق ويبقى بعد زوال المخلوقات وفنائها وتبقى صفة الديمومة وثباتها متعلقة به «... الْأَوَّلِ قَبْـلَ كُلِّ أَوَّلٍ وَالْآخِـرِ بَعْـدَ كُلِّ آخِـرٍ وَبِأَوَّلِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا أَوَّلَ لَهُ وَبِآخِرِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا آخِرَ لَهُ»[٦٠]، وعلى الرغم من أنه عز وجل الأول لكن ليس من ابتداء كباقي الموجودات حين تكوين وجودها، إذ لابد لها من بداية، وليس الآخر يعني له نهاية. نلاحظ أن جميع الموجودات لا تملك الديمومة السرمدية إلى ما لا نهاية لأنها لا تملك عناصر ديمومتها، لذلك يمكن الإحساس والشعور بها حتى وإن لم تكن رؤيتها بحاسة البصر، وهناك أمثلة كثيرة في حياتنا الدنيوية، كما في شعور الأبناء بالأمان بوجود الوالدين أثناء حياتهما، فالأمان أحد المخلوقات، ولكن الأبناء لا يشعرون بفقد الأمان إلّا بعد رحيل الوالدين، والسبب أن الأمان لا يملك الديمومة للاستمرار ولأن ديمومته جزئية وليست مطلقة، وكذلك وجود الجاذبية على الرغم من تملكها الديمومة والقدرة والسلطان على المجودات في الأرض وأنها غير محسوسة، فإن الإنسان لا يشعر بها بل يتجاهلها وعدم الإحساس بها؛ لأنها تملك من عناصر ديمومتها الجزئية والقوة يكون من الصعب الإحساس بها وتجليها. فكل موجود يملك عناصر ديمومته يصعب الإحاطة

به على الرغم من جزئية ديمومته، فكيف يتجلّى المستديم المطلق الذي يملك كل عناصر الديمومة وقوتها واستطاعتها، فهو الأول بلا ابتداء والآخر ليس له نهاية.

٣- الوحدانية في القوة والسلطان:

يقول الإمام علي (عليه السلام): «كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ»[٦١]. إن جميع المخلوقات في هذا الكون تخضع لقانون التبعية؛ لأنها لا تملك القوة والسلطة على باقي الموجودات، فهي تتجلّى وتتحرك وتؤثر بسلطان غيرها وخاضعة لقدرة أكبر منها، ومن أمثلتها أن الكثير من الأحاسيس البشرية على الرغم من عدم تجليها لكنها تملك قدرة محدودة وسلطان محدود مثل العطش والنوم والحب وغيرها، فإنها تملك سيطرة وقدرة محدودة على الإنسان، لكنها بالمقابل تخضع لقانون التبعية وهي صغيرة ومقدور عليها وتجليها مرهون بمدى قوتها واستطاعتها، فمتى كان الموجود يمتلك قوة واستطاعة كبيرة يصعب تجليه للنفس البشرية. لكن الله عز وجل هو متفرد بالملك، والهيمنة بسلطان القوة والعظمة وأنه سبحانه وتعالى المهيمن بالسلطان الذي لا يقهر، ويكون تجليه سبحانه وتعالى مستحيلاً: «المُتَجَلِّي لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ، وَالظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ»[٦٢].

٤- الوحدانية في الثبات:

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصف الثبات لله تعالى: «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ تَسْبِقْ لَهُ حَالٌ حَالًا»[٦٣]، هناك علاقة جدلية بين الثابت والمتغير، وهما صفتان متضادتان، فالموجود الثابت يملك خاصية الاستقرار

لكنه لا يعني الجمود؛ لأنه لا يمكن أن تتغير أطواره على مدار الزمن وتحت أي مؤثرات، لذلك يكون من الصعب أن يتجلى ويتم الإحساس به، وأن الكثير من الموجودات تملك خاصية الثبات وعدم تغيير طورها خلال فترة من الزمن، فالطاقة الموجودة داخل الكائنات على الرغم من عدم الإحساس والشعور بها وعدم تجليها، فإنها تملك ثبات في طورها لفترة معينة من الزمن لكنه يتغير طورها بتغير المؤثرات الفيزياوية، لكن الثابت الدائم وهو الله تعالى، فهو الثابت من غير جمود وحاله يبقى ولا يعتريه التغيير.

الخاتمة

١. لقد بيَّن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة أن معرفة الله عز وجل أفضل المعارف التي تزيد العبد يقينًا وإيمانًا، وفي نهج البلاغة بيَّن أهمية التفكير وحث على العمل به وأعطى الإنسان المفكر منزلة وبيانًا يستطيع بها الوصول إلى العلة والغاية النهائية.

٢. لقد عرف التفكير بأنه عملية طبيعية يقوم بها الإنسان إلّا أنها مهارة تحتاج إلى التطوير، وهو عبارة عن سلسلة من النشاطات العقلية التي يقوم بها الدماغ عندما يتعرض لمثير يتم استقباله عن طريق الحواس الخمس، وعند تعرضه إلى هذا المثير يقوم بتحليله في العقل والإدراك.

٣. عدَّ الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة أن التفكير فريضة إسلامية تدعو المسلم إلى التأمل والتفكير في كل ما يقع عليه البصر، وتدركه البصيرة، والعقل الذي يخاطبه الإسلام هو العقل الذي

يعصم الضمير ويدرك الحقائق ويميز بين الأمور ويتبصر ويتدبر ويسهم في تحقيق الإبداع الإداري والتقدم الحضاري والوصول إلى الهدف النهائي من علة خلق الإنسان.

٤. تنوع الأساليب التي استعملت في نهج البلاغة لتفعيل عملية التفكير منها الحث والذم والتشدد في محاربة عوائق التفكير.

٥. اتبع الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة تدرجًا منطقيًّا في تنمية التفكير وتوسيع الإدراك والقدرة على استخدام العقل. وتنوع المجالات التي طرح عن طريقها التفكير وبيان حدوده من خلال الآيات الكونية والآفاقية والسنن التاريخية والآيات الأنفسية.

٦. وضع أصولًا ومبادئ لغرض الإنطلاق بعملية التفكير الصحيح الذي تكون نتائجه مقاربة للحق وبعيدة عن الضلالة. وحث في نهج البلاغة الإنسان بوصفه جزءًا من مجتمع إسلامي على النظر والتأمل والتدبر والتفكير في آيات الله واستخدام قدراته العقلية. وربط تطور الأمة الإسلامية بمقدار استثمار قدراتها العقلية. وبيان أن النفس الإنسانية هي أعظم خلق الله والتفكر في تكوينها هو أعلى مراحل التفكير. وحث الإنسان على التفكير الإبداعي المنطقي الذي يكون له علة غائية.

الهوامش:

١- العنكبوت: ٢٠.

٢- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، خطبة ١، ص ٢٤.

٣- الغاشية: ١٧.

٤- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، خطبة١٦٥، ص ٣٦٢.

٥- الطارق: ٥- ٧.

٦- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، خطبة ١، ص ٢٧.

٧- القادر محمود، البكار، تكوين المفكر، ص ٢٦.

٨- أبو نصر إسماعيل بن حماد، الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٢، ص ٥٠١.

٩- أبو الحسن أحمد بن زكريا، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٤، ص ٤٤٦.

١٠- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص ٦٥.

١١- العلّامة أحمد بن محمد المقرئ، الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج٢، ص ٤٧٩.

١٢- مجد الدين محمد بن يعقوب، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ج٢، ص ١١٥.

١٣- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج٢، ص ٧٠٥.

١٤- د. فتحي عبد الرحمن، جروان، تعليم التفكير، ص ٣٣.

١٥- المصدر نفسه، ص ٤٣.

١٦- زهير، الكرمي، الإنسان والتعليم، ص ٧٧.

١٧- د. فؤاد، زكريا، التفكير العلمي، ص ٦.

١٨- المصدر نفسه، ص ١٣.

١٩- د. أحمد عزت، راجح، أصول علم النفس، ص ٢٧١.

٢٠- فلاح، العابدي. سعد، البخاتي، مناهج التفكير، ص ٢٩.

٢١- فلاح، العابدي. سعد، البخاتي، مناهج التفكير، ص ٧.

٢٢- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة،

حكمة ١٠٦، ص ٧٥٦.
٢٣- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، كتاب ٧٩، ص ٧٢٧.
٢٤- محمد حسين، الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٤، ص ٢٢.
٢٥- محمد راتب، النابلسي، مقومات التكليف، ص ٣١ و٣٢ (بتصرف).
٢٦- محمد راتب، النابلسي، مقومات التكليف، ص١٥.
٢٧- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، خطبة١٦٥، ص ٣٦٢.
٢٨- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، خطبة ١، ص٢٧.
٢٩- محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٦، ص ١٦٩.
٣٠- محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٦، ص ١٧١- ١٧٣.
٣١- صدر المتألهين، الشيرازي، شرح الهداية الأثيرية، ص٧.
٣٢- حسن زاده، آملي، عيون مسائل النفس وسرح العيون في شرح العيون، ص ٣٧.
٣٣- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، كتاب ٤٥، ص٦٥٢.
٣٤- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، خطبة ٥٩، ص١٢٢.
٣٥- حسن، مختار، دور المعلم في تنمية قدرة التفكير الناقد لدى الطالب، ص٤٨.
٣٦- خليل بن عبد الله بن عبد الرحمن، الحيدري، منهجية التفكير العلمي في القرآن، ص١٣١.
٣٧- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، حكمة ٧٣، ص٧٤٧.
٣٨- الأعلى: ١٦- ١٧.
٣٩- آل عمران: ٦٥.
٤٠- صلاح بن عبد الله، الشريف، التفكير الإبداعي عند الدعاة، ص٢.
٤١- مرتضى، مطهري، المدارس الفكرية للإنسان الكامل، ص١٥.
٤٢- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، خطبة ١، ص ١٩.
٤٣- محمد إبراهيم، ابن أبي حديد، شرح

نهج البلاغة، جزء ١، ص ٣٧.

٤٤- لبيب بيضون، تصنيف نهج البلاغة، ص ٦١ (بتصرف).

٤٥- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، حكمة ٥، ص ٧٣٢.

٤٦- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، جزء ١٨، ص ٢٣٨.

٤٧- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، حكمة ٣٦٥، ص ٨٢٤.

٤٨- محمد تقي، التستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، المجلد ١٤، ص ٥٩٥- ٥٩٦.

٤٩- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، حكمة ١١٣، ص ٧٥٩.

٥٠- محمد تقي التستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، المجلد ١٤، ص ٢٦٢.

٥١- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، خطبة ١٧٩، ص ٣٩٧.

٥٢- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، خطبة ١٧٩، ص ٣٩٧.

٥٣- المجادلة: ٧.

٥٤- الأنبياء: ٢٢.

٥٥- الأعراف: ١٤٣.

٥٦- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، خطبة ١٨٦، ص ٤٢١.

٥٧- مغنية، محمد جواد، في ظلال نهج البلاغة، الجزء ٣، ص ٦٧.

٥٨- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، خطبة ١، ص ١٩.

٥٩- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، جزء ٧، ص ٦٧.

٦٠- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، خطبة ١٠١، ص٢٢٥.

٦١- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، خطبة ١٠٩، ص ٢٤٧.

٦٢- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، خطبة ١٠٨، ص ٢٤١.

٦٣- عباس علي الموسوي، نهج البلاغة، خطبة ٦٥، ص ١٢٦.

المصادر:

القرآن الكريم

١- ابن أبي حديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، شرح نهج البلاغة، بغداد، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

٢- ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.

٣- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٤- البكار، عبد القادر محمود، تكوين المفكر، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ٢٠١٠م.

٥- التستري، محمد تقي، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، طهران، دار أمير كبير للنشر، ١٩٩٧م.

٦- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.

٧- الحيدري، خليل بن عبد الله بن عبد الرحمن، منهجية التفكير العلمي في القرآن، بحث مكمل لدرجة الدكتوراه في الأصول الإسلامية للتربية، جامعة أم القرى.

٨- الشريف، صلاح بن عبد الله، التفكير الإبداعي عند الدعاة، بحث تكميلي ضمن متطلبات الماجستير الموازي في قسم الدعوة والاحتساب، كلية الدعوة والإعلام، ١٤٣٣هـ.

٩- الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مطبعة سليمان زاده، ١٤٢٦هـ.

١٠- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، بيروت، لبنان، منشورات الأعلمي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

١١- العابدي، فلاح. البخاتي، سعد، مناهج التفكير، أكاديمية الحكمة العقلية، دار الغدير للنشر، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.

١٢- الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، الطبعة ٨، ٢٠٠٥م.

١٣- الفيومي، العلامة أحمد بن محمد المقرئ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لبنان، المكتبة العلمية، ١٩٨٧م.

١٤- الكرمي، زهير، الإنسان والتعليم، دار الهلال، ١٩٩٥م.

١٥- آملي، حسن زاده، عيون مسائل النفس وسرح العيون في شرح العيون، طهران، مؤسسة انتشارات أمير كبير.

١٦- الموسوي، عباس علي، نهج البلاغة، بيروت، لبنان، دار الهادي، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٩م.

١٧- النابلسي، محمد راتب، مقومات التكليف، دمشق، دار المكتبي، الطبعة الاولى، ٢٠٠٥م.

١٨- بيضون، لبيب، تصنيف نهج البلاغة، قم، مكتب الإعلام الإسلامي للنشر، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ.

١٩- جروان، د. فتحي عبد الرحمن، تعليم التفكير، الإمارات، دار الكتاب الجامعي، ١٩٩٩م.

٢٠- راجح، د. أحمد عزت، أصول علم النفس، القاهرة، دار الكتاب العربي للنشر، الطبعة السابعة، ١٩٦٨م.

٢١- زكريا، د. فؤاد، التفكير العلمي، عالم المعرفة، ١٩٨٧م.

٢٢- مختار، حسن، دور المعلم في تنمية قدرة التفكير الناقد لدى الطالب.

٢٣- مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، طهران، المكتبة العلمية.

٢٤- مطهري، مرتضى، المدارس الفكرية للإنسان الكامل، مركز نون للتأليف للترجمة، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، ٢٠١١م.

٢٥- مغنية، محمد جواد، في ظلال نهج البلاغة، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩م.

السلام
يا علي ولي الله
من كنت مولاه فهذا علي مولاه

الصَّلاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ
فِي المَوْرُوْثِ الحَدِيْثِيّ قِرَاءَةٌ في المَصَادِيْقِ،
عليُّ بنَ أبي طالب (عليه السلام) اخْتِيَارًا

"Allah's Blessings and Peace be upon Muhammed and His Family". in The Hadith Heritage. Study in Sincere Figures, Ali Ibn Abi Talib (peace be upon him) as a chosen one

أ. م. د. مصطفى صالح مهدي

جامعة القادسية/ كلية التربية/ قسم علوم القرآن الكريم والتربية الإسلامية

Asst. Prof. Dr. Mustafa Salih Mahdi

Department of Quran Sciences and Islamic Education, faculty of Education, Qadisiyah University.

المُلَخَّصُ وَخَاتِمَةُ البَحْث[1]:

بعد الحمد لله تعالى نقول: إن الإسلام قد وسم بالعظمة؛ لقيامه على قامتين عظيمتين وركنين رئيسين وهما القرآن الكريم والسنة المطهرة؛ إذ إنهما توافرا على حقائق ومعانٍ ومبادئ وتعاليم كان من شأنها تنمية الحياة وإنقاذ البشرية وإخراجهم من الدياجير إلى النور، ومن الشر إلى الخير؛ بغية التكامل وضمان الوصول إلى رضا الله تعالى. ولعل من أبرز تلك الحقائق والمعاني العظيمة التي أشار إليها الإسلام، وأكدها نبي الإسلام وأهل بيته الطاهرين هي: مسألة الصلاة على محمد وآل محمد، إذ إن الموروث الحديثي -الذي يقوم على قول وفعل وتقرير النبي وآله - قد بيَّن لنا أن الصلاة على محمد وآل محمد من أعظم العبادات والمناجات عند الله تعالى، وأنها النور الذي اشتق من نور محمد وآل محمد، فكان تعظيم الصلاة على محمد وآل محمد من الله تعالى كرامة للنبي وآله إلى حد عجيب جدا، إذ إنَّ الله جل جلاله أمر المؤمنين المملوءة قلوبهم بالنور على أدائها، وكلَّف خلقًا من النور وهم الملائكة أن يوثقوا من يقولها من المؤمنين بأقلام من نور في صحف من نور، وأودع الله تعالى فيها نورًا، ثم جعل فيها أثرًا وضعيًّا بأنَّ الذي يُكثر منها -أي من الصلاة على محمد وآل محمد- تكون سببًا له في كل خير، وترافقه في جميع مراحل حياته من عالم الدنيا إلى دخوله للجنة، فكانت هي العبادة التي بفضل الله تعالى أسميتها: بعبادة النور؛ لأنها نور من نور على نور في نور إلى نور. إن واحدة من معاني تكريم الله تعالى وبيان حبّه للنبي وآله هو فرضه الصلاة على محمد وآل محمد على سائر الخلق أجمعين؛ التي كان ولا يزال جوهر تشريعها هو قيامها على أعظم الخلق بلا منازع وهم محمد وآل محمد، وإن من أعظم مصاديق آل محمد هو الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)؛ لقول الله تعالى: «يا أحمد! لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا عليّ لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما»[2]. لهذا صارت الصلاة على محمد وآل محمد من أبرز وأعظم وأجل وأهم وأشرف وأعلى النصوص الدينية، والطقوس العبادية التي تقربنا إلى الله تعالى زلفى. علمًا أن مدار هذا البحث هو الوقوف على الروايات التي تصرح بأن أهل البيت كمصطلح شرعي يشمل ويعين ويخص الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) من بين كل رجال المسلمين الذي أصبحنا نتعبد الله تعالى بالصلاة عليه حينما نصلي على آل محمد في الصلاة على محمد وآل محمد.

الكلمات المفتاحية: محمد صلى الله عليه وآله، آل محمد، علي بن أبي طالب، الزهراء، الحديث، البحث، النص، الاستقراء، الصلاة، الشريعة، السنة.

Abstract

The reason behind the greatness of Islam is that it's based on two bases the Holy Quran and Sunnah. The hadith heritage which is reporting of prophet Muhammed and his family has showed that "Allah blessings…" is one of the greatest acts of worship. It's the light which derived from the light of Muhammed and his family.

One of the most sinceret figure of prophet Muhammed family is Imam Ali Ibn Abi Talib (Pb) as it mentioned in the Hadith Qudsi "Oh, Muhammed, if wasn't for you, I would not have created galaxies, if it wasn't for Ali,I would not have created you, if it wasn't for Fatima, I would not have created greatest you both" So "Allah blessing become one of the most dominant, greatest and most important religious texts and worship rituals.

Keywords: Muhammed (Pbh), Ali Ibn Abi Talib (Pb), Al-Zahraa, Al-Hadith, The Research, The Text, Blessings.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل وأكمل الصلاة وأتم التسليم على أشرف الأنبياء والمرسلين من الأولين والآخرين، محمد بن عبد الله حبيب الله العالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين المنتجبين المنتخبين.

وأمَّا بَعْدُ:

فقد أولت الشريعة الإسلامية بركنيها القرآن الكريم والسنة المطهرة اهتمامًا واضحًا من جهة التأسيس للحقائق والأحكام العامة والخاصة، ومن ثم بيان وتوضيح الأمور المتعلّقة بتلك الحقائق، ولعل من أبرز الحقائق التي اهتمت بها الشريعة الإسلامية قضية الصلاة على محمد وآل محمد كنصٍّ ديني وطقس عبادي، فإن هذه الصلاة تحمل حقائق تفوق تصور العقل الإنساني بكل ما أوتي من قوة وقابلية إدراكية، بل إن مسألة الصلاة على محمد وآل محمد قد أعجزت الأولين والآخرين عن فهم حقيقتها إلّا من شاء الله تعالى له ذلك الشرف والتوفيق، ولعل هذه الصلاة العبادية يتعلق فيها كثير من الموضوعات الخفية والغامضة والجلية والظاهرة بالوقت نفسه، ولاسيما أن الصلاة على محمد وآل محمد قد توافرت وتظافرت حولها وعنها الكثير من الأخبار والآثار والأحاديث من جهة بيان قيمتها وقامتها وعظمتها وشأنها بعين الله تعالى وعين رسوله والأئمة الطاهرين (عليهم السلام)، ولعل واحدة من تلك المتعلقات في هذه الصلاة المحمدية هي مسألة المصاديق والأفراد الذين أمرنا الله تعالى بالصلاة عليهم فيها والتقرب إلى الله تعالى بهم من خلالها.

لذلك تأتي أهمية موضوع البحث من جهة توافره وقيامه على أعظم عبادة وهي الصلاة على محمد وآل محمد، واشرف مصداق هو الإمام علي (عليه السلام)، كما يمكن لحاظ أهمية البحث من جهة كونه مرآة عاكسة للتراث الإسلامي في كون الإمام علي (عليه السلام) من مصاديق الصلاة على محمد وآل محمد، لما فيه، ولما له (صلوات الله عليه وعلى زوجه وأخيه وذريته الطاهرين).

كما أن هذه الدراسة تهدف إلى توثيق النصوص المخبرة عن كون الإمام علي (عليه السلام) أحد مصاديق آل محمد في آية التطهير والصلاة على محمد وآل محمد، ممَّا يعطي قوة للبحث وقيمة للمبحوث فيه.

كما يهدف البحث إلى تقديم مادة علمية محققة مدققة بخصوص هذا الموضوع، ليسهل على الباحثين الرجوع إليها والاستفادة منها والاستشهاد بها.

خطة البحث: بعد أن استوى هذا المجهود العلمي على سوقه في دراسة هذا الموضوع، آن له أن يقدم نفسه متواضعًا في مقدمة ومبحثين، أمَّا المبحث الأول، فقد اهتم بمفاهيم البحث، فأخذ مهمة التعريف بمفهوم الصلاة والنص والآل في اللغة والاصطلاح، وأمَّا المبحث الثاني: فيقوم على ستة نماذج من النصوص الحديثية الكاشفة عن كون الإمام علي (عليه السلام) من مصاديق آل محمد، ثم أخيرًا ذكر الخاتمة، سالكًا بذلك المنهج الموضوعي، والاستقرائي في البحث.

ولعل من أبرز المصادر التي قام

عليها البحث هي، كتاب الكليني (ت٣٢٩هـ)، الكافي، وكتاب البخاري (ت٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، وغيرها من الكتب المهمة في بابها.

المبحث الأول: مفاهيم البحث

جرت العادة أن يبدأ البحث بتمهيد يُعد ديباجة قبل الخوض به، يُذكر فيه ما يحتاجه القارئ من أوليات هذا الموضوع، تجنباً من الوقوع في الغموض، ولأجل ذلك ارتأينا أن نجعل هذا البحث يُبنى على التعريف بمصطلحات البحث من خلال ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الصلاة في اللغة والاصطلاح.

سوف نستعرض معاني الصلاة في اللغة والاصطلاح، وذلك من خلال الآتي:

أولًا: مفهوم الصلاة في اللغة

إن مفهوم الصلاة من المفاهيم التي تتعدد معانيها وتختلف دلالاتها بحسب السياق، وهذا ما يظهر في كتب اللغويين، إذ قال الجوهري: إن الصلاة تعني الدعاء[٣]. وقال الزَّبيدي: "الصَّلاةُ في اللغةِ مُشْتركةٌ بينَ الدُّعاءِ والتَّعْظيمِ والرَّحْمة والبَرَكةِ والعطف"[٤]. وقال ابن هشام في مغني اللبيب: «إن الصلاة لغة بمعنى واحد وهو العطف ثم العطف بالنسبة إلى الله سبحانه وتعالى الرحمة وإلى الملائكة الاستغفار"[٥]. وقال الجوهري: الصلاة: واحدة الصلوات المفروضة، وهو اسم يوضع موضع المصدر، تقول: صلّيت صلاة، ولا تقل تصلية"[٦]، وقال الزبيدي: إن الصلاة: اسم مصدر من صَلَّى -يصلي- صَلاةً

بمعنى الدعاء"[٧]، وقال الزبيدي: إنَّ الصَّلاةَ واوِيَّةٌ مأْخوذَةٌ من صَلَّى - يصلي صلوة صلوات - إذا دَعا، وهو اسْمٌ وُضِعَ مَوْضِعَ المَصْدَر"[٨]. وقال الزبيدي: قال الزجَّاج السَّابق الصلاة هي يائيَّةٌ لا واوِيَّةٌ"[٩]. وقال الزبيدي في موارد: الصلوات هي جمع الصلاة"[١٠]، وقال أيضا: الصلوات هي جمع الصلوة"[١١]، قال الزبيدي: الصَّلاةُ واحِدَةُ الصَّلَواتِ المَفْرُوضَة، وأَمَّا صلوات فجمْعُ صلاة، وأَمَّا صَلَوات فكأَنَّه جَمْعُ صَلْوة"[١٢].

وذكر الفيروز آبادي: "أن مادة (ص ل و) و(ص ل ي) موضوعة لأصل واحد وملحوظة لمعنى مفرد وهو الضم والجمع، وجميع تفاريعها راجعة إلى هذا المعنى وكذلك سائر تقاليبها كيفما تصرفت وتقلّبت كان مرجعها إلى هذا المعنى، فسميت الأفعال المشروعة المخصوصة صلاة لما فيها من اجتماع الجوارح الظاهرة والخواطر الباطنة"[١٣]، وقال الزبيدي: قيلَ إن الصلاة أَصْلها في اللُّغَةِ التَّعْظيم، وسُمِّيَت هذه العِبادَةُ صَلاةً لَما فيها مِن تَعْظيمِ الرّبِّ جلَّ وعزَّ هذا القَوْلُ نقلَهُ ابنُ الأثيرِ في النِّهايةِ"[١٤].

فظهر أن الصَّلاة في اللغةِ مُشْتركةٌ بينَ: الدُّعاءِ والتَّعْظيمِ والرَّحْمة والبَرَكةِ، وحسن الثناء من الله تعالى والكرامة، فالصلاة هي عبادة أو طقس أو ذكر أو أداة دينية وظيفتها أو مهامها أو دورها أو واجبها الإيصال والوصل بين جهتين أو طرفين أو أمرين أو حقيقتين، وهي جهة الخالق، وجهة المخلوق. وكما يقال: هذا ما لاح لي في هذا المقام، وحقيقة العلم للملك

العلام.

ثانياً: مفهوم الصلاة في الاصطلاح

لقد تبين من المعنى اللغوي للصلاة أن لها تمثلات وأشكال ومعاني في الشريعة الإسلامية، فالصلاة في استعمال القرآن الكريم والسنة المطهرة تختلف باختلاف المقاصد، إذ إن الصلاة في اصطلاح الشريعة الإسلامية مشتركة بين عدة مصاديق متعددة ومختلفة، فهي بين الصلاة المفروضة والدعاء والقراءة والصلاة على النبي وآله، وإليك البيان الآتي:

١- الصلاة تعني: اسمًا شرعيًّا لعِبادَة فيها رُكوعٌ وسُجودٌ، أو قل: الصلاة عِبادَة فيها رُكوعٌ وسُجودٌ، قال تعالى: (إِنَّ الصَّلاةَ كانتْ على المُؤْمنين كتاباً مَوْقوتاً). والصلاة تعني التعبُّدُ لله تعالى بأقوالٍ وأفعالٍ مخصوصةٍ، مُفتَتَحةٍ بالتَّكبيرِ، مُختَتَمةٍ بالتَّسليمِ"[١٥]، والصلاة شرعًا: "أقوال وأفعال مخصوصة، مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم، وسميت بذلك لاشتمالها على الصلاة لغة، وهي الدعاء"[١٦]، وتُعرّف الصلاة في الاصطلاح الشرعيّ بأنّها عِبادةٌ لله تعالى، ذاتُ أقوالٍ وأفعالٍ مخصوصةٍ ومعلومةٍ، تبدأ بالتكبير، وتنتهي بالتسليم، ويُقصد بالأقوال أي القِراءة، والتكبير، والتسبيح، وغيرها"[١٧].

٢- الصلاة تعني: الدعاء والتبرك والبركة، قال تعالى: ﴿خُذ مِن أَموَلِهِم صَدَقَةً تُطَهِّرُهُم وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيهِم إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُم وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣]. بمعنى أُدْعُ لهم، فإن دعاءك بركة لهم.

٣- الصلاة تعني: القراءة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا

﴿تُخَافِتْ بِهَا﴾. [الإسراء: ١١٠]. أي لا تجهر بقراءتك القرآن ولا تخافت.

٤- الصَّلَواتُ: دور العبادة، وكَنائِسُ اليَهُودِ؛ هذا تَفْسيرُ ابنِ عبَّاس؛ قالَهُ ابنُ جنِّي، سُمِّيت بذلكَ لكَوْنِها مَواضِع عِبادَتِهم، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، وقيلَ: أَصْلُه بالعِبْرانِيَّةِ صَلُوتَا"[١٨].

أ- صَوَامِعُ: دور عبادة الصابئين.

ب- البِيَع: دور عبادة النصارى

ج- المساجد: دور عبادة المسلمين.

د- صَلَوَاتٌ: دور عبادة اليهود، كنائس اليهود، ويسمون الكنيسة صلوتا"[١٩].

٥- الصلاة تعني الدعاء للنبي وآله تعيينا..... قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. فلنا بفضل الله تعالى أن نعرف الصلاة على محمد وآل محمد بأنها: "الدعاء بأن يصل ويوصل الله تعالى جميع صنوف وأنواع الخيرات من تعظيم وتكريم وتشريف وتهييب وتعليم وتعريف وتقريب وتشفيع وتمليك المقام المحمود للنبي وآله.

فالصلاة المقصودة في هذا البحث هي الصلاة على محمد وآل محمد التي هي الذكر والطقس العبادي المأمور بها في القرآن الكريم والمخصوصة المنصوص عليها في السنة المطهرة، والمُبَيَّن أنواعها، وأوقاتها، وكيفية أدائها، والمُتَعَبَّد بها بالدعاء للنبي وآله؛ لإفراغ الذمَّة أمام الله عز

وجل.

أو قل: إن الصلاة على محمد وآل محمد هو الذكر الذي أمرنا بالتَعَبّد به بالدعاء للنبي وآله قرآنيًّا، والمخصوص المنصوص على أدائه وأنواعه وأوقاته وكيفيته روائيًّا؛ لإفراغ الذمة أمام الله عز وجل.

ثالثاً: نصية الصلاة على محمد وآل محمد

إن الصلاة على محمد وآل محمد هي نصٌّ شرعي ورد في رحم السنة المطهرة، فأجد أن من تمام البحث ونجاحه أن يتحدث بلغة الدليل، إذ إن موضوع الصلاة على محمد وآل محمد تعد من الموضوعات الشائقة والشاقة لارتباطها بالنبي محمد وآل محمد، فكل شيء يتعلّق بالنبي وآله يكون شائقا بثماره وآثاره، ويكون شاقا من جهة فهم معانيه ودقائق أموره، وعلى هذا نجد أن من الأمور التي تزيد البحث قيمة هو تثبيت وقفية (الصلاة على محمد وآل محمد) كنص لفظي شرعي وطقس ديني عبادي ورد على لسان المعصومين (عليهم السلام)؛ ممَّا يعطي بُعدًا توثيقيًّا للموضوع في ذهن المتلقي، وعلى هذا سوف نقف عند أحاديث تتضمن عبارة (الصلاة على محمد وآل محمد) كنص بلا تصرف، والتي من أبرزها:

١- ما ورد عن أَحْمَد بن مُحَمَّدٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي الْبِلَادِ عَنْ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نُعَيْمٍ قَالَ قُلْتُ لأَبِي عَبْدِ الله (عليه السلام): «**دَخَلْتُ طَوَافَ الْفَرِيضَةِ فَلَمْ يُفْتَحْ لِي شَيْءٌ مِنَ الدُّعَاءِ إِلَّا الصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ وسَعَيْتُ فَكَانَ كَذَلِكَ فَقَالَ**

مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِمَّنْ سَأَلَ أَفْضَلَ مِمَّا أُعْطِيتَ»[٢٠]. فإن هذا الحديث يعضد قضية نصية عبارة الصلاة على محمد وآل محمد كاسم علم يدل ويشير إلى عبادة دينية شرعية صوتية أداؤها يكون إما بصيغة الإنشاء، وهي: (اللهم صل على محمد وآل محمد) أو بصيغة الإخبار، وهي: (صلى الله عليه وآله).

٢- كما ورد عن عَلِيّ بن إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيه عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَحَدِهِمَا (عليهما السلام) قَالَ: «مَا فِي الْمِيزَانِ شَيْءٌ أَثْقَلَ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ وإِنَّ الرَّجُلَ لَتُوضَعُ أَعْمَالُه فِي الْمِيزَانِ فَتَمِيلُ بِه فَيُخْرِجُ صلى الله عليه وآله الصَّلَاةَ عَلَيْه فَيَضَعُهَا فِي مِيزَانِه فَيَرْجَحُ بِه»[٢١]. فقد أورد هذا الحديث نصية الصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ على لسان المعصوم (عليه السلام).

٣- ونقل أيضًا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ ابْنِ جُمْهُورٍ عَنْ أَبِيه عَنْ رِجَالِه قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ الله (عليه السلام): «مَنْ كَانَتْ لَه إِلَى الله عَزَّ وجَلَّ حَاجَةٌ فَلْيَبْدَأْ بِالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِه ثُمَّ يَسْأَلُ حَاجَتَه ثُمَّ يَخْتِمُ بِالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ فَإِنَّ الله عَزَّ وجَلَّ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَقْبَلَ الطَّرَفَيْنِ ويَدَعَ الْوَسَطَ إِذَا كَانَتِ الصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ لَا تُحْجَبُ عَنْه»[٢٢]. فظهر في هذا الحديث أن عبارة: (الصَّلَاة عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ) قد جاءت على ثغر المعصوم وهو الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام).

٤- كما جاء عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَسِّنِ بْنِ أَحْمَدَ عَنْ أَبَانٍ الأَحْمَرِ عَنْ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ نُعَيْمٍ قَالَ: قُلْتُ لأَبِي

عَبْدِ الله (عليه السلام): إِنِّي دَخَلْتُ الْبَيْتَ (-الحرام-) ولَمْ يَحْضُرْنِي شَيْءٌ مِنَ الدُّعَاءِ إِلَّا الصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ فَقَالَ أَمَا إِنَّه لَمْ يَخْرُجْ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا خَرَجْتَ بِه"[٢٣]. فإن هذا الحديث أيضا جاء مؤيدا لنصية (الصلاة على محمد وآل محمد) على لسان المعصوم (عليه السلام) لأصحابه. ظهر من هذا الحديث أن عبارة الصلاة على محمد وآل محمد نص شرعي وغيرها من الأحاديث الكثيرة اكتفينا بهذه النماذج الروائية.

ونص الحديث ينصه رفعه، ومنه المنصة وهو المكان البارز وما تظهر عليه العروس لترى، النصُّ علامة كبيرة ذات وجهين: وجه الدّال، ووجه المدلول[٢٤].

فالنص مصطلح ثري يحمل بين طياته الكثير من المعاني، إذ يظهر من معاجم اللغة أن أهم معاني النص، هي: رفع الشيء، الظهور، التراكم، التحريك، أقصى الشيء وغايته ومنتهاه.... كما تقدم ذكره آنفا.

المطلب الثاني: مفهوم (النص) في اللغة والاصطلاح

أولًا: تعريف (النص) لغة

إن المفهوم اللغوي لكلمة (نص) في المعاجم اللغوية مأخوذ من الجذر الثلاثي المضعف (نصص)، ومعناه مدّ أو رفع، فالنص: رفعك الشيء،

ثانيا: تعريف (النص) اصطلاحًا:

أمَّا النص فالمراد به القرآن نفسه، إذ لفظة (القرآني) صفة للنص، والنص جمعه نصوص. يقول الدكتور أديب الصالح: "نعني بالنصوص: نصوص الكتاب والسنة؛ لأن مرد سائر الأدلة الشرعية إليها، فالكتاب والسنة هما أساس التشريع وقوام أحكام

الإسلام، وما عداهما من الأدلة مستنبط منهما ومآله إليهما"[٢٥].

والنص اصطلاحاً: ما لا يحتمل إلاّ معنىً واحداً، وقيل: ما لا يحتمل التأويل، وقيل هو ما زاد وضوحاً على الظاهر لمعنى في المتكلم وهو سوق الكلام لأجل المعنى[٢٦].

وقد ذكر التهانوي أن النص له معان متعددة وهي:-

أ- "كل ملفوظ مفهوم المعنى من الكتاب والسنة ظاهراً أو نصًّا أو مفسراً، حقيقة أو مجازاً عاماً أو خاصًّا.

ب- والنص بمعنى الظهور.

ت- ما لا يتطرق إليه الاحتمال أصلا.

ما لا يتطرق إليه احتمال مقبول يعضده دليل"[٢٧].

المطلب الثالث: مفهوم الآل والأهل في اللغة والاصطلاح.

إن مفهوم الآل من المصطلحات التي شغلت حيزًا مهمًّا وكبيرًا في الموسوعات المعرفية من جهة المناقشة والبحث والاستدلال؛ بغية الوصول إلى المعنى المراد منها في نص الصلاة على محمد وآل محمد. وعلى هذا سوف نقف على بيان معنى الآل والأهل في اللغة والاصطلاح من خلال الآتي:

أولًا: مفهوم الآل والأهل في اللغة:

بفضل الله تعالى حينما نقف على معاجم اللغة في بيان معنى الآل والأهل نجد أن جميع هذه المصطلحات هي من باب المترادفات التي تختلف في البناء الصرفي لها، ولكنها تتفق في بعض معانيها، وتختلف في ضم بعض المصاديق الأخرى، إذ إن هذه المصطلحات أو

المفاهيم لها أكثر من معنى، وتشمل أكثر من مصداق، لكنها كيفما كانت تكون أسيرة لمراد النص الشرعي، وتخصيص السنة المطهرة، وذلك من خلال البيان الآتي:

فقد ذكر صاحب كتاب الفروق اللغوية: "الآل هم الأهل والأتباع"[٢٨]، كما أورد صاحب كتاب لسان العرب أن: "الآل والأَهل واحد، واحتجوا بأَن الآل إِذا صغر قيل أُهَيْل، وقال الكسائي في تصغير آل أُوَيْل؛ قال أَبو العباس: فقد زالت تلك العلة وصار الآل والأَهل أَصلين لمعنيين فيدخل في الصلاة كل"[٢٩]. وقد ظهر أن الآل تقارب في الدلالة والمعنى إلى كلمة الأهل من جهة الاستعمال العربي والقرآني والحديثي، وهذا يظهر من خلال ما ذكره الزبيدي وابن منظور إذ قالا: إن أهل، أَهْلُ الرَّجُلِ: عَشِيرَتُه وذَوُو قُرباه"[٣٠]. وقال الفراهيدي: إن العترة نبتة طيبة يأكلها الناس ويأكلون جراءها، والعترة أيضا: بقلة إذا طالت قطع أصلها، فيخرج منه لبن، العتر، لأنه إذا قطع أصله نبتت من حواليه شعب ست أو ثلاث، ولأن أصل العتر أقل من فرعه، وقال: لا تكون العترة أبدا كثيرة إنما هن شجرات بمكان، وشجرات بمكان لا تملأ الوادي"[٣١]. وحكى سيبويه في جمع أَهْل: أَهْلُون، وسئل الخليل: لِمَ سكّنوا الهاء ولم يحرّكوها كما حركوا أَرَضِين؟ فقال: لأَنَّ الأَهل مذكر"[٣٢]. وقال الزبيدي: آل يؤول أَوْلاً وأُوُولاً، وقال: وآلُ الجبل: أَطرافه ونواحيه. وقال: آلُ الرجل: أَهلُه وعيالُه، فإِما أَن تكون الأَلف منقلبة عن واو، وإِما

أن تكون بدلاً من الهاء، وتصغيره أُوَيْل وأُهَيْل"[٣٣]. وأكد اللغويون أن: "أَهْلُ الأَمر: وُلاتُه، وأَهْلُ البيت: سُكَّانه، وأَهل الرجل: أَخَصُّ الناس به، وأَهْلُ بيت النبي، صلى الله عليه [وآله] وسلم: أَزواجُه وبَناته وصِهْرُه، أَعني عليًّا، عليه السلام، وقيل: نساء النبي، صلى الله عليه [وآله] وسلم، والرجال الذين هم آله"[٣٤].

ظهر بفضل الله تعالى ممَّا تقدم أن الآل والأهل بمعنى واحد، وأنهما يربوان على معان عدة، فهما يعنيان: جبل في مكة، والأقارب، والزوجات، والأصهار، والأولاد، والأمة، والذرية، والبنات، وخاصة الله تعالى، وأعظم الخلق بعد النبي، وأشرف القوم، والخشب (كناية عن القوة)، وأخص الناس بالرجل، وأَطْرافُ الجَبَلِ ونَواحِيه، والشَّخْصُ، وعَمَدُ الخَيمَةِ، والعَشِيرَة، ودواليك من المعاني. ولكي نقف على معنى الآل والأهل الذي ورد في نص الصلاة على محمد وآل محمد ونصوص الشريعة يلزم أن نرجع إلى النبي محمد (صلى الله عليه وآله) لكي يعين لنا ويبين لنا معنى الآل، والذي سوف يظهر لنا من خلال أحاديث النبي وآله صلوات الله عليهم أجمعين؟.

ثانيًا: مفهوم الآل والأهل في الا صطلاح

لقد ظهر أن مصطلح الآل والأهل مصطلحان مترادفان متقاربان في الدلالة والمعنى من حيث اللغة، وكلاهما في اللغة يشملان معنى أزواج وأهل الرجل وذريته ويشمل كثير من المعاني التي تقترب في دلالة القوة والقرب والأفضلية بحسب ما

تقدم، لكن الأصل في الشريعة هو ما قرره النبي محمد (صلى الله عليه وآله) من معنى للكلمة المستعملة في الشريعة، فالآل والأهل في الاصطلاح الشرعي أخص، إذ هما يعنيان بعض الأفراد الذين خصهم الله وبلغ بهم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهذا ليس اجنبيًّا على اللغة العربية، فمصطلح الصلاة في اللغة له أكثر من معنى، لكن الشريعة جاءت وخصصته للصلاة المكتوبة. كذلك الآل والأهل في اللغة له أكثر من معنى، إلّا أن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) قد أدخل فيها ما هو غير متوقع في الوهلة الأولى، وأخرج منها ما هو مستغرب ومستبعد؛ إذ إن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) أدخل ابن عمه وهو الإمام علي (عليه السلام)، وأخرج ما لم يكن بالحسبان وهو نساؤه وأبناؤه من ظهره، فالأصل ما قرره النبي؛ لأن القرآن الكريم واللغة العربية حمالان أوجه، لكن الفاصل في معاني الألفاظ راجع إلى قول النبي محمد (صلى الله عليه وآله). ولعل أهم المصادر التي تعيِّن لنا معنى الآل وتسميهم لنا بأسمائهم هي الروايات التي وردت عن النبي وآله في كتب الحديث، إذ ورد عن النبي وآله (صلوات الله عليهم) أن الآل والأهل هم من يظهر معناهم كمصداق للصلاة على محمد وآل محمد من خلال ما سيأتي في المبحث الثاني.

المبحث الثاني: نماذج حديثية في تعيين الإمام علي (عليه السلام) من مصاديق آل محمد

سوف نقف في هذا المبحث على بعض النماذج من نصوص السنة المطهرة

المتعلقة بالصلاة على محمد وآل محمد من جهة تشخيص المصاديق، وتحديد كون الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) من مصاديقه، إذ بفضل الله تعالى سوف يظهر لنا من خلال نصوص البحث أن الإمام عليًّا (عليه السلام) بحسب النصوص الشرعية الصريحة هو من آل محمد كمصداق من مصاديق الصلاة على محمد وآل محمد، وذلك بحسب ما سوف يظهر من النصوص الحديثية الآتية:

النَّص الحديثي الأول: الإمام علي هو آل محمد بنص حديث الصلاة على محمد وآل محمد:

إن الله تعالى حينما أنزل القرآن على قلب النبي محمد (صلى الله عليه وآله) جعل في رحم القرآن العظيم آية عظيمة توجب على النخبة من الآدميين وهم المؤمنون بأن يصلوا على النبي، فقال عز من قال في سورة الأحزاب: ﴿**إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[٣٥]، فقام القوم حينما نزلت هذه الآية وقالوا: «**كيف الصلاة – عليك يا رسول الله –؟ قال – النبي صلى الله عليه وآله –: قولوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ...**»[٣٦]، فأوجب النبي بأمر من الله تعالى أن يصلوا على النبي وآله معا، لكن الغريب أن القوم خالفوا الله تعالى ورسوله بأن بتروا الصلاة على النبي وآله فقالوا: (اللهم صل على محمد) ولم يصلوا على آل محمد، فسمعهم النبي (صلى الله عليه وآله) وغضب لذلك، أخرج عبد الوهاب الشعراني الشافعي (ت: ٩٧٣ هـ)، في كتابه: "كشف الغمة عن جميع الأمّة"

من حديث الصلاة البتراء، إذ روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «**لا تصلوا علي الصلاة البتراء. قالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال: تقولون اللهم صل على محمد وتمسكون، بل قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد. فقيل من أهلك يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وآله: علي وفاطمة والحسن والحسين**»[٣٧]. فعلمنا أن الصلاة على آل محمد واجبة مثل وجوب الصلاة على النبي محمد، وأن ترك الصلاة على آل محمد تغضب النبي (صلى الله عليه وآله)، وأن الإمام عليًّا (عليه السلام) هو من آل محمد، وأن الصلاة عليه واجبة بأمر من الله تعالى ومن رسوله (صلى الله عليه وآله)، وأن التارك للصلاة على الإمام علي (عليه السلام) هو تارك لأمر الله تعالى ومخالف لنهي الرسول من عدم ترك الصلاة على آل محمد، فتبين أن الإمام عليًّا (عليه السلام) هو واحد من مصاديق آل محمد في الصلاة على محمد وآل محمد.

فظهر أن الله تعالى يصلي على الإمام علي (عليه السلام)، وأن النبي يصلي على الإمام علي (عليه السلام) بصلاته على محمد وآل محمد، وأن الله تعالى لم يكتفِ بصلاته على الإمام علي (عليه السلام) في الملكوت الأعلى، وإنما أصدر مرسومًا قرآنيًّا وحيانيًّا وأودعه في رحم القرآن الكريم بوجوب الصلاة على النبي والإمام علي (عليه السلام) والآل بقوله: ﴿**صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[٣٨]، إلّا أنه لم يراع أغلب المسلمين الاهتمام بتلك الوثيقة الإلهية من جهة أدائها تامة كاملة متكاملة، ثم غضب النبي لسماعه بتر الآل واقتطاعهم عنه

حينما يصلي المسلمون عليه فنهاهم وحذرهم وخوفهم وحرم عليهم تلك الصلاة بمرسوم نبوي موقع من حضرة الرسول عُرف بحديث الصلاة البتراء، وسمّيته بفضل الله تعالى: "وثيقة تحريم الصلاة البتراء على المسلمين"، ومع هذا لم يهتم المسلمون أيضا بوثيقة رسول الله الناهية عن تلك الصلاة فحدث أمران:

الأمر الأول: وقع المسلمون فيما خافه النبي منه عليهم، وهو الخسران ونيل العقاب؛ بتركهم أمر الله ورسوله عمدًا وعنادًا وجحودًا، ومخالفتهم نهي الله ورسوله، فاستحلوا غضب الله ورسوله، وهذا كلامي ممَّا لا شك في أنه يخص المسلمين الذين يعرفون ويحرِّفون الكلم عن مواضعه، وليس عموم المسلمين البسطاء في المعرفة، والجهلاء بحقيقة الأمر.

الأمر الثاني: الذين يصلون الصلاة البتراء عنادًا وجحودًا قد آذوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيما خاف هو منه على أهل بيته من تقتيل وتجريم وتسميم وتهجير، فكان النهي عن الصلاة البتراء أخطر وأعظم وأكبر وأخوف وأهول وثيقة دالة على عظمة أهل البيت في عين الله تعالى إلى درجة أن الله تعالى أصدر نهيًا رسميًّا وحيانيًّا في تحريم ترك الصلاة عليهم لفظيًّا فقط؟! فيا ترى ماذا يفعل الله تعالى بمن ولمن وفيمن آذى أهل بيت النبي أو قتلهم بالسم أو البتار؟!!.

فكان حديث الصلاة البتراء صريحًا بأن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) هو من أهل بيت الرسول وآل النبي الذي صلى الله عليه وأمر

الخلائق كلهم بأن يصلوا عليه لقول النبي (صلى الله عليه وآله) قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد، فالإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، هو آل محمد، وكذلك فاطمة الزهراء (عليها السلام) هي آل محمد، وهو وهي المصداق الأتم للصلاة على محمد وآل محمد بعد النبي (صلى الله عليه وآله)، حتى رُوِيَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَنْ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) قَالَتْ: «قَالَ لِي رَسُولُ الله: يَا فَاطِمَةُ، مَنْ صَلَّى عَلَيْكِ غَفَرَ الله لَهُ وَأَلْحَقَهُ بِي حَيْثُ كُنْتُ مِنْ الجَنَّةِ»[٣٩].

النَّص الحديثي الثاني: الإمام علي (عليه السلام) هو آل محمد بنص حديث الكساء:

إن الأرض حينما انتشر فيها الظلم والعدوان، وانغمس أهلها في ظلمات الظلمات، وشاع الكفر في أعلى مراتبه في الإمبراطورية الفارسية، وساد الشرك في أعلى صوره في الإمبراطورية الرومانية، شاء الله تعالى أن يقدم أعظم ورقة هداية عنده وهو نبينا محمد (صلى الله عليه وآله)، وينزل معه أعظم حقيبة إصلاح وهي القرآن الكريم، ولكن هذا متوقف على النصرة والتمكين للنبي في مشروع الإسلام عن طريق ثلة من المعاصرين له في الأرض وهم أخلص خلق الله تعالى بعد النبي، لكي يساعدونه وينصرونه ويؤيدونه ويحفظونه ويؤنسونه في وحشته ويخففون عليه ألم ومصاعب المهمة والتكليف الإلهي عليه في مواجهة الأعداء وإبطال خططهم وإفشال مؤامراتهم، فكانت هذه الثلة خير ما عرفته البشرية بعد النبي (صلى

الله عليه وآله وسلم)، فما كان من النبي (صلى الله عليه وآله) بعد ما رآه من وقفتهم وإخلاصهم وحبهم وطاعتهم وصبرهم لله وفي الله وفي نصرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلّا أن يرد لهم بعض الجميل، وذلك بأن دعاهم عنده في مجلسه الخاص وغطاهم بكساء بغية أن يدعو لهم بدعاء يكون لهم ذخرًا وفخرًا في الدنيا والآخرة، وهو ما عرف فيما بعد بحديث حادثة الكساء اليماني. وممَّا يؤيد هذه الحقيقة ما أورده المحدثون، وإليك بعض نصوصهم:

الحديث الأول: ما رواه عبد الله حدثني أبي ثنا عبد الله بن نمير قال ثنا عبد الملك يعني ابن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح قال حدثني من سمع أم سلمة تذكر أن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم كان في بيتها فأتته فاطمة ببرمة فيها خزيرة فدخلت لها عليه، فقال لها: ادعي زوجك وابنيك، قالت: فجاء علي والحسين والحسن فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو على منامة له على دكان تحته كساء له خيبري قالت وأنا أصلي في الحجرة، فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[٤٠]، قالت: فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء ثم قال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت فأدخلت رأسي البيت فقلت وأنا معكم يا رسول الله قال**

إنك إلى خير انك إلى خير»[41].

الحديث الثاني: ما نقله قتيبة بن سعيد أخبرنا محمد بن سليمان بن الأصبهاني عن يحيى بن عبيد عن عطاء عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي (صلى الله عليه [وآله] وسلم) قال نزلت هذه الآية على النبي (صلى الله عليه [وآله] وسلم): ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[42]، في بيت أم سلمة، فدعا النبي (صلى الله عليه [وآله] وسلم) فاطمة وحسنًا وحسينًا فجللهم بكساء وعلى خلف ظهره فجلله بكساء ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. قالت أم سلمة وأنا معهم يا رسول الله؟ قال أنت على مكانك وأنت إلى خير»[43].

الحديث الثالث: جاء في تفسير الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): "أن جبرئيل هو الذي لما حضر رسول الله (صلى الله عليه وآله) - وهو قد اشتمل بعباءته القطوانية[44] على نفسه وعلى علي وفاطمة والحسين والحسن (عليهم السلام) وقال: «اللهم هؤلاء أهلي، أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم، محب لمن أحبهم، ومبغض لمن أبغضهم، فكن لمن حاربهم حربا، ولمن سالمهم سلما، ولمن أحبهم محبا، ولمن أبغضهم مبغضا. فقال الله عز وجل: قد أجبتك إلى ذلك يا محمد، فرفعت أم سلمة جانب العباءة لتدخل، فجذبه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال: لست هناك وإن كنت في خير وإلى خير. وجاء جبرئيل (عليه السلام) متدبرا وقال: يا رسول الله اجعلني منكم! قال: أنت منا.

قال: أفأرفع العباءة وأدخل معكم؟ قال: بلى. فدخل في العباءة، ثم خرج وصعد إلى السماء إلى الملكوت الأعلى، وقد تضاعف حسنه وبهاؤه. وقالت الملائكة: قد رجعت بجمال خلاف ما ذهبت به من عندنا! قال: وكيف لا أكون كذلك وقد شرفت بأن جعلت من آل محمد (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته؟! قالت الاملاك في ملكوت السماوات والحجب والكرسي والعرش: حق لك هذا الشرف أن تكون كما قلت، وكان علي (عليه السلام) معه جبرئيل عن يمينه في الحروب، وميكائيل عن يساره وإسرافيل خلفه، وملك الموت أمامه»[٤٥].

الحديث الرابع: ما رواه العباس محمد بن يعقوب ثنا العباس بن محمد الدوري ثنا عثمان بن عمر ثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ثنا شريك بن أبي نمر عن عطاء بن يسار عن أم سلمة (رضي الله عنها) أنها قالت في بيتي نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٤٦]، قالت فأرسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى علي وفاطمة والحسن والحسين [عليهم السلام] فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي قالت أم سلمة يا رسول الله ما انا من أهل البيت قال إنك أهلي خير وهؤلاء أهل بيتي اللهم أهلي أحق»[٤٧]. ويقول النيسابوري: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه"[٤٨]، ونقل أبو أحمد قال: أخبرنا عبد الملك بن الحسن عن يحيى بن حسان قال: حدثنا منصور بن أبي الأسود قال: سمعت أبا

داوود قال: سمعت أبا الحمراء قال: حفظت من رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) سبعة أشهر - أو ثمانية - كان يأتي إلى باب علي وفاطمة والحسن والحسين فيقول: «الصلاة يرحمكم الله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٤٩]»[٥٠]، وغيرها من النصوص التي تتعدى أخوات كان وكأنّ.

فكان ممَّا ظهر من هذا التعدد في الأسانيد والظروف المختلفة والشخصيات المتعددة الناقلين لخبر حديث الكساء أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد كرر هذه الحادثة لأكثر من مرة؛ بغية إيصال عظمة الإمام علي (عليه السلام) وزوجه وابنيهما وكرامتهم عند الله تعالى إلى جميع المسلمين، حتى يتناقلون هذه الحادثة الكاشفة عن عظمة الإمام علي (عليه السلام) والسيدة فاطمة الزهراء وابنيهما بعين الله تعالى وما أعطاهم الله تعالى من كرامات وتشريفات ومقامات في الدنيا والآخرة على الخلائق أجمعين، إذ جعلهم آل بيته (عليهم السلام)، مخرجا بذلك نساءه.

وكذلك كان حديث الكساء صريحًا بأن الإمام عليًّا (عليه السلام) هو من آل محمد الذي أذهب الله تعالى عنه الرجس وطهره تطهيرًا، وصلى الله عليه وأمر الخلائق كلهم بأن يصلوا عليه لقول النبي (صلى الله عليه وآله) قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد، فكان الإمام علي (عليه السلام) هو آل محمد، وهو المصداق الأتم للصلاة على محمد وآل محمد بعد النبي (صلى الله عليه

وآله).

فحينما تقول: اللهم صل على محمد وآل محمد فأنت تدعو لفاطمة وأبيها وبعلها وبينها، وهذه مصاديق الصلاة على محمد وآل محمد.

النَّص الحديثي الثالث: الإمام علي (عليه السلام) هو آل محمد بنص حديث المباهلة:

حينما جاء نصارى مدينة نجران وأساقفهم ليحاجوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) في دينهم وفي نبي الله عيسى (عليه السلام) وصلوا إلى طريق مسدود، وهم بالحقيقة عارفون جاحدون لها ومعاندون، وفي ذلك شاهدان:

الشاهد الأول: ما نقله الرازي في مفاتيح الغيب، إذ قال: "محمد بن إسحاق لما قدم على رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) وفد نجران ستون راكباً فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم، وثلاثة منهم كانوا أكابر القوم، أحدهم: أميرهم، واسمه عبد المسيح، والثاني: مشيرهم وذو رأيهم، وكانوا يقولون له: السيد، واسمه الأيهم، والثالث: حبرهم وأسقفهم وصاحب مدراسهم، يقال له أبو حارثة بن علقمة أحد بني بكر بن وائل، وملوك الروم كانوا شرفوه ومولوه وأكرموه لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم، فلما قدموا من بحران ركب أبو حارثة بغلته، وكان إلى جنبه أخوه كرز بن علقمة، فبينا بغلة أبي حارثة تسير إذ عثرت، فقال كرز أخوه: تعس الأبعد يريد رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم)، فقال أبو حارثة: بل تعست أمك، فقال: ولم يا أخي؟ فقال: إنه

والله النبي الذي كنا ننتظره، فقال له أخوه كرز: فما يمنعك منه وأنت تعلم هذا، قال: لأن هؤلاء الملوك أعطونا أموالاً كثيرة وأكرمونا، فلو آمنا بمحمد (صلى الله عليه [وآله] وسلم) لأخذوا منا كل هذه الأشياء، فوقع ذلك في قلب أخيه كرز، وكان يضمره إلى أن أسلم فكان يحدث بذلك"[٥١].

الشاهد الثاني: حينما دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) نصارى نجران للمباهلة وهي إحلال اللعنة على الكاذبين، قالوا دعنا: "نرجع وننظر، فلما خلا بعضهم إلى بعض قالوا للعاقِب وكان ذا رأيهم: يا عبد المسيح ما ترى؟ قال والله لقد عرفتم أن محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم، والله ما باهَل قومٌ نبيًّا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم، فإن أبيتم إلّا إلف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم[٥٢]، هنا غدا النبي (صلى الله عليه وآله) آخذا بيد علي والحسن والحسين (عليهم السَّلام) بين يديه، وفاطمة (عليها السَّلام) خلفه، وهو يقول لهم: إذا أنا دعوت فأمّنوا، وخرج النصارى يقدمهم أسقفهم أبو حارثة، فقال الأسقف: إني لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا لأزاله بها، فلا تباهلوا، فلا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة، فقالوا: يا أبا القاسم إنا لا نُباهِلَك ولكن نصالحك، فصالحهم رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) على أن يؤدوا إليه في كل عام ألفي حُلّة، ألف في صفر وألف في رجب، وعلى عارية ثلاثين درعا وعارية ثلاثين فرسا و ثلاثين رمحا"، فكان الإمام

علي (عليه السلام) واحدا من الذين جعله الله تعالى من أهل بيت النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، وجعله سببًا في بيان الحق ودحض الباطل، وأن دعاءه شرط في إهلاك القوم الكاذبين، وهذا يظهر من خلال النصوص الحديثية الآتية:

الحديث الأول: ما نقله الترمذي في سننه، إذ روى قتيبة أنه قال: أخبرنا حاتم بن إسماعيل عن بكير بن مسمار عن عامر بن سعد عن أبيه قال: "لما نزلت هذه الآية: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾[٥٣] دعا رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) عليًّا وفاطمة وحسنًا وحسينا، فقال: اللهم هؤلاء أهلي"[٥٤]. فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) جعل الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) من أهل بيته، فهو مصداق قول النبي اللهم هؤلاء أهلي في واقعة المباهلة.

الحديث الثاني: ما ذكره مسلم في صحيحه، وذلك قوله :"لما نزلت هذه الآية: ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ**﴾[٥٥] دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليًّا وفاطمة وحسنًا وحسينًا، وقال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي**»[٥٦]. إذ جعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أهم مصداق في آل محمد؛ لأنه الرجل الوحيد من بين كل رجال العالمين في زمانه.

الحديث الثالث: ما نقله الشيخ الصدوق عن علي بن حسان

الواسطي، قال: حدثني عبد الرحمن بن كثير، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين (عليهم السلام)، عن عمه الحسن (عليه السلام)، قال: قال الإمام الحسن (عليه السلام): «**قال الله تعالى لمحمد (صلى الله عليه وآله) حين جحده كفرة الكتاب وحاجوه: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾**[٥٧]، **فأخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الأنفس معه أبي، ومن البنين أنا وأخي، ومن النساء فاطمة أمي من الناس جميعا، فنحن أهله ولحمه ودمه ونفسه، ونحن منه وهو منا**»[٥٨]. فإن الإمام الحسن المجتبى وهو حاضر في حادثة المباهلة ينقل لنا كشاهد عيان أن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) هو الرجل الوحيد الوجيه المقبول دعاؤه والمستجاب طلبه من بين كل المسلمين بعد النبي (صلى الله عليه وآله)، إذ أخرجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) معه للمباهلة بصفة أهله، وأن هذا الأمر لا يدل إلّا على عظيم قدره وشريف مقامه عند الله تعالى، وإنه حجة على العالمين، بل هو من أشرف مصاديق الصلاة على محمد وآل محمد، وأن الله تعالى جعل الصلاة عليه من خلال الصلاة على آل محمد شرطًا في قبول الصلاة المكتوبة كما ذهب إليه الإمامية والشافعية، إذ قال ابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة: وللشافعي قوله:

يا أهل(آلَ) بَيتِ رَسولِ الله حُبَّكُمُ
فَرضٌ مِنَ الله في القُرآنِ أَنزَلَهُ

يَكفيكُمُ(كَفاكمُ)مِن عَظيمِ الفَخرِ أَنَّكُمُ

مَن لَم يُصَلِّ عَلَيكُم لا صَلاةَ لَهُ[٥٩].

الحديث الرابع: قال العسقلاني في كتابه الإصابة في تمييز الصحابة في تفسير آية المباهلة: "وأنزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾[٦٠]، فدعا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم عليًّا وفاطمة وحسنًا وحسينًا فقال: اللهم هؤلاء أهلي"[٦١].

الحديث الخامس: ونقل ابن عساكر قائلا: "ولما نزلت: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾[٦٢]، دعا عليًّا وفاطمة وحسنًا وحسينًا وقال: اللهم هؤلاء أهلي"[٦٣].

الحديث السادس: وجاء عن عامر بن سعد قال: قال معاوية لأبي: ما يمنعك أن تسب أبا تراب؟ قال: لثلاث رويتهن عن النبي (صلى الله عليه وآله): لما نزلت آية المباهلة ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[٦٤]، أخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بيد علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام قال: «هؤلاء أهلي»"[٦٥].

الحديث السابع: فقد روى القندوزي أن ابا رياح مولى أم سلمة رفعه للنبي (صلى الله عليه وآله): «لو علم الله تعالى أنّ في الأرض عبادا أكرم من علي وفاطمة والحسن والحسين لأمرني [في] أن أباهل بهم، ولكن أمرني بالمباهلة مع هؤلاء، وهم أفضل الخلق، فغلبت بهم [اليهود و] النصارى»[٦٦].

فظهر من جميع النصوص المتقدمة أن الامام عليًّا (عليه السلام) هو موضوع آية المباهلة، وأنه السيد الوحيد من بين كل رجال العالمين، وأنه عنوان ومصداق آل محمد من بين كل عشيرته، فهو عنوان رضا الله تعالى إذا رضا، وعنوان غضب الله تعالى إذا غضب، فكان هو مصداق آل محمد الذي نتعبد الله تعالى بالصلاة عليه في الصلاة على محمد وأهل محمد.

النَّص الحديثي الرابع: الإمام علي (عليه السلام) هو آل محمد بنص حديث القربة

إن أجواء رسالة النبي محمد (صلى الله عليه وآله) صاحبها أذية المشركين له ولأهل بيته (صلوات الله عليهم اجمعين)، وكذلك شياع الفقر بين الناس وقلة السيول المالية، فقام بعض الأنصار بجمع المال إلى رسول الله (صلى الله عليه آله) بغية إعطائها له، فوصل الخبر إلى المشركين، فقالوا أترون محمدًا (صلى الله عليه وآله) يسأل عمَّا يتعاطاه أجرًا، فأنزل الله تعالى آية: ﴿**قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْه أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى**﴾[٦٧]، وهنا قال الإمام الرضا (عليه السلام): «**فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أصحابه، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أيها الناس، إن الله عز وجل قد فرض لي عليكم فرضا فهل أنتم مؤدوه؟ فلم يجبه أحد، فقال: يا أيها الناس، إنه ليس بذهب ولا فضة [ولا مأكول] ولا مشروب، فقالوا: هات إذن، فتلا عليهم هذه الآية، فقالوا: أما هذا فنعم. فما وفى بها أكثرهم، وما بعث الله عز وجل نبيا إلا أوحى إليه أن لا يسأل قومه أجرا، لأن الله**

يوفي أجر الأنبياء، ومحمد (صلى الله عليه وآله) فرض الله عز وجل مودة قرابته على أمته، وأمره أن يجعل أجره فيهم، ليؤدوه في قرابته، لمعرفة فضلهم الذي أوجب الله عز وجل لهم»[٦٨]، ثم قال الإمام الرضا (عليه السلام): «**وما أنصفوا نبي الله (صلى الله عليه وآله) في حيطته ورأفته، وما من الله به على أمته، مما تعجز الألسن عن وصف الشكر عليه، أن يودوه في قرابته وذريته وأهل بيته، وأن يجعلوهم فيهم بمنزلة العين من الرأس، حفظا لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فيهم، وحبا لهم، وكيف والقرآن ينطق به ويدعو إليه**»[٦٩].

وهنا سعى الأصحاب وأنصار النبي (صلى الله عليه وآله) إلى الاقتراب من فهم هذه الآية، ومعرفة مصاديقها؛ لكي يؤدوا حق القرابة الذي أوجبه الله تعالى عليهم وعلينا إلى يوم القيامة، فقالوا: يا رسول الله من هم القربى الذين جعل الله تعالى حقك علينا في تقديرهم وطاعتهم وحبهم وحفظهم في حياتك وبعد مماتك؟ فقال رسول الله (صلى الله عله وآله): هم أهل بيتي، وآلي، وهم علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)، وفي ذلك شواهد ونصوص حديثية:

الحديث الأول: ما رواه مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ الْخَالِقِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله (عليه السلام) يَقُولُ لأَبِي جَعْفَرٍ الأَحْوَلِ وأَنَا أَسْمَعُ أَتَيْتَ الْبَصْرَةَ فَقَالَ نَعَمْ... قَالَ (عليه السلام): «**مَا يَقُولُ أَهْلُ الْبَصْرَةِ فِي هَذِهِ الآيَةِ: ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْه أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ**

فِي الْقُرْبى﴾[٧٠]، قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّهَا لأَقَارِبِ رَسُولِ الله (صلى الله عليه وآله) فَقَالَ كَذَبُوا إِنَّمَا نَزَلَتْ فِينَا خَاصَّةً فِي أَهْلِ الْبَيْتِ فِي عَلِيٍّ وفَاطِمَةَ والْحَسَنِ والْحُسَيْنِ أَصْحَابِ الْكِسَاءِ (عليهم السلام)»[٧١].

تعالى سوف يغضب عليه ولن يؤدي حق الله تعالى وسوف يكون باخسًا حق النبي (صلى الله عليه وآله) في الدنيا والآخرة، والأعجب من هذا كله، كيف سيواجه النبي من سعى إلى قتله؟.

فإن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) جعل الإمام علي بن أبي طالب والسيدة فاطمة الزهراء والإمام الحسن والحسين هم مدار وموضوع وحقيقة رضا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فمن والاهم وأحبهم وأطاعهم وحفظهم ونصرهم فقد أدى حق رسول الله (صلى الله عليه وآله) بنظر السماء وبنظر النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، وعلى هذا فمن آذى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أو حاربه أو ظلمه أو قهره أو أحزنه بكلمة أو فعل فإن الله

إذ إن قربى النبي في آية المودة هم أهل بيته (عليهم السلام)، وإن الإمام علي (عليه السلام) هو عنوان القربى في الآية، فهو الرجل الأوحد من بين الآل (صلوات الله عليه وعليهم أجمعين)، وأن الله تعالى جعل شرط إيفاء حق رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حب الإمام علي (عليه السلام) ورعايته وتكريمه وعدم ظلمه وعدم أذيته، بل فوق هذا في طاعته وحفظه في نفسه ومن يحبهم من عائلته (صلوات الله عليهم أجمعين).

فأظهر هذا الحديث أن الإمام علي (عليه السلام) هو آل محمد في الصلاة على محمد وآل محمد، فعرفنا أن آل محمد الذين نصلي عليهم في الصلاة على محمد وآل محمد هو الإمام علي (عليه السلام) وفاطمة وبنيها (صلوات الله عليهم أجمعين).

الحديث الثاني: ما رواه الطبراني عن محمد بن عبد الله ثنا حرب بن الحسن الطحان ثنا حسين الأشقر عن قيس بن الربيع عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن بن عباس (رضي الله عنهما) قال لما نزلت: ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْه أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾[٧٢]، قالوا: يا رسول الله ومن قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما"[٧٣]. فإن عبد الله بن عباس كان شاهدًا عندما سألوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن ذوات القربى، فأخبر النبي المسلمين بأنهم أهل بيته وهم الإمام علي (عليه السلام) وفاطمة وولديهما.

الحديث الثالث: ما رواه الهيثمي عن ابن عباس قال: "لما نزلت: ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْه أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾[٧٤]، قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما"[٧٥]، ولعل من أروع صور البيان والتوضيح في كون الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) هو القربى والآل الذي أوجب الله تعالى على المسلمين طاعته والصلاة عليه إلى يوم القيامة، هو ما جاء عن الرازي في تفسيره لقوله تعالى: "﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْه أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾[٧٦]، وأنا أقول

- القول للرازي -: آل محمد صلى الله عليه [وآله] وسلم هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكل من كان أمرهم إليه أشد وأكمل كانوا هم الآل، ولا شك في أن فاطمة وعليًّا والحسن والحسين كان التعلق بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم أشد التعلقات، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هم الآل"(٧٧).

والجميل في المقام أن الرازي قال: "اختلف الناس في الآل فقيل هم الأقارب وقيل هم أمته، فإن حملناه على القرابة فهم الآل، وإن حملناه على الأمة الذين قبلوا دعوته فهم أيضاً آل فثبت أن على جميع التقديرات هم الآل"(٧٨)، وهم: فاطمة وعلي والحسن والحسين"(٧٩).

ثم نقل الرازي رواية صاحب "الكشاف(٨٠)" أنه لما نزلت هذه الآية ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْه أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾(٨١)، قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ فقال علي وفاطمة وابناهما". - فقال الرازي -: "فثبت أن هؤلاء الأربعة أقارب النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم"(٨٢).

الحديث الرابع: ما رواه القاضي في دعائم الاسلام، إذ: "قيل لعبد الله بن عباس: من قرابة رسول الله (صلى الله عليه وآله) هؤلاء الذين عنى الله عز وجل بقوله: ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْه أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾(٨٣)، فقال: علي وفاطمة والحسن والحسين وذريتهم"(٨٤).

الحديث الخامس: ما رواه الشيخ

الصدوق قائلا: "حدثني أبي، عن جدي، عن آبائه، عن الحسين بن علي (عليهم السلام) قال: اجتمع المهاجرون والأنصار إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالوا: يا رسول الله، إن لك مؤونة في نفقتك ومن يأتيك من الوفود، وهذه أموالنا مع دمائنا، فاحكم فيها مأجورا، أعط منها ما شئت [وأمسك ما شئت] من غير حرج، فأنزل الله عز وجل عليه الروح الأمين، فقال: يا محمد: ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْه أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾ يعني [أن] تودوا قرابتي من بعدي، فخرجوا، فقال المنافقون: ما حمل رسول الله على ترك ما عرضنا عليه إلا ليحثنا على قرابته [من بعده]، إن هو إلا شيء افتراه في مجلسه. فكان ذلك من قولهم عظيمًا، فأنزل الله عز وجل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاه قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُه فَلا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ الله شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِما تُفِيضُونَ فِيه كَفى بِه شَهِيداً بَيْنِي وبَيْنَكُمْ وهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، فبعث إليهم النبي صلى الله عليه وآله، فقال: هل من حدث؟ فقالوا: إي والله، قال بعضنا كلامًا غليظًا كرهناه. فتلا عليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) [الآية]، فبكوا واشتد بكاؤهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِه ويَعْفُوا عَنِ السَّيِّئاتِ ويَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ﴾"[٨٥].

الحديث السادس: أخرج صاحب الصواعق المحرقة: "عن أحمد والطبراني وابن أبي حاتم والحاكم عن ابن عباس (رضي الله) عنهما أن هذه الآية: ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْه أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾[٨٦]، لما نزلت قالوا يا رسول الله من قرابتك

هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما"[٨٧]. وأيد ابن حجر حديث النبي (صلى الله عليه وآله) في كون الإمام علي (عليه السلام) هو مصداق القربى والأهل بقول: "شمس الدين ابن العربي:

رَأَيْتُ وَلَائِي آلَ طَهَ فَرِيضَةً
عَلَى رَغْمِ أَهْلِ البُعْدِ يُورثنِي القُرْبا
فَمَا طَلَبَ المَبْعُوثُ أَجْراً عَلَى الهُدى
بتبلِيغِهِ إلا المَوَدَّة فِي القُرْبَى"[٨٨].

فظهر من كل ما تقدم أن القربى في آية القربى هم الأهل، والأهل مفهومٌ مصاديقه، هم: الإمام علي (عليه السلام)، والإمام الحسن (عليه السلام)، والإمام الحسين (عليه السلام)، وسيدة منزلهم وأميرته وهي السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام). فحينما نصلي على محمد وآل محمد فإننا نصلي على الإمام علي (عليه السلام)؛ لأنه أهل النبي وآله الذي ظهر لنا كمصداق أتم لآية التطهير، وآية المباهلة، وآية القربى، وآية الصلاة المحمدية.

النَّص الحديثي الخامس: الإمام علي (عليه السلام) هو آل محمد بنص حديث الثَّقَلَيْن:

حينما اقترب موعد رحيل رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله) عن هذا العالم أصدر مرسومًا وحيانيًّا بقي في رحم الذاكرة الحديثية والتاريخية والسيروية، يتضمن وصايا النبي في حفظ الإسلام والأمة من الضياع بعده، عرفت فيما بعد بوثيقة الثقلين أو حديث الثقلين، إذ نقل لنا زيد بن الأرقم في صحيح مسلم هذه الوصية والأمانة عن النبي (صلى الله عليه وآله قائلا): "قام رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يومًا فينا خطيبًا

بماء يدعى خمًّا بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر، ثم قال: أمَّا بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، فقال له حصين ومن أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته قال: نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده"[٨٩]، فسعى الأصحاب والأنصار وعلماء المسلمين والباحثون عن الحقيقة إلى معرفة مصاديق ثقل النبي الذين قال الرسول (صلى الله عليه وآله) فيهم: "وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ثلاث مرات"[٩٠]، وهذا ما سوف يظهر من خلال النصوص الحديثية الآتية:

الحديث الأول: ما رواه الشيخ الصدوق عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله): «**إنَّ عَلِيّا وَصِيّي وخَليفَتي، وزَوجَتَهُ فاطِمَةَ سَيِّدَةَ نِساءِ العالَمينَ ابنَتي، وَالحَسَنَ وَالحُسَينَ سَيِّدا شَبابِ أهلِ الجَنَّةِ وَلَدايَ، مَن والاهُم فَقَد والاني، ومَن عاداهُم فَقَد عاداني، ومَن ناوَأَهُم فَقَد ناوَأَني، ومَن جَفاهُم فَقَد جَفاني، ومَن بَرَّهُم فَقَد بَرَّني، وَصَلَ اللهُ مَن وَصَلَهُم، وقَطَعَ مَن قَطَعَهُم، ونَصَرَ مَن أعانَهُم، وخَذَلَ مَن خَذَلَهُم، اللّهُمَّ مَن كانَ لَهُ مِن أنبِيائِكَ ورُسُلِكَ ثَقَلٌ وأهلُ بَيتٍ، فَعَلِيٌّ وفاطِمَةُ وَالحَسَنُ وَالحُسَينُ أهلُ**

بَيتي وثَقَلي....»[٩١]. فإن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) قد أخبرنا أن أهل بيته هم ثقله الذين بهم يُحفظ الإسلام، وبِطاعتهم يُنال رضا الله تعالى، وبتركهم يهلك الإنسان، ثم لم يكتفي النبي (صلى الله عليه وآله) في الوقوف على مصطلح الثقل، وإنما عرَّف النبي (صلى الله عليه وآله) هذا المصطلح بقوله، هم: «عَلِيٌّ وفاطِمَةُ وَالحَسَنُ وَالحُسَينُ أهلُ بَيتي وثَقَلي»[٩٢]، فكان الإمام علي (عليه السلام) هو ثقل النبي (صلى الله عليه وآله) الذي برضاه يرضا الله تعالى، وبغضبه يغضب الله تعالى، وبحبه ووصله ونصرته يكون حبًّا ونصرًا ووصلا لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، فكان الإمام علي (عليه السلام) هو الأهل والثقل الذي يكون أعلى مصاديق آل محمد حينما نصلي على محمد وآل محمد.

الحديث الثاني: ما رواه الشيخ الكليني عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: «... **قال الإمام الصادق (عليه السلام): ولَكِنَّ الله عَزَّ وجَلَّ أَنْزَلَه فِي كِتَابِه تَصْدِيقاً لِنَبِيِّه (صلى الله عليه وآله): ﴿إِنَّما يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فَكَانَ عَلِيٌّ والحُسَنُ والحُسَيْنُ وفَاطِمَةُ (عليهم السلام) فَأَدْخَلَهُمْ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وآله) تَحْتَ الْكِسَاءِ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ أَهْلاً وثَقَلاً وهَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وثَقَلِي فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ أَلَسْتُ مِنْ أَهْلِكَ فَقَالَ إِنَّكِ إِلَى خَيْرٍ ولَكِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي وثِقْلِي**»[٩٣]. إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) حينما نزلت آية التطهير لتعطي المقام العلي للنبي وآله صدر النبي بعض نصوصه أن الإمام

عليًّا (عليه السلام) وفاطمة الزهراء والإمام الحسن والإمام الحسين هم الثقل الأعظم في الإسلام، وأنهم محنة المسلمين واختبارهم، فمن تولاهم وأحبهم نجى ومن تخلى عنهم وتخلف وآذاهم هلك، ولا غرابة أن هذه المعاني تنطبق على الإمام علي (عليه السلام)، فقد روي عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان جالسًا ذات يوم وعنده علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) فقال: «اَللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ هَؤُلاَءِ أَهْلُ بَيْتِي، وَأَكْرَمُ اَلنَّاسِ عَلَيَّ، فَأَحِبَّ مَنْ أَحَبَّهُمْ وَأَبْغِضْ مَنْ أَبْغَضَهُمْ، وَوَالِ مَنْ وَالاَهُمْ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُمْ، وَأَعِنْ مَنْ أَعَانَهُمْ، وَاِجْعَلْهُمْ مُطَهَّرِينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ، مَعْصُومِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، وَأَيَّدْهُمْ بِرُوحِ اَلْقُدُسِ مِنْكَ... ثُمَّ رَفَعَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يَدَهُ إِلَى اَلسَّمَاءِ فَقَالَ: اَللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ أَنِّي مُحِبٌّ لِمَنْ أَحَبَّهُمْ، وَمُبْغِضٌ لِمَنْ أَبْغَضَهُمْ، وَسِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَهُمْ، وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَهُمْ، وَعَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاهُمْ، وَوَلِيٌّ لِمَنْ وَالاَهُمْ»[٩٤]. فأصبح الإمام علي (عليه السلام) هو الرجل الوحيد الذي جعل النبي من الله تعالى حبه الفاصل بين الجنة والنار، فمن أحبه دخل الجنة، ومن أبغضه دخل النار؛ لأنه ببغضه سوف يبغض النبي، ومن أبغض النبي دخل النار، ومن آذاه فقد آذى النبي ومن آذى النبي دخل النار، فكان حقا هو أعظم رجل يتجلى صورته ويتجلى اسمه في آل محمد حينما نصلي على محمد وآل محمد؛ لأن الصلاة على محمد وآل محمد هي أعظم عبادة لله تعالى، وأعلى سقفًا عباديًّا لله تعالى، بدليل

ما جاء في الاثر:

١. ما ورد عن الإمام الرضا (عليه السلام) قوله: «أَكْثِرُوا مِنَ اَلصَّلاَةِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ...فَإِنَّ اَلصَّلاَةَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَفْضَلُ أَعْمَالِ اَلْبِرِّ»[٩٥].

٢. كما جاء عن البرقي في المحاسن: عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد بن عثمان، أنه سأل أبا عبد الله (عليه السلام)، قال: أخبرنا عن أفضل الأعمال، فقال: «اَلصَّلاَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، مِائَةَ مَرَّةٍ بَعْدَ اَلْعَصْرِ، وَمَا زِدْتَ فَهُوَ أَفْضَلُ»[٩٦].

٣. ما نقل عن الإمام الباقر (عليه السّلام) أنّه سئل: ما أفضل الأعمال يوم الجمعة؟ قال: «لا أعلم عملًا أفضل من الصّلاة على محمّد وآل محمّد»[٩٧].

٤. قال الإمام أبو محمد العسكري (عليه السلام): «أَنَّ أَشْرَفَ أَعْمَالَ الْمُؤْمِنِينَ، فِي مَرَاتِبِهِمْ الَّتِي قَدْ رَتَّبُوا فِيهَا، مِنَ الثَّرَى إِلَى الْعَرْشِ، الصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِين»[٩٨]. وغيرها من النصوص.

فكان الإمام علي (عليه السلام) هو الرجل الوحيد التي صار ذكره أعلى ذكرا عباديا لله تعالى وأعلى سقفا عباديا يمكن للإنسان أن يتقرب به إلى الله تعالى؛ وذلك عن طريق الصلاة على محمد وآل محمد، فهو ثقل آل محمد الذي أمرنا الله تعالى أن نحبه ولا نؤذيه وأن نصلي عليه إلى يوم القيامة؛ لكي يرضى الله ورسوله عنا.

النَّص الحديثي السادس: الإمام علي (عليه السلام) هو آل محمد بنص حديث المسجد:

إن الله تعالى أرسل النبي محمد (صلى

الله عليه وآله) ليبلغ مشروع الإسلام العظيم لأهل الأرض، وأشرك الله تعالى مع النبي من يعينه ويساعده وينصره في تبليغ الرسالة، وهم اشرف الخلق بلا منازع وأعظمهم وأكرمهم على الله تعالى بعد النبي، وهم أهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين)، فما كان من الله تعالى إلّا أن أظهر حبه لأهل بيت النبي وتعظيمه وتشريفه لهم بأن طهرهم من كل نجس ورجس، وفرض على المسلمين أن يصلوا عليهم حينما يصلوا على النبي (صلى الله عليه وآله) في آية الصلاة المحمدية، واستجاب الله تعالى دعاء النبي فيهم في حادثة الكساء، وجعل الله تعالى حق النبي على الأمة أن يحفظوهم - وهم القربى - ويحبوهم وينصروهم في الشدة والرخاء وإلّا استوجبوا سخط الله تعالى، وأمر النبي أن يباهل بهم دون سائر الخلق أجمعين على نصارى نجران في أعظم حادثة تاريخية ومفصلية بين الحق والباطل، ثم زاد الله تعالى تعظيمًا جديدًا وتشريفًا آخر لآل النبي (صلى الله عليه وآله)، وهو أن أمر النبي أن يغلق أبواب المسجد النبوي إلّا بابه وباب بيت أهله، فضلا عن بعض أحكام المسجد التي خصها الله تعالى للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفاطمة وبنيهما دون سائر المسلمين، إذ روى الحموينى بإسناده عن عبد الله بن مسعود قال: انتهى إلينا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ذات ليلة ونحن في المسجد جماعة من الصحابة، فينا أبو بكر وعمر وعثمان وحمزة وطلحة والزبير وجماعة من الصحابة بعدما صلينا العشاء فقال: «**ما هذه الجماعة؟**

قالوا: يا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قعدنا نتحدّث، منا من يريد الصلاة، ومنا من ينام فقال: إن مسجدي لا ينام فيه، انصرفوا إلى منازلكم، ومن أراد الصلاة فليصل في منزله راشداً ومن لم يستطع فلينم، فإن صلاة السر تضعف على صلاة العلانية. قال ابن مسعود: فقمنا فتفرقنا وفينا علي بن أبي طالب فقام معنا قال: فأخذ بيد علي وقال: أما أنت فإنه يحلّ لك في مسجدي ما يحل لي ويحرم عليك ما يحرم علي، فقال له حمزة بن عبد المطلب: يا رسول الله، أنا عمك وأنا أقرب إليك من علي، قال: صدقت يا عم إنه والله ما هو عني، إنما هو عن الله عزّوجل»[٩٩]. وعلى هذا سوف نقف عند النصوص الحديثية التي تكشف لنا الاستثناءات التي أعطاها الله تعالى لأهل بيت النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، ومن هم مصاديق أهل بيت النبي في حديث المسجد؟.

الحديث الأول: روى البيهقي عن أبي نصر عمر بن عبد العزيز بن عمر بن قتادة أنبأ أبو الحسن محمد بن الحسن بن إسماعيل السراج ثنا مطين ثنا يحيى بن حمزة التمار قال سمعت عطاء بن مسلم يذكر عن إسماعيل بن أمية عن جسرة عن أم سلمة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم «ألا إن مسجدي حرام على كل حائض من النساء وكل جنب من الرجال إلّا على محمد وأهل بيته علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفاطمة والحسن والحسين»[١٠٠]. فإن مدار هذا الحديث ليس النجاسة من عدمها بقدر بيان أمرين:

الأمر الأول: بيان عظمة وقيمة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وزوجه وأولاده.

الأمر الثاني: بيان أنهم مطهرون من كل عيب ومنزهون من كل نقص أو آفة. فالنبي محمد (صلى الله عليه وآله) قد حرم دخول المسجد على كل نساء العالمين اللاتي عرض لهن الحيض، إلّا السيدة فاطمة الزهراء، ولعل الأمر قائم على رواية مصباح الأنوار: عن أبي جعفر، عن آبائه (عليهم السلام) قال: «**إنما سميت فاطمة بنت محمد الطاهرة، لطهارتها من كل دنس، وطهارتها من كل رفث، وما رأت قط يوما حمرة ولا نفاسا**»[١٠١].

الحديث الثاني: روى صاحب السنن الكبرى و ابن عساكر عن أبي علي الحداد في كتابه ثم حدثني أبو مسعود الأصبهاني عنه أنا أبو نعيم نا أبو بكر بن خلاد نا محمد بن يونس بن موسى نا عبد الله بن داود نا الفضل بن دكين نا ابن أبي غنية عن أبي الخطاب الهجري عن محدوج الذهلي عن جسرة عن أم سلمة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم إلى صرحة هذا المسجد فقال: «**ألا لا يحل هذا المسجد لجنب ولا حائض إلّا لرسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين ألا قد بينت لكم الأسماء أن تضلوا**»[١٠٢]. إن النبي (صلى الله عليه وآله) كان شديد الحرص في هذا الحديث أن يظهر عظمة الإمام علي (عليه السلام) والسيدة فاطمة الزهراء وأولادهما بعين الله تعالى، إذ جعل المسجد له وجعله لهم بيتًا وحصنًا وتشريفًا.

الحديث الثالث: روى الشيخ الصدوق عن محمد بن عمر البغدادي، قال: حدثني الحسن بن عبد الله بن محمد بن علي التميمي، قال: حدثني أبي، قال: حدثني سيدي علي بن موسى بن جعفر، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب (عليهم السلام)، قال: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): لاَ يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يُجْنِبَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ إِلاَّ أَنَا وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِي فَإِنَّهُمْ مِنِّي»[١٠٣].

الحديث الرابع: ما روي في تفسير الإمام (عليه السلام) عن الإمام الحسن بن علي العسكري (عليه السلام) في تفسيره عن آبائه (عليهم السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله) - في حديث سد الأبواب - أنه قال: «لاَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَبِيتَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ جُنُباً إِلاَّ مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، وَالْمُنْتَجَبُونَ مِنْ آلِهِمُ، الطَّيِّبُونَ مِنْ أَوْلاَدِهِمْ»[١٠٤].

الحديث الخامس: روى الحر العاملي عن (عيون الأخبار) وفي (المجالس) عن علي بن الحسين بن شاذويه، وجعفر بن محمد بن مسرور جميعا، عن محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أبيه، عن الريان بن الصلت، عن الرضا (عليه السلام) - في حديث - قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أَلاَ: إِنَّ هَذَا الْمَسْجِدَ لاَ يَحِلُّ لِجُنُبٍ إِلاَّ لِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ»[١٠٥].

فظهر من خلال أحاديث المسجد النبوي أن الله تعالى جعل الإمام علي (عليه السلام) المكان العلي في الدنيا قبل الآخرة، وأنه طاهر مطهر، وأنه هو الرجل الوحيد الذي نال هذا الشرف من عشيرة النبي (صلى الله عليه وآله)، بأن جعل الله تعالى المسجد له بيتا ومأوا وحرما وأمانا، وأن ما يكون للنبي محمد (صلى الله عليه وآله يكون له)، وما يكون عليه يكون عليه، فكان فعلا هو أشرف مصاديق آل محمد في الصلاة على محمد وآل محمد الذي أمرنا الله تعالى أن نصلي عليه حينما نذكر النبي (صلى الله عليه وآله).

وإن قلت كيف لاح لك أن تربط بين حديث المسجد وبين الصلاة على محمد وآل محمد من جهة المصداق؟ فأقول: من خلال مصطلح الأهل التي تعني الآل -بحسب ما أثبتناه-، فإن حديث الصلاة المحمدية وحديث المسجد قد ورد في كليهما مصطلح الأهل، وحينما سألوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن مصاديق الأهل وهم الآل؟ فقال (صلى الله عليه وآله)، هم: فاطمة وبعلها وبنيها، فكان بعل السيدة فاطمة الزهراء هو مصداق آل محمد.

الخاتمة (أهم النتائج):

بفضل الله تعالى ظهر لنا أن الإمام عليًّا (عليه السلام) هو الرجل الوحيد الذي كرمه الله تعالى بأن ضمه مع آل محمد، وجعله من مصاديق أهل بيت النبي في التشريف والتعظيم والتبجيل من دون كل عشيرته.

كما أظهرت الدراسة أن الأهل والآل مصطلحان مترادفان في اللغة، ولهما

أكثر من معنى واستعمال، إلّا أنهما في اصطلاح الشريعة مخصوصان بأصحاب الكساء الخمس في اصطلاح الشريعة الإسلامية، وهم علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفاطمة وابنيهما.

لقد أظهر البحث أن الصلاة على محمد وآل محمد عبادة من العبادات الإسلامية التي أمر الله تعالى بأدائها، وأوجب رسول الله تعالى التعبد بها، ثم السنة المطهرة قد نبهت ونوهت وحذرت من يتركها أو يتهاون بها أو يبترها.

لقد بان في الدراسة أن الصلاة على محمد وآل محمد لهي الطقس العبادي ولهو النص الديني الذي له الفخامة والسيادة والقيادة والريادة والإدارة لأحوال الإنسان إلى أعلى مراتب الارتقاء، والحصول على أعلى مستويات النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة.

لقد أظهر البحث أن الإمام عليًّا (عليه السلام) هو الرجل الوحيد الذي أمرنا الله تعالى التعبد بذكره في الصلاة على محمد وآل محمد من بين كل رجال المسلمين.

لقد تبين للباحث أن الإمام عليًّا (عليه السلام) هو الرجل الوحيد الذي كان موضوعًا لآية التطهير، وأن الله تعالى خصه دون غيره من رجال المسلمين بهذا الشرف.

لقد بان للباحث أن الإمام عليًّا (عليه السلام) هو مصداق آل محمد في الصلاة على محمد وآل محمد.

والحمد لله رب العالمين على ما أنعم وتفضل.

الهوامش

(١) المُلَخَّصُ (المستخلص أو خلاصة الدراسة أو خلاصة البحث) هو التعريف بفكرة العنوان، وذكر أهم المحاور التي سوف يقف عندها البحث في الدراسة وعادة ما تكون في بحوث الترقية والتقويم السنوي في المجلات المحكمة وغيرها، بخلاف (الخاتمة) وهي ذكر أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة دون أن تكون مذكورة في البحث كله سابقا، وأما خطة البحث فهي ذكر بيان واف للعمل في الأطاريح والرسائل وبحوث التخرج، يبدأ من المقدمة والتمهيد والفصول والخاتمة وصولًا إلى مصادر البحث ومراجعه.

(٢) نقل هذا الحديث صاحب العوالم في موسوعته الحديثية قبل أكثر من ثلاثمائة سنة، وقد نقلها عن كتاب أسبق منه هو (الجنة العاصمة)، قال: الجنّة العاصمة: قال: رأيت نسخة خطّيّة ثمينة لكتاب (كشف اللآلي) لصالح بن عبد الوهّاب العرندس، وحينما تصفّحت الكتاب صادفت فيه الحديث المذكور بهذا السند: الشيخ إبراهيم بن الحسن الذرّاق، عن الشيخ عليّ بن هلال الجزائري، عن الشيخ أحمد بن فهد الحلّي، عن الشيخ زين الدين علي بن الحسن الخازن الحائري، عن الشيخ أبي عبد الله محمّد بن مكّي الشهيد، بطرقه المتّصلة إلى أبي جعفر محمّد بن عليّ بن موسى بن بابويه القمّي، بطريقه إلى جابر بن يزيد الجعفي، عن جابر بن عبد الله الأنصاري؛ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، عن الله تبارك وتعالى أنّه قال: «**يا أحمد! لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا عليّ لما خلقتك؛ ولولا فاطمة لما خلقتكما**». [عوالم العلوم، ١١/ ٤٣]؛ العرندسي، كشف اللآلي، (الجنة العاصمة)، والعلامة المرندي في (ملتقى البحرين): ص ١٤، و(مستدرك سفينة البحار): ج ٣ ص ٣٣٤، ونقله (عوالم العلوم): ص ٢٦ عن مجمع النورين، وإنّ هذا الحديث أخرجه

المجلسي/ بحار الأنوار، ٥٧/ ١٩٩، عن كتاب الأنوار لأبي الحسن البكري، ص ٥.

(٣) الجوهري (٣٩٣ هـ)، الصحاح، ٦/ ٢٤٠٢.

(٤) الزبيدي، تاج العروس، ١٩/ ٦٠٦- ٦٠٩. مادة: (صلى) ص: ٦٠٤، و(صلو) ص: ٦٠٦.

(٥) ابن هشام، مغني اللبيب: ١/ ٧٩١.

(٦) الجوهري (٣٩٣ هـ)، الصحاح، ٦/ ٢٤٠٢.

(٧) الزبيدي، تاج العروس، ١٩/ ٦٠٦- ٦٠٩. مادة: (صلى) ص: ٦٠٤، و(صلو) ص: ٦٠٦.

(٨) الزبيدي، تاج العروس، ١٩/ ٦٠٦- ٦٠٩.

(٩) المصدر نفسه.

(١٠) الزبيدي، تاج العروس، ١٩/ ٦٠٦- ٦٠٩. مادة: (صلى) ص: ٦٠٤، و(صلو) ص: ٦٠٦.

(١١) الزبيدي، تاج العروس، ١٩/ ٦٠٦- ٦٠٩.

(١٢) الزبيدي، تاج العروس، ١٩/ ٦٠٦- ٦٠٩. مادة: (صلى) ص: ٦٠٤، و(صلو) ص: ٦٠٦.

(١٣) الفيروز آبادي، الصلات والبشر في الصلاة على خير البشر، ص: ٢٠- ٢١.

(١٤) الزبيدي، تاج العروس، ١٩/ ٦٠٦-٦٠٩ .

(١٥) البهوتي، كشاف القناع، ١/ ٢٢١.

(١٦) البكري الدمياطي، إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين، ١/ ٢٩.

(١٧) ينظر: الرملي، محمد بن أبي العباس الرملي (ت ١٠٠٤ هـ)، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، ص ٣٥٩.

(١٨) الزبيدي، تاج العروس، ١٩/ ٦٠٦- ٦٠٩. مادة: (صلى) ص: ٦٠٤، و(صلو) ص: ٦٠٦.

(١٩) محمد قلعجي، معجم لغة الفقهاء، ص ٢٧٦؛ وينظر: الزبيدي، تاج العروس، ١٩/ ٦٠٦- ٦٠٩. مادة: (صلى) ص: ٦٠٤، و(صلو) ص: ٦٠٦.

(٢٠) الكليني (ت ٣٢٩ هـ)، الكافي، ٤/

٤٠٧.

(٢١) المصدر نفسه، ٢/ ٤٩٤.

(٢٢) المصدر نفسه.

(٢٣) المصدر نفسه.

(٢٤) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٩/ ٣٦٠.

(٢٥) تفسير النصوص في الفقه الإسلامي، ١/ ٥٠-٥١.

(٢٦) الجرجاني، أبو الحسن الجرجاني، التعريفات، ص ٢٣٧.

(٢٧) الصُليبي، دكتور محمد علي الصُليبي، فهم النص على ضوء المصالح والمقاصد في الواقع المعاصر. مقدم للمؤتمر العلمي المنعقد في رحاب الجامعة الأردنية (مؤتمر النصوص الشرعية) في الفترة ٤-٦/ ١١/ ٢٠٠٨م.

(٢٨) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص ٣٥٠.

(٢٩) ابن منظور (ت ٧١١ هـ)، لسان العرب، ١١/ ٣٧.

(٣٠) الزبيدي، تاج العروس، ١٤/ ٣٣؛ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ١١/ ٢٨؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ٣/ ٣٣١.

(٣١) الفراهيدي، العين، ٢/ ٦٦.

(٣٢) ابن منظور (ت ٧١١ هـ)، لسان العرب، ١١/ ٢٨.

(٣٣) المصدر نفسه، ١١/ ٣٧.

(٣٤) المصدر نفسه، ١١/ ٢٩.

(٣٥) الأحزاب، ٥٦.

(٣٦) البخاري (ت ٢٥٦ هـ) صحيح البخاري، ٦/ ٢٧. نص الحديث في كتاب البخاري: حدثني سعيد بن يحيى حدثنا أبي حدثنا مسعر عن الحكم عن ابن أبي ليلى عن كعب بن عجرة (رضي الله عنه) قيل يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة -عليك-؟ قال: «**قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد**». البخاري (ت٢٥٦هـ) صحيح

البخاري، ٦/ ٢٧.

(٣٧) الشعراني، عبد الوهاب الشعراني الشافعي (ت:٩٧٣هـ)، كشف الغمة عن جميع الأمّة، ١/ ٣٢٥. فصل في الأمر بالصلاة على النبي ط. مصر ١٣٢٧ المطبعة الميمنية".

(٣٨) الأحزاب، ٥٦.

(٣٩) المجلسي (ت ١١١١ هـ)، بحار الأنوار، ٤٣/ ٥٥.

(٤٠) الأحزاب، ٣٣.

(٤١) أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، مسند أحمد، ٦/ ٢٩٢.

(٤٢) الأحزاب، ٣٣.

(٤٣) الترمذي (ت ٢٧٩ هـ)، سنن الترمذي، ٥/ ٣٢٨.

(٤٤) أي البيضاء القصيرة المخمل، وقطوان موضع بالكوفة، منه الأكسية.

(٤٥) المنسوب إلى الإمام العسكري (عليه السلام) (ت ٢٦٠ هـ)، تفسير الإمام العسكري (عليه السلام)، ص ٣٧٦.

(٤٦) الأحزاب، ٣٣.

(٤٧) الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ)، المستدرك، ٢/ ٤١٦.

(٤٨) المصدر نفسه.

(٤٩) الأحزاب، ٣٣.

(٥٠) محمد بن سليمان الكوفي (ت ق ٣ هـ)، مناقب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، ٢/ ١٧٤.

(٥١) الرازي (ت ٦٠٦ هـ)، مفاتيح الغيب (تفسير الرازي)، ٧/ ١٦٥.

(٥٢) الثعلبي، تفسير الثعلبي، ٣/ ٨٥؛ البحراني (ت ١١٠٧ هـ)، البرهان في تفسير القرآن، ١/ ٦٣٧.

(٥٣) آل عمران، ٦١.

(٥٤) الترمذي (ت ٢٧٩ هـ)، سنن الترمذي، ٤/ ٢٧٩.

(٥٥) آل عمران، ٦١.

(٥٦) مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، ٤/ ١٨٧١؛ البحراني (ت ١١٠٧هـ)، البرهان في تفسير القرآن، ١/ ٦٣٧.

(٥٧) آل عمران، ٦١.

(٥٨) الشيخ الصدوق، الأمالي، ٢/ ١٧٧؛

البحراني (ت١١٠٧هـ)، البرهان في تفسير القرآن، ١/ ٦٣٠.

(٥٩) الهيثمي، ابن حجر الهيثمي (ت ٩٧٤ هـ)، الصواعق المحرقة، ٢/ ٤٣٥.

(٦٠) آل عمران، ٦١.

(٦١) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، ٤/ ٤٦٨.

(٦٢) آل عمران، ٦١.

(٦٣) ابن عساكر، علي بن الحسن الشافعي (ت ٥٧١ هـ)، تاريخ مدينة دمشق، ٤٢/ ١٦.

(٦٤) آل عمران، ٦١.

(٦٥) البحراني، السيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧ هـ)، البرهان في تفسير القرآن، ١/ ٦٣٧.

(٦٦) القندوزي، سليمان بن إبراهيم الحنفي البلخي (ت ١٢٩٤ هـ)، ينابيع المودة لذوي القربى، ٢/ ٢٦٦.

(٦٧) الشورى، ٢٣.

(٦٨) الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، ٢/ ٢١٢.

(٦٩) المصدر نفسه.

(٧٠) الشورى، ٢٣.

(٧١) الكليني (ت ٣٢٩هـ)، الكافي، ٨/ ٩٣.

(٧٢) الشورى، ٢٣.

(٧٣) الطبراني، سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠ هـ)، المعجم الكبير، ٣/ ٤٧.

(٧٤) الشورى، ٢٣.

(٧٥) الهيثمي، علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ٧/ ١٠٣.

(٧٦) الشورى، ٢٣.

(٧٧) الرازي، فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، تفسير الرازي، ٢٧ / ١٦٥.

(٧٨) المصدر نفسه.

(٧٩) المصدر نفسه.

(٨٠) ثم نقل الرازي قول صاحب الكشاف: "عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: **«من مات على حب آل محمد مات شهيداً ألا ومن مات على حب**

آل محمد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنّة ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنّة كما تزف العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنّة، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة».

الرازي، فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ)، تفسير الرازي، ٢٧/ ١٦٥.

(٨١) الشورى، ٢٣.

(٨٢) الرازي، فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ)، تفسير الرازي، ٢٧/ ١٦٦.

(٨٣) الشورى، ٢٣.

(٨٤) القاضي النعمان المغربي (ت ٣٦٣ هـ)، دعائم الإسلام، ٢/ ٣٦٧.

(٨٥) الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، ٢/ ٢١٣.

(٨٦) الشورى، ٢٣.

(٨٧) ابن حجر، أحمد بن حجر الهيتمي المكي (ت ٩٧٤ هـ)، الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، ص ١٧٠.

(٨٨) المصدر نفسه.

(٨٩) مسلم النيسابوري (ت ٢٦١ هـ)، صحيح مسلم، ٧/ ٢٦١. زهير بن حرب وشجاع بن مخلد جميعا عن ابن علية قال زهير حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثني أبو حيان حدثني يزيد ابن حيان قال انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم فلما جلسنا إليه قال له حصين... لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) قال: ....قام رسول الله....". مسلم النيسابوري

(ت ٢٦١ هـ)، صحيح مسلم، ٧/ ٢٦١.

(٩٠) مسلم النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، ٧/ ٢٦١.

(٩١) الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، الأمالي، ص ٥٦٠.

(٩٢) المصدر نفسه.

(٩٣) الكليني، الكافي، ١/ ٢٨٦.

(٩٤) الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، الأمالي، ١/ ٣٩٣.

(٩٥) علي ابن بابويه القمي (ت ٣٢٩ هـ)، فقه الرضا، ص ٣٣٩.

(٩٦) النوري، ميرزا حسين النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠ هـ)، مستدرك الوسائل، ٥/ ١١٩.

(٩٧) الشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي (ت ١١٢٥ هـ)، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، ١٠/ ٤٣٨.

(٩٨) النوري، مستدرك الوسائل، ٥/ ٣٣٨.

(٩٩) السيد المرعشي (ت ١٤١١ هـ)، شرح إحقاق الحق، ٥/ ٥٨٢؛ واخرجه: أبو نعيم، فضائل الصحابة، ص ٧٢- ٧٣، ومن طريقه الحموي في الفرايد في ب ٤١.

(١٠٠) البيهقي، أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، السنن الكبرى، ٧/ ٦٥.

(١٠١) الشيخ علي النمازي الشاهرودي (ت ١٤٠٥ هـ)، مستدرك سفينة البحار، ٦/ ٦٠٨.

(١٠٢) البيهقي، أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)، السنن الكبرى، ٧/ ٦٥؛ ابن عساكر (ت ٥٧١ هـ)، تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ١٦٦.

(١٠٣) الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، الامالي، ص ٤١٣.

(١٠٤) الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ)، وسائل الشيعة، ٢/ ٢١٠.

(١٠٥) المصدر نفسه، ٢/ ٢٠٧.

مظان البحث

القرآن الكريم

١. ابن حجر، أحمد بن حجر الهيتمي المكي (ت ٩٧٤ هـ)، الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، تحقيق: خرج أحاديثه وعلق حواشيه وقدم له: عبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة: الثانية. المطبعة: شركة الطباعة الفنية المتحدة، الناشر: مكتبة القاهرة لصاحبها: علي يوسف سليمان - شارع الصنادقية - بميدان الأزهر بمصر، سنة الطبع: ١٣٨٥- ١٩٦٥ م.

٢. ابن عساكر (ت ٥٧١ هـ)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري، المطبعة: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع -بيروت- لبنان، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان، سنة الطبع: ١٤١٥هـ.

٣. ابن هشام، عبد الله جمال الدين بن يوسف بن هشام المصري (ت ٧٦١ هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: تحقيق وفصل وضبط: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي- قم- إيران، سنة الطبع: ١٤٠٤هـ.

٤. أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، مسند أحمد، طبعة مكتبة أهل البيت (عليهم السلام)، الناشر: دار صادر- بيروت - لبنان، السنة: ٢٠١٤م.

٥. البحراني، السيد هاشم الحسيني البحراني (ت ١١٠٧ هـ)، البرهان في تفسير القرآن، تحقيق: قسم الدراسات الاسلامية/ مؤسسة البعثة - قم، دون سنة طباعة.

٦. البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري، طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة بإستانبول، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، سنة الطبع: ١٤٠١- ١٩٨١م.

٧. البكري الدمياطي (ت ١٣١٠ هـ)، إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين،

الطبعة: الأولى، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان، سنة الطبع: ١٤١٨- ١٩٩٧م.
٨. البهوتي، منصور بن يونس البهوتي الحنبلي (ت١٠٥١هـ)، كشاف القناع، تحقيق: تقديم: كمال عبد العظيم العناني/ تحقيق: أبو عبد الله محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، الطبعة: الأولى، الناشر: منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، سنة الطبع: ١٤١٨- ١٩٩٧م.
٩. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (٤٥٨ هـ)، السنن الكبرى، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، سنة الطباعة: ١٤٠٤هـ.
١٠. الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩ هـ)، سنن الترمذي، تحقيق وتصحيح: عبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة: الثانية، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، سنة الطبع: ١٤٠٣- ١٩٨٣م.
١١. الثعلبي (ت ٤٢٧ هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، الطبعة: الأولى، المطبعة: بيروت - لبنان - دار إحياء التراث العربي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، سنة الطبع: ١٤٢٢- ٢٠٠٢م.
١٢. الجرجاني، الشريف علي بن محمد بن علي الحسين الحنفي (ت: ٨١٦ هـ)، التعريفات، تحقيق، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، سنة الطباعة: ٢٠٠٣م.
١٣. الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣ هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط: ٤، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م.
١٤. الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تح: مؤسسة آل البيت

(عليهم السلام) لإحياء التراث، ط: ٢، مهر، قم، إيران، ١٤١٤هـ.

١٥. الرازي، فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ)، تفسير الرازي، الطبعة: الثالثة، طبعة مكتبة أهل البيت (عليهم السلام)، سنة ٢٠٠٨.

١٦. الرملي، محمد بن أبي العباس أحمد الرملي (ت ١٠٠٤ هـ)، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الطبعة الأخيرة، الناشر: دار الفكر، بيروت، سنة الطباعة: ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

١٧. الزبيدي، محمد بن محمد مرتضى (ت ١٢٠٥ هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: علي شيري، ط: ١، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م.

١٨. السيد المرعشي (ت ١٤١١ هـ)، شرح إحقاق الحق، تحقيق: اهتمام: السيد محمود المرعشي، الطبعة: الأولى، المطبعة: حافظ - قم، الناشر: منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي - قم - إيران، سنة الطبع: ١٤١٨- ١٣٧٦.

١٩. الشافعي، علي بن الحسين بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف ابن عساكر (ت ٥٧١ هـ)، تاريخ مدينة دمشق، تح: علي شيري، المطبعة: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ.

٢٠. الشاهرودي، الشيخ علي النمازي الشاهرودي (ت ١٤٠٥ هـ)، مستدرك سفينة البحار، تحقيق: تحقيق وتصحيح: الشيخ حسن بن علي النمازي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، سنة الطبع: ١٤١٨هـ.

٢١. الشعراني، عبد الوهاب الشعراني الشافعي (ت ٩٧٣ هـ)، كشف الغمة عن جميع الأمّة، طبعة مصر، المطبعة الميمنية، سنة الطباعة: ١٣٢٧هـ.

٢٢. الصدوق، أبو جعفر، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، عيون أخبار الرضا، تحقيق: مترجمين: حميد رضا مستفيد وعلي أكبر غفاري، الطبعة:

الأولى، المطبعة: چاپ اختر شمال، الناشر: نشر صدوق، سنة الطبع: ١٣٧٢ ش.
٢٣. الصدوق، محمد بن علي بن الحسين (ت ٣٨١ هـ)، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة - قم، الطبعة: الأولى، الناشر: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، سنة الطبع: ١٤١٧هـ.
٢٤. الصُليبي، دكتور محمد علي الصُليبي، فهم النص على ضوء المصالح والمقاصد في الواقع المعاصر. مقدم للمؤتمر العلمي المنعقد في رحاب الجامعة الأردنية (مؤتمر النصوص الشرعية) في الفترة ٤-٦/ ١١/ ٢٠٠٨م.
٢٥. الطبراني، سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠ هـ)، المعجم الكبير، تحقيق وتخريج: حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، الناشر: دار إحياء التراث العربي، د. ت.
٢٦. العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد بن حجر (ت: ٨٥٢ هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية. بيروت، سنة الطبع: ١٤١٥هـ.
٢٧. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن مهران (ت ٣٩٥ هـ)، معجم الفروق اللغوية، تح: مؤسسة النشر الإسلامي، ط: ١، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، إيران، ١٤١٢هـ.
٢٨. الفراهيدي، ابو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ)، كتاب العين، تح: الدكتور مهدي المخزومي الدكتور إبراهيم السامرائي، ط: ٢، الصدر، إيران، ١٤١٠ هـ.
٢٩. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب الشيرازي (ت ٨١٧ هـ)، القاموس المحيط، ط: ١، دار العلم للجميع، بيروت، لبنان، سنة الطبع: ١٣٠٦هـ.
٣٠. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي الفيروز آبادي (٨١٧

هـ)، الصلات والبشر في الصلاة على خير البشر، المحقق: يوسف الي بديوي، الناشر: دار سماح للنشر والتوزيع دمشق، سنة النشر: ١٤٢٩- ٢٠٠٨م.

٣١. القاضي النعمان المغربي (ت ٣٦٣هـ)، دعائم الإسلام، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، الناشر: دار المعارف - القاهرة، سنة الطبع: ١٣٨٣- ١٩٦٣م.

٣٢. قلعجي، محمد رواس قلعة جي، معجم لغة الفقهاء، الطبعة: الثانية، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان، سنة الطبع: ١٤٠٨- ١٩٨٨م.

٣٣. القمي، علي ابن بابويه القمي (ت٣٢٩هـ)، فقه الرضا (عليه السلام)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث - قم المشرفة، الطبعة: الأولى، الناشر: المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام - مشهد المقدسة، سنة الطبع: شوال ١٤٠٦هـ.

٣٤. القندوزي (ت ١٢٩٤هـ)، ينابيع المودة لذوي القربى، تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني، الطبعة: الأولى، المطبعة: أسوه، الناشر: دار الأسوة للطباعة والنشر، سنة الطبع: ١٤١٦هـ.

٣٦. الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت ٣٢٩ هـ)، الكافي، تعليق: علي أكبر غفاري، ط: ٥، مطبعة: الحيدري، طهران، إيران، ١٣٦٣هـ.

٣٧. الكوفي، محمد بن سليمان الكوفي (ت ق ٣ هـ)، مناقب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة: الأولى، المطبعة: النهضة، الناشر: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية - قم المقدسة، سنة الطبع: محرم الحرام ١٤١٢هـ.

٣٨. المجلسي، محمد باقر (ت ١١١١هـ)، بحار الأنوار، تحقيق: السيد هداية الله المسترحمي، الطبعة: الثانية المصححة، الناشر: مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان، سنة الطبع: ١٤٠٣- ١٩٨٣م.

٣٩. مسلم النيسابوري (ت٢٦١هـ)،

صحيح مسلم، الناشر: دار الفكر - بيروت - لبنان، دون سنة طباعة.
٤٠. المشهدي، محمد بن محمد رضا القمي المشهدي (ت١١٢٥هـ)، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، تحقيق: حسين درگاهي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: نيمه شعبان ١٤٠٧ - ١٣٦٦ هـ، الناشر: مؤسسة الطبع والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.
٤١. المصري، ابن منظور، أبو الفضل، محمد بن مكرم المصري (ت٧١١هـ)، لسان العرب، ط: ١، نشر أدب الحوزة، قم، إيران، ١٤٠٥هـ.
٤٢. المنسوب إلى الإمام العسكري (عليه السلام) (ت٢٦٠هـ)، تفسير الإمام العسكري (عليه السلام)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام)، الطبعة: الأولى محققة، المطبعة: مهر - قم المقدسة، الناشر: مدرسة الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) - قم المقدسة، سنة الطبع: ربيع الأول ١٤٠٩هـ.
٤٣. النوري، الحسين بن محمد تقي الطبرسي (ت١٣٢٠هـ)، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تح: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)- لإحياء التراث، ط: ١، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، بيروت، لبنان، ١٤٠٨- ١٩٨٧م.
٤٤. النيسابوري، أبي عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: يوسف المرعشلي، مكتبة أهل البيت (عليهم السلام) الإلكترونية، الإصدار الثاني، ٢٠٠٨.
٤٥. الهيثمي، علي بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ط: ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٨- ١٩٨٨م.

يا رسول الله
يا محمد
السلام عليك

تَكرَار لفظِ الجلالةِ في نَهجِ البلاغةِ
دراسة نصِّيَّة

The Repetition of the Word "Allah" in Nahjul-Balagha
Textual study

م. د عمَّار حسن عبد الزهرة حاتم
المديرية العامَّة للتربية في كربلاء المقدسة

Dr. Ammar Hassan Abdul-Zahraa Hatem
General Directorate of Education in Holy Karbala

ملخص البحث

يمتلك لفظ الجلالة (الله) قدرةً هائلةً من التأثير في الخطاب؛ لما لهذه اللفظة من القداسة الفاعلة في نفوس المؤمنين بها، ولذلك يعمل المتكلِّم خصوصًا في الخطاب الدِّيني على استثمار تأثير هذه اللفظة في رفع الطاقة التعبيريَّة لخطابه، وبالتالي رفع تأثيره في نفوس متلقيه، وهذا الأمر يزداد فيما لو تمَّ تكرار هذا اللفظ (الله) فيتضاعف تأثيره وتتوسَّع دلالاته وأبعاده التعبيريَّة، ومن هنا نجد أنَّ تكرار لفظ الجلالة في نهج البلاغة قد أخذ مساحاتٍ واسعةً في البناء الدَّلالي، ولا سيَّما أنَّ التكرار لهذا اللفظ كان في خصوصِ الخطابِ التربويّ من نهج البلاغة، الذي يهدف إلى بناء الإنسان أخلاقيًّا، ومن هنا فقد عوَّلنا على تتبُّع مواضع تكرار لفظ الجلالة في نهج البلاغة، وقد وجدناها أربعة عشر موضعًا، وقد تتبَّعنا في هذا البحث الدَّلالات التي خرج لها ذلك التكرار على وفق المنهج النَّصي بمعياريه: الاتِّساق والانسجام؛ لأنَّ التكرار يعمل على ربط مقولات النص المُتباعدة، وتحقيق استمراريَّتها، وتلاحم عناصرها من أوّل النَّصِّ إلى آخره، ولذلك يُعدُّ من أهمِّ عوامل التماسك النصيّ؛ لما يوليه من الاستمراريَّة في النَّصِّ من طريق ربط أجزائه وعناصره. ولذا جاءت دراستنا على تمهيد بعد المقدِّمة يليه مبحثان وخاتمة، فأمَّا التمهيد فأوجزنا فيه تعريف النَّصِّ ثمَّ التكرار، بعده عرَّجنا على أغراضه ثمَّ نظرة اللسانيَّات له، وبعده جاء المبحث الأوَّل بدراسة التكرار بوصفه معيارًا للاتِّساق، ثمَّ المبحث الثَّاني وفيه بحثنا التكرار بوصفه معيارًا للانسجام، وأخيرًا الخاتمة التي تكفَّلت ببيان أهمِّ نتائج الدِّراسة.

الكلمات المفتاحية: علي امير المؤمنين، التكرار، نهج البلاغة، دراسة نصية، لفظ الجلالة.

Abstract

The word "Allah" has great influence in the discourse, because of its holiness on people's beliefs, so it used in religious discourse. Hence, the repetition of "Allah" has taken a wide area in semantic construction especially educational discourse in Nahjul-Balagha, we find out fourteen Repetition and study semantically depending on the two criteria of coherence and cohesion, since repetition Serves to link the sentences of the text.

Our study consists of introduction, two researches and Conclusion, in the introduction we dealt with definition of text, repetition and its purposes in linguistics, in the first research we studied repetition as a criteria of coherence, in the second research we studied repetition as a criteria of cohesion, finally the Conclusion which showed the most powerful findingson the study.

Keywords: The Prince of True Believers Alis Repetition, NahjutBalagha, Textual Study Allah.

المقدِّمة:

الحَمْـدُ لله الَّـذي لاَ يَبْلُـغُ مِدْحَتَـهُ القَائِلُـونَ، وَلاِ يُحْـصِي نَعْـمَاءَهُ العَـادُّونَ، ولاَ يُـؤَدِّي حَقَّـهُ المُجْتَهِـدُونَ، وأفضـل الصَّـلاة وأزكـى السَّـلام عـلى خـير الأنـام محمَّـدٍ وآلـه الطَّاهريـن.

أمَّـا بعـدُ فـإنَّ المـشروع الإلهـيَّ برجالاتـه ومناهجـه وسـننه يهـدف إلى صناعـة الإنسـان؛ وصـولًا إلى التكامـل المنشـود مـن وراء خلقتـه عـبر تقنينـه عـلى وفـق مسارات الحكمـة الإلهيَّة من إيجاده، وعليه فقد هيَّأ الله تعالى لخلقه مـن بنـي آدم مرشـدين يدلُّونهـم إلى الجـادَّة المُثـلى؛ لتحقيـق الهـدف الإلهـيّ مـن وراء الخلـق، فكانـوا مربـين لأفـراد مجتمعهـم، وداعـين لصناعـة الإنسـان وبنائـه عـلى وفـق الأسـس السـليمة التـي تجعلـه حقيقًـا بوصـف الإنسـان بصورتـه المتكاملـة، وعـلى هـدي ذلـك كان فعـل الرسـل والأنبيـاء والأوصيـاء مـع أقوامهـم، ومنهـم أمـير المؤمنـين علي بـن أبي طالـب (عليـه السـلام)، الـذي خلَّـف مشروعًـا متكاملًا لبنـاء الإنسـان وتنميتـه عـلى وفـق أسـس المـشروع الإلهي؛ سـواء أكان عـلى مستوى الفـرد أم المجتمـع بأنظمتـه كافَّـة وتفرعاتـه جميعًـا، وقـد يعـسر أن نجـد موطنًـا في الحيـاة عـلى طولهـا لم يكـن لأمـير المؤمنـين (عليـه السـلام) فيهـا قـول، وكيـف لا يكـون كذلـك وهـو بـاب مدينـة العلـم وقـرآن الـرَّبِّ النَّاطـق، وهـذا القـول لا أدعيـه عـلى أسـاس عاطفـةٍ أو خيـالٍ حـالم؛ بـل عـن وعـيٍ وإدراك، ويكفـي أن يرجـع القـارئ الكريـم إلى مـا قالـه المفكِّـرون عـلى اختـلاف مشـاربهم الفكريَّـة والعقديَّـة في تـراث أمـير المؤمنـين (عليـه السـلام)، وخصوصًـا كتـاب نهـج البلاغـة؛ ذلـك

الكتاب الذي حوى من العلم المعجز ما لا يمكن أن يحتويه زمانٌ أو مكانٌ؛ لأنَّ فيه معالجات القضايا الكبرى التي تشغل الإنسان منذ الخليقة ليومنا هذا وإلى انتهاء الدُّنيا؛ لأنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) مشروعًا إلهيًّا لا يُنسخ إلى قيام الساعة بوصفه الباب إلى مدينة علم شريعة الخاتم (صلَّى الله عليه وآله)، والخاتميَّة تقتضي أن لا تكون شريعةً بعدها، ومن هنا اخترتُ نهج البلاغة مدونةً لدراستي عبر استقراء تكرار لفظ الجلالة (الله) في هذا الكتاب المبارك، وقد أحصيتها فوجدتها أربعة عشر موضعًا، وعند متابعتها انتهيت إلى أنَّها جاءت جميعًا بهدف البناء التربوي والأخلاقي للإنسان والمجتمع، فكانت النُّصوص التي تصدَّرت بتكرار هذا اللفظ الشريف عبارةً عن وصايا بالالتزام بمجموعةٍ من الأسس التي تنتهي بالإنسان إلى رضا الله تعالى، ونواهٍ تحذِّر الإنسان من مفارقة الجادَّة الإلهيَّة الضامنة لبناء الإنسان وتنميته على وفق المشروع الإلهيِّ، وقد استثمر أمير المؤمنين (عليه السلام) لذلك التكرار في مواطن تستدعي من المتلقي أن يكون على وعيٍ تامٍّ بما يُلقى إليه؛ لأهميَّته، فكان التكرار ولاسيَّما بلفظ الجلالة خير وسيلةٍ لرفع طاقة التعبير من أجل التأثير في المتلقي بأعلى ما يكون؛ ابتغاءً لاستجابته لمضمون تلك النُّصوص. وقد قررت أن أدرس التكرار بمعيَّة النُّصوص المصاحبة له على وفق مقولات المنهج النَّصي في الدِّراسات اللغويَّة من طريق معياري (الاتِّساق والانسجام)؛ بوصفهما أهمَّ المعايير التي تتحقَّق بها النَّصيَّة وتثبت للمحتوى اللغويِّ، وعليه كانت

الخطَّة تشتمل على تمهيد بعد المقدِّمة، درست فيه التكرار عبر تعريفه وبيان وظيفته اللسانيَّة النصيَّة، ثم مبحثين: درست في الأوَّل التكرار بوصفه معيارًا للاتِّساق، والآخر درست فيه التكرار بوصفه معيارًا للانسجام، وخُتم البحث بقائمةٍ ضمَّت أهمَّ النتائج التي توصَّلت إليها الدِّراسة، أمَّا روافد البحث فقد اعتمدت على خليطٍ من المصادر القديمة والمراجع الحديثة. وختامًا لا أدَّعي الكمال لما أوردتُ؛ فإن كانت خيرًا فبتوفيقٍ من الله تعالى وإن كانت الأخرى فحسبي أنِّي بذلتُ جهدي وفوق كلِّ ذي علمٍ عليم، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين.

التمهيد:

النصُّ (LINUISTICS TEXT) هو أحد الفروع اللسانيَّة الحديثة، ظهر في العقد السادس، وبداية العقد السابع من القرن الماضي[1]، وكانت بدايته مع العالم زليغ هاريس (Z .Harris.S) عندما نشر دراسته حول تحليل الخطاب[2]. وقد أكَّد فيها ((أنَّ اللغة تأتي في شكلِ نصٍّ متكاملٍ متماسك))[3]، ثمَّ تابعه هـ. فايزش (Wenrich. H)[4] بدراسةٍ بحث فيها اللغة بوظيفتها النصيَّة. وعلى الرغم من أنَّ الأصل اللاتيني لمصطلح النَّصِّ هو (Textus) إلَّا أنَّ اللغات التي اعتمدته قد اختلفت في ضبطه، فنجده في الفرنسية (Texte)، وفي الإنجليزية (Text)، وفي الإسبانية (Texto)، وفي الروسية (Tekta).

وقد عُرِّف النَّص عند النُّقاد الغربيين بجملةٍ من التعاريف منها: ما انتهى إليه فان ديك (Dijk Van) بقوله: ((النصُّ نتاجٌ لفعلٍ ولعمليَّةٍ

إنتاجٍ من جهة، وأساسٍ لأفعال، وعمليات تلقٍ واستعمال داخل نظام التواصل والتفاعل، من جهة أخرى))[٥]، وعرَّفاه هاليداي (M. Halliday) ورقية حسن (Has-. R san) بأنَّه: ((وحدةٌ لغويَّةٌ في طور الاستعمال، وهو لا يتعلَّق بالجمل، وإنَّما يتحقَّق بواسطتها، وهما يركزان على الوحدة والانسجام في النَّصِّ من خلال[٦] الإشارة إلى كونه وحدةً دلاليةً))[٧]. وعرَّفه دريسلر (Derssler) على أنَّه ((القول المكتفي بذاته والمكتمل في دلالته))[٨]، وادَّعى دي بوجراند (Beaugrande De) أنَّ النَّصَّ ((يتألف من عناصر ليس لها ما للجملة من الشروط مثلًا: علامات الطرق والإعلان والبرقيات ونحوها))[٩]. أمَّا جوليا كريستيفا (Kristeva Julia) فترى أنَّ النَّصَّ ((جهازٌ عبر لغوي، يعيد توزيع نظام اللغة بكشف العلاقة بين الكلمات التواصليَّة، مشيرًا إلى بياناتٍ مباشرةٍ تربطها بأنماطٍ مختلفةٍ من الأقوال السابقة والمتزامنة معها))[١٠]، وذهب جوفري هرتمان (Hartman .G) في تعريفه للنَّص بأنَّه ((قطعةٌ ما ذات دلالة وذات وظيفة، وبالتالي هي قطعةٌ مثمرةٌ من الكلام))[١١].

أمَّا النُّقاد العرب فقد عرَّفوا النَّصَّ بتعريفاتٍ كثيرةٍ منها: ما عرَّفه طه عبد الرحمن بأنَّه: ((بناءٌ يتركبُ من عددٍ من الجمل السليمة مرتبطةً فيما بينها بعددٍ من العلاقات، وقد تربط هذه العلاقات بين جملتين أو بين[١٢] أكثر من جملتين))[١٣]، وعرَّفه سعيد يقطين: بقوله: ((بنيةٌ دلاليةٌ تنتجها ذاتٌ (فردية أو جماعية)، ضمن بنيةٍ نصيَّةٍ منتجةٍ، وفي إطار بنياتٍ ثقافيَّةٍ

واجتماعيَّةٍ محددة))[١٤]، وعَرَّفه محمد عزَّام بأنَّه: ((وحداتٌ لغويَّةٌ، ذات وظيفةٍ تواصليَّةٍ دلاليَّةٍ، تحكمها مبادئ أدبيَّة، وتنتجها ذاتٌ فرديَّةٍ أو جماعيَّةٍ))[١٥]، وعَرَّف محمد مفتاح النَّص: ((وحداتٌ لغويَّةٌ طبيعيَّةٌ منضَّدةٌ متَّسقةٌ منسجمةٌ))[١٦]. ولا تختلف هذه التعريفات بالمجمل العامِّ عمَّا سبق من تعريفاتٍ للغربيِّين. وممَّا تقدَّم فإنَّنا نجدُ أنَّ تعريفَ النَّصِّ قد شغل مساحةً واسعةً من اهتمامات اللسانيين على الرَّغم من اختلاف مشاربهم الفكريَّة وتوجُّهاتهم في دراسةِ اللغة، ومع ذلك فإنَّهم اتَّفقوا على مشتركاتٍ مجملةٍ في المفهوم العامِّ يمكن أن نحدِّدها بأمرين: بنية دلاليَّة مستقلَّة لقولٍ معيَّنٍ وترابطٍ متواصلٍ بعلاقاتٍ على نسقٍ منتظمٍ لأجزاء ذلك القول بأدواتٍ نحويَّةٍ ودلاليَّةٍ ومقاميَّة.

ومن أهمِّ تعريفات النَّصِّ من ناحية الإحاطة والتقنين والتنظيم هو ما انتهى إليه روبرت دي بوجراند عندما حدَّد مفهومه إجرائيًّا بقوله: حدثٌ تواصليٌّ يلزم أن تتوافر فيه سبعةُ معايير مجتمعة حتَّى يأخذ وصف النَّصيَّة[١٧]، والمعايير هي: الاتِّساق، الانسجام، القصد، القبول، رعاية الموقف، التناص، الإعلاميَّة[١٨]، وهذه المعايير صُنِّفت على ثلاثةِ أُسسٍ تمثِّل بمجموعها قوام الوظيفة التواصليَّة للغة، والأسس هي[١٩]:

ما يتعلَّق بالنصّ: (الاتساق، والانسجام)

ما يتعلَّق بالمستعمل (متكلِّم-مخاطب): (القصد، والقبول)

ما يتّصل بالسياق والمقام:

(الإعلاميَّة، ورعاية الموقف، والتناص)

وما قدَّمه دي بوجراند من جهدٍ تنظيميٍّ لمفهوم النَّصِّ ومعالجاته نال استحسان كثيرٍ من الباحثين[٢٠]؛ بل تسيَّد الدِّراسات النصيَّة في الآونة الأخيرة؛ لما فيه من تنظيمٍ وإجراءاتٍ واضحةِ المعالم ومساراتٍ مقنَّنةٍ على وفقِ رؤيةٍ منتظمةٍ تنتهي بتطبيقها إلى القول بنصيَّة الحدث من عدمه.

التكرار بوصفه معيارًا للاتِّساق والانسجام

يُعدُّ التكرار أحدَ أهمِّ عوامل التماسك النصي، كما قرره ديفيد كريستال وقد أطلق عليه مصطلح Repeated، في حين أطلق عليه غيره Recurrence[٢١]، وقد ذهب أغلب الباحثين في مجال اللسانيَّات النصيَّة إلى أنَّ التكرار من الظواهر اللغوية الفاعلة في رَبط مقولاتِ النَّصِّ المُتباعدة، وتحقيق استمراريتها، وتلاحم عناصرها من أوّل النَّصِّ إلى آخره[٢٢]؛ لأنَّ ((قاعدة التكرار الخطابية تتطلَّب الاستمراريَّة في الكلام، بحيث يتواصل الحديث عن الشيء نفسه بالمحافظة على الوصف الأوَّل أو بتغيير ذلك الوصف))[٢٣].

تعريف التَّكرار:

عرَّف ابن الأثير (ت: ٦٣٧هـ) التكرار: ((هو دلالة للفظ على المعنى مردّدًا))[٢٤]، وعرّفه السلجماسي (ت: ٧٠٤هـ): ((هو إعادة اللفظ الواحد بالعدد، أو بالنَّوع، أو المعنى الواحد بالعدد، أو بالنَّوع في القول مرتين فصاعدًا))[٢٥]، وحدَّه الزركشي (ت: ٧٩٤هـ): ((تكرار كلمةٍ أو لفظٍ أكثر من مرَّةٍ في سياقٍ واحدٍ لنكتةٍ ما، إما للتوكيد، أو لزيادة التنبيه أو للتهويل،

أو للتعظيم))[٢٦]، وعرَّفه السيوطي (ت: ٩١١ هـ) بقوله: ((فنٌّ قوليٌّ من الأساليب المعروفة عند العرب؛ بل هو من محاسن الفصاحة))[٢٧].

أمَّا على مستوى الدِّراسات الحديثة فقد عُرِّف التكرار بأن: ((يأتيَ المتكلِّم بلفظٍ ثمَّ يعيده بعينه، سواء أكان اللفظ متَّفق المعنى أو مختلفًا، أو يأتي بمعنى ثمَّ يعيده. وهذا من شرط اتِّفاق المعنى الأوَّل والثَّاني، فإن كان متَّحد الألفاظ والمعاني فالفائدة في إثباته تأكيد ذلك الأمر وتقريره في النَّفس، وكذلك إذا كان المعنى متَّحدًا. وإن كان اللفظان متَّفقين والمعنى مختلفًا، فالفائدة في الإتيان به الدَّلالة على المعنيين المختلفين))[٢٨]، وعُرِّف أيضًا بأنَّه: ((أن يأتي المتكلِّم بلفظٍ ثمَّ يعيده بعينه سواء أكان اللفظ متَّفق المعنى أم مختلفًا، أو يأتي بمعنى ثمَّ يعيده))[٢٩].

وظائف التكرار في الكلام:

للتكرار وظائف كثيرةٌ في الكلام منها: الأولى التَّأْكِيدُ، وَاعْلَمْ أَنَّ التَّكْرِيرَ أَبْلَغُ مِنَ التَّأْكِيدِ لِأَنَّهُ وَقَعَ فِي تَكْرَارِ التَّأْسِيسِ، وَهُوَ أَبْلَغُ مِنَ التَّأْكِيدِ؛ فَإِنَّ التَّأْكِيدَ يُقَرِّرُ إِرَادَةَ مَعْنَى الْأَوَّلِ وَعَدَمَ التَّجَوُّزِ. والثانية زِيَادَةُ التَّنْبِيهِ عَلَى مَا يَنْفِي التُّهْمَةَ لِيَكْمُلَ تَلَقِّي الْكَلَامِ بِالْقَبُولِ، والثَّالِثة: إِذَا طَالَ الْكَلَامُ وَخُشِيَ تَنَاسِي الْأَوَّلِ أُعِيدَ ثَانِيًا تَطْرِيَةً لَهُ وَتَجْدِيدًا لِعَهْدِهِ، والرَّابعة: فِي مَقَامِ التَّعْظِيمِ، والْخَامِسة: فِي مَقَامِ الْوَعِيدِ وَالتَّهْدِيدِ، والسَّادِسة: التَّعَجُّبُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [المدَّثِّر: ١٩- ٢٠] فَأُعِيدَ تَعَجُّبًا مِنْ تَقْدِيرِهِ وَإِصَابَتِهِ الْغَرَضَ عَلَى حَدِّ قَاتَلَهُ

الله مَـا أَشْـجَعَهُ!. والسَّـابِعة: لِتَعَـدُّدِ المُتَعَلَّـقِ كَـمَا فِي قَوْلِـهِ تَعَـالَى: ﴿فَبِـأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُـمَا تُكَذِّبَـانِ﴾ [الرحمـن: ١٣] فَإِنَّهَـا وَإِنْ تَعَـدَّدَتْ فَـكُلُّ وَاحِـدٍ مِنْهَـا مُتَعَلِّـقٌ بِـمَا قَبْلَـهُ وَإِنَّ الله تَعَـالَى خَاطَـبَ بِهَـا الثَّقَلَيْنِ مِـنَ الْإِنْـسِ وَالْجِـنِّ، وَعَـدَّدَ عَلَيْهِـمْ نِعَمَـهُ الَّتِـي خَلَقَهَـا لَهُـمْ فَكُلَّـمَا ذَكَـرَ فَضْـلًا مِـنْ فُضُـولِ النِّعَـمِ طَلَـبَ إِقْرَارَهُـمْ وَاقْتَضَاهُـمُ الشُّـكْرَ عَلَيْـهِ، وَهِـيَ أَنْـوَاعٌ مُخْتَلِفَـةٌ وَصُـوَرٌ شَـتَّى[٣٠]، والثَّامنـة: التّحذيـر، والتَّاسـعة: التّهويـل، والعـاشرة: تَذكُّـر مـا قـد بعُـد بسـبب طـول الـكلام، سـواء كان التكـرار مجـرّدا عـن رابـط، كـما في قولـه تعـالى: ﴿ثُـمَّ إِنَّ رَبَّـكَ لِلَّذِيـنَ هَاجَـرُوا مِـنْ بَعْـدِ مَـا فُتِنُـوا ثُـمَّ جَاهَـدُوا وَصَـبَرُوا إِنَّ رَبَّـكَ مِـنْ بَعْدِهَـا لَغَفُـورٌ رَحِيـمٌ﴾ [النَّحـل: ١١٠]، أو مـع رابـط، كقولـه سـبحانه: ﴿لَا تَحْسَـبَنَّ الَّذِيـنَ يَفْرَحُـونَ بِـمَا أَتَـوْا وَيُحِبُّـونَ أَنْ يُحْمَـدُوا بِـمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَـلَا تَحْسَـبَنَّهُمْ بِمَفَـازَةٍ مِـنَ الْعَـذَابِ وَلَهُـمْ عَـذَابٌ أَلِيـمٌ﴾ [آل عمـران: ١٨٨].

والحـادي عـشرة: زيـادة التوجّـع والتّحـسر، والثـاني عـشرة: الإنـكار والتّوبيـخ، والثالـث عـشرة: الاعتنـاء والاهتـمام بشـأن المكـرّر وإظهـار كمالـه، والرابـع عـشرة: زيـادة المـدح، والخامـس عـشرة: التّلـذذ[٣١].

ولـو أمعنَّا النظر في الوظائف التي يحقّقها التكـرار في الـكلام وجدناها تسـير باتّجاهـين: الأوّل، الشـكل عـبر خلـق علاقـاتٍ تواصليَّـةٍ بـين أجـزاء النَّـصِّ ومتواليـاتـه، وهـذا نجـده بـما قُـرِّر آنفًـا في الوظيفـة الثَّالثـة: (إِذَا طَـالَ الْكَلَامُ وَخُـشِيَ تَنَاسِي الْأَوَّلِ أُعِيدَ ثَانِيًا تَطْرِيَةً لَـهُ وَتَجْدِيـدًا لِعَهْـدِهِ)، والوظيفـة السـابعة: (لِتَعَـدُّدِ الْمُتَعَلَّـقِ كَـمَا فِي قَوْلِـهِ تَعَـالَى: ﴿فَبِـأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُـمَا تُكَذِّبَـانِ﴾

[الرحمن: ١٣] فَإِنَّهَا وَإِنْ تَعَدَّدَتْ فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مُتَعَلِّقٌ بِمَا قَبْلَهُ وَإِنَّ الله تَعَالَى خَاطَبَ بِهَا الثَّقَلَيْنِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَعَدَّدَ عَلَيْهِمْ نِعَمَهُ الَّتِي خَلَقَهَا لَهُمْ فَكُلَّمَا ذَكَرَ فَصْلًا مِنْ فُصُولِ النِّعَمِ طَلَبَ إِقْرَارَهُمْ وَاقْتَضَاهُمُ الشُّكْرَ عَلَيْهِ، وَهِيَ أَنْوَاعٌ مُخْتَلِفَةٌ وَصُوَرٌ شَتَّى)، وكلا هاتين الوظيفتين تعملان على ربط أجزاء النَّص عبر خلق علاقاتٍ من التواصل بين الأجزاء الكليَّة المكوِّنة للنَّصِّ.

والآخر، المضمون عبر إنتاج دلالة تنسجم مع الدَّلالة الكليَّة للنَّصِّ وقصديَّة المتكلِّم، وهنا التَّكرار يمتدُّ تأثيره إلى رصد الاستمرار الدَّلالي والترابط المفهومي للأفكار المشكِّلة لمجموع النَّصِّ، وهذا عينه ما تبحث عنه الدِّراسات النَّصيَّة بخصوص التكرار بوظيفتي الاتِّساق والانسجام، ومن هنا نرى أنَّ علماءنا الأوائل كانوا على وعيٍ بوظيفةِ التكرار النصيَّة وإن لم يشيروا إليها صراحةً في الأعمِّ الأغلب، وهذا الأمر سيتوثَّق في قابل الكلام أكثر عندما نحلِّل النُّصوص ونستشهد بكلامهم.

التكرار من وجهة لسانيَّات النَّصِّ

التكرار أحد الأدوات الفاعلة في الرَّبط بين أجزاء النَّص كما مرَّ آنفًا، فهو يعمل على توثيق الصلة بين الأجزاء المتباعدة، ومدَّ وسائل الاتِّصال بين متواليات النَّص، وهذا ما أكَّده تمام حسَّان بما ذهب إليه من جعل التكرار الأصل في الربط على مستوى الجملة[٣٢]، ومن هنا تأتي أهميَّته في الدِّراسات النصيَّة فضلًا عن وظيفته الفاعلة في تقنين

الـدَّلالات وإنتاجها، وتوسيع رقعة تأثيرها وترابطها مع الدَّلالة العامَّة للنَّصِّ.

وقد عُرِّف التكرار في حقل الدِّراسات النصيَّة بجملةٍ من التعريفاتِ أهمُّها ما تمَّ تقنينه بقولهم: ((هو شكلٌ من أشكالِ الاتِّساق المعجميّ، يتطلّب إعادة عنصرٍ معجميٍّ، أو ورود مرادفٍ له، أو شبه مرادف، أو عنصرًا مطلقًا، أو اسمًا عامًّا))[٣٣]، وعُرِّف أيضًا بأنَّه: ((إعادةُ ذِكْر لفظٍ أَو عبارةٍ أو جملةٍ أو فِقْرَةٍ، وذلك باللفظِ نفسهِ أو بالترادف، لتحقيقِ أَغراضٍ كثيرةٍ أَهمُّها تحقيقُ التماسُكِ النصِّي بينَ عناصر النَّصِّ المتباعدة))[٣٤]، عبر تنبيه الأذهان بآليَّة التكرار على استمرار اتِّصال المتواليات بفئةٍ معيَّنةٍ من السياق الدَّلالي، ولولا ذلك التكرار لأمكن فقدان التَّواصل الذِّهني وحدوث انقطاعٍ دلاليٍّ بين أجزاء السِّياق المفترض أنَّه كلٌّ واحدٌ، وعليه صارت ((إعادةُ اللفظ مع تقليباته، والاحتفاظ بالجذر يَدْعَمُ ثَبات النَّصِّ بقوةٍ ويُحقِّق الاستمراريَّة والإعلاميَّة في الوقت نفسه))[٣٥].

وبالوصف المتقدِّم لا يبتعد التكرار وظيفيًّا عن الإحالة التي تسعى إلى ربط أجزاء النَّصِّ عبر خلق آفاقٍ من علاقات الذَّهاب والإياب بين أجزائه، وعلى أساس ذلك وِسمَ التكرار بالإحالة التكراريَّة[٣٦]، وقد عدَّ الأزهر الزنَّاد التكرار وسيلةً من وسائل الإحالة بقوله: ((وتشمل الإحالة بالعودة على نوع آخر من الإحالة، يتمثّل في تكرار لفظ، أو عددٍ من الألفاظ في بداية كلّ جملةٍ

من جُمل النَّصِّ؛ قصد التأكيد، وهو إحالة تكراريَّة))[٣٧].

ولو أردنا أن نعرف أهم الوظائف التي يؤدِّيها التكرار بصبغته اللسانيَّة فإنَّنا سنجد الأمر لا يخرج عمَّا قررناه سابقًا في الدِّراسات التقليديَّة، فهو له ((دورٌ فَعَّال في تماسُك النَّص))[٣٨]، وفي ((تدعيم التماسك النَّصِّي))[٣٩]، وفي ((تحقيق العلاقةِ المتبادلةِ بين العناصر المكوِّنةِ للنَّصِّ))[٤٠]. هذا على مستوى الشكل أمَّا على مستوى المضمون فإنَّ التَّكرار يفيد: ((التأكيد، والتقرير، والتهويل والمبالغة، والعناية))[٤١]، و((يُستعمل من أجلِ تقريب وجهة نظرٍ معيَّنَةٍ وتوكيدها، أو للتعبير عن الدَّهشة))[٤٢] إلى غير ذلك من الأغراض التي تسهم في بناء المضمون وانسجام أفكاره ودلالاته.

المبحث الأوَّل: التكرار بوصفه معيارًا للاتِّساق

الاتساق المعجمي cohesion lexis

ذهب الباحثون في حقل الدِّراسات النصيَّة إلى أنَّ الاتِّساق من أهمِّ المعايير التي يتحقَّق بها وصف النَّصيَّة[٤٣]، وعُرِّف بأنَّه ((العلاقات أو الأدوات الشكلية التي تُسهِمُ في الربط بين عناصر النَّصِّ الداخلية، وبين النَّصِّ والبيئة المحيطة من ناحيةٍ أخرى، وبين[٤٤] هذه الأدوات المرجعية))[٤٥]. وعُرِّف أيضًا: بأنَّه ((ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكّلة (لنصّ، خطاب ما)، ويُهتمّ فيه بالوسائل اللغويَّة الشكليَّة التي تصل بين العناصر المكوِّنة لجزء خطاب، أو الخطاب برمَّته))[٤٦]، وأهمُّ ما يحقِّقه الاتِّساق في الكلام هو استمراريَّة الاتِّصال بين

الأجزاء المشكِّلة للنَّص على مستوى العناصر والمتواليات فهو يدرس تقنية الإحكام للعلاقات المنظِّمة بين الأجزاء المكوِّنة للنَّص، والإمكانات التي تجعل النَّص متماسكًا بمكوناته وأجزائه[٤٧]. وللاتساق مساراتٌ ثلاثة هي:

- الاتساق الصوتي.
- الاتساق المعجمي.
- الاتساق النحوي.

وما يهمُّنا في دراستنا لتكرار لفظ الجلالة في نهج البلاغة هو الاتِّساق المعجمي ويُعرَّف بأنَّه: الربط الذي يتحقق عبر اختيار المفردات من طريق الإحالة، أي إحالة عنصرٍ إلى عنصرٍ آخر، أو هو الربط الإحالي (Cohesion Phoric) الذي يتلاءم مع مستوى المعجم (lexis)[٤٨]، ((وذلكَ يَتمُّ عندما تتحرك العناصر المعجميَّة على نحوٍ منتظمٍ في اتجاهِ بناء الفكرة الأساسيَّة للنصِّ، وتكوينه))[٤٩].

وقد اختلف الباحثون في الظواهر اللغويَّة التي تحقِّق الاتِّساق المعجمي فعدَّها بعضهم ظاهرتين هما: (التكرار والمطابقة)[٥٠]، فيما جعلها آخرون تتحقَّق بأمرين: (التكرار والتضام)[٥١]، فيما قرَّرها غيرهم بثلاث ظواهر: (التكرار والاستبدال والتَّضام)[٥٢]، ومن الملفت للنظر أنَّ (التكرار) مجمع عليه بوصفه معيارًا للاتِّساق المعجمي، وهذا الاتِّفاق يؤكِّد فاعليَّته في توثيق الاتِّساق بين متواليات النَّصِّ ومكوِّناته، وسنحاول إثبات ذلك بدراسة إحدى وصايا أمير المؤمنين عليٍّ (عليه السلام) للحسن والحسين (عليهم السلام) لما ضربه ابن ملجم (لعنه الله) التي يُكرِّر فيها بفظ الجلالة، والوصيَّة

هي: «أُوصِيكُمَا بِتَقْوَى الله، وأَلَّا تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَإِنْ بَغَتْكُمَا، وَلاَ تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زُوِيَ عَنْكُمَا، وَقُولاَ بِالْحَقِّ، وَاعْمَلاَ لِلْأَجْرِ، وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً، وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً. أُوصِيكُمَا، وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي، بِتَقْوَى الله، وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ، وَصَلاَحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: صَلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلاَةِ الصِّيَامِ، الله الله فِي الأَيْتَامِ، فَلاَ تُغِبُّوا أَفْوَاهَهُمْ، وَلاَ يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ، وَالله الله فِي جِيرَانِكُمْ، فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ، مَا زَالَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُمْ، وَالله الله فِي الْقُرْآنِ، لاَ يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ، وَالله الله فِي الصَّلاَةِ، فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ، وَالله الله فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ، لاَ تُخْلُوهُ مَا بَقِيتُمْ، فَإِنَّهُ إِنْ تُرِكَ لَمْ تُنَاظَرُوا، وَالله الله فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ الله، وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَاصُلِ وَالتَّبَاذُلِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّدَابُرَ وَالتَّقَاطُعَ»(٥٣).

ولو تأمَّلنا هذا النَّص وجدنا أنَّ تكرار لفظ الجلالة كان مهيمنًا أسلوبيًّا على كلِّ متواليات الوصيَّة، فقد تصدَّر التكرار على كلِّ مفصلٍ من مفاصلها؛ ليُعطي النَّص مساحةً من التواصل والاستمرار على الوتيرةِ نفسها، ويجعل المتلقي في ترقُّبٍ مستمرٍّ مع متواليات النَّصِّ من دون انقطاعٍ، وكلُّ ذلك لأهميَّة الموضوع الذي كان بصدده منتج النَّص، واختيار تكرار لفظ الجلالة (الله الله)؛ لما له من قدسيَّةٍ فائقةِ التأثير لدى السامع، ومن هنا يمكن أن نفهم من قصديَّة المتكلِّم في تكرار هذا اللفظ إرادته لاستمرار تأثير لفظ الجلالة وهيمنته على ذهن المتلقي، ثمَّ إنَّ

تكراره يُضاعف من ذلك التأثير ويزيد من شدَّة الترابط بين المتواليات ممَّا يَبني تماسكًا نصيًّا ويجعل الكلام بهيئة الكتلة الواحدة؛ لأنَّ ((الكلمة المكرَّرة عند أوَّل ورودها تضرب بأوتادها داخل النصّ، ثمَّ ترمي بشباكها في بنيته، ومع كلِّ تكرارٍ تتنوّع دلالتها، ويزداد تنامي النصّ، وتتولد أفكاره، وبهذا تتجلَّى أهميَّة التكرار في تحقيق الاتساق بين أجزاء النصِّ))[٥٤]، ولو عُدنا إلى النَّصِّ لوجدنا أنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) صدَّر وصيَّته بأنَّ كلامه موجَّهًا إلى ولديه الحسن والحسين (عليهما السلام) وبعدهما أهل بيته ثمَّ إلى كلِّ من يصله كتابه، وبذلك وسَّع من رقعة التلقِّي، وأعطاه مساحةً من الأفق المستمر على مدى العصور؛ لأنَّ كلامه هذا كان في ختام حياته الشريفة، وهو وصيَّته لمن يتَّبعه، ومن هنا تتضاعف أهميَّة الكلام للمقام الذي قيل فيه، ولو تدبَّرنا المفاصل التي تصدَّرت بتكرار لفظ الجلالة وجدناها على النحو الآتي: الأيتام، الجيران، القرآن، الصَّلاة، بيت الرَّب، الجهاد)، وهذه المفاصل السِّتة تشكِّل بمجموعها ركائز البناء للمجتمع، فنراه بدأ بالأيتام؛ لأنَّهم الجهة الأضعف في المجتمع والأقرب إلى الانحراف والتشتُّت؛ لغياب الرقيب والمربِّي، وفيما لو تُركوا ساء أمر المجتمع ونشأوا على تربيةٍ شاذَّة يفرضها عليهم الإهمال والتشريد والضياع، بعدها انتقل إلى الجيران بوصفهم الأقرب مكانًا إلى الإنسان والأكثر مسؤوليَّة عليه؛ لتوثيق الصلة وبناء أواصر التعاون والمحبَّة وقتل الضغائن، وإذا ما تمَّ ضبط هذين

الأمرين الأساسين استطعنا الوصول إلى مجتمعٍ متراحم متماسك متفانٍ، ثمَّ بعد ذلك انتقل إلى الجانب الدِّيني بعد أن أسَّس لسلامة السرائر ونظافة الأرواح عبر خدمة اليتيم ومساعدة الجار، ليأتي دور القرآن والمسجد وأخيرًا الجهاد، الذي يكون محصِّلةً تامَّة النتائج فيما لو تمَّ الالتزام بما سبق؛ لأنَّ من يرحم اليتيم ويعطف على الجار ويلتزم بالقرآن ويواظب على الصَّلاة في بيت الرب يكون الجهاد عليه يسيرًا؛ لما أسَّس لنفسه من بناءٍ سليم. وهذه المحاور الستة عندما تصدَّرت ولَّدت لنا وحدة موضوعية أسْهمَتْ في ترابُط أجزاء النص، وعزَّزت الفكرة الأساسية لِكُلٍّ منها من طريقِ ما تحققه من أشكالِ حضورِ الفكرة الرئيسة واستمرارها في ذهن المتلقي[٥٥]، وفي هذا الصَّدد يقول دي بوجراند إنّه: ((يترتَّب على إجراءاتٍ تبدو بها العناصر السطحية على صورةِ وقائع يؤدِّي السابق منها إلى اللاحق، بحيث يتحقَّق لها الترابط الرَّصفي)) [٥٦]، بمعنى آخر هو ((اكتساب الجديد بتكديس الإضافات، وإن تكراراها يوحي بالنمو التراكمي)) [٥٧]، عبر استمراريَّة التأثير القدسي للفظ الجلالة مع كلِّ متواليات النَّصِّ التي تصدَّرت بتكرار لفظ الجلالة، وهذا الاستمرار بالإحالة التكراريَّة يؤكِّد اتِّساق النَّص في بنائه الشَّكلي عبر نسيج الإحالات التي أحدثها التكرار بين الأجزاء المكوِّنة للنَّص، على أنَّ التكرار لا يعني إعادة المعنى بعينه وإنَّما يبني معنىً جديدًا في كلِّ مرَّةٍ يتلوها تكرار، ويكون الثَّاني في الغالب مفسِّرًا للأوَّل أو العكس؛

ممَّا يعني نشوء أواصر ارتباطٍ وتفسير بين المواضع التي يحدث فيها تكرار، وهذا ما يؤكِّده دريسلر (Dressler) بقوله: ((يعطي منتج النَّصِّ القدرة على خلق صورٍ لغويَّةٍ جديدة؛ لأنَّ أحد العنصرين المكررين يسهِّل فهم الآخر))[٥٨].

ومن جهةٍ أُخرى نرى أنَّ التكرار للفظ الجلالة إنَّما تصدَّر مواطن تكمن فيها محاور بناء الإنسان تربويًّا وأخلاقيًّا، وكأنَّ المتكلِّم عبر تكراره للفظ الجلالة يستنهض كلَّ طاقات التأثير لدى المتلقي؛ ليُقبل بكلِّ حواسِّه إلى ما يتضمَّنه النَّص من وصيةٍ بالأيتام والجيران والقرآن والصلاة وبيت الرَّب والجهاد، وكل هذه المفاصل فضلًا عمَّا ذكرناه سابقًا من أهميَّتها في بناء المجتمع فإنَّها تسهم بشكلٍ كبير في تقويم الإنسان وبنائه تربويًّا؛ لأنَّها تجعله يشعر بالمسؤوليَّة اتِّجاه اليتيم والجار وغير ذلك ممَّا ذُكر في النَّصِّ، وتجعله يأخذ دوره في بناء نفسه ومجتمعه، ثمَّ تصدير تلك المحاور بلفظ الجلالة يعطيها مساحةً من الأهميَّة والرَّهبة في النَّفس اتِّجاهها فلا تجعل بدًّا من التفريط بها، وهكذا أسلوب مصدَّر بالتكرار من شأنه أن ((يعمِّق الفكرة التي تحملها العبارة المكرّرة، ويمكِّن لها في كيان الإنسان، ويقيم منها خاطرًا ملحًّا يتردّد في صدره، ويهمس في ضميره))[٥٩]، وكلَّما ازداد التكرار على وفق طريقةٍ محكمة ازداد التثبيت في الصدور والعلقة في القلوب، وأدَّى إلى اشتداد الترابط بين الأجزاء عبر الإحالات التكراريَّة التي تفرض شبكةً من العلاقات بين المتواليات، قال الزمخشري: ((إنَّ في

التكرير تقريرًا للمعاني في الأنفس، وتثبيتاً لها في الصدور، ألا ترى أنَّه لا طريق إلى تحفظ العلوم إلا ترديد ما يرام تحفظه منها، وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلوب، وأرسخ له في الفهم، وأثبت للذكر، وأبعد من النسيان))[٦٠].

واختيار أمير المؤمنين (عليه السلام) لتكرار لفظ الجلالة في وصيته ((يدلُّ على الاعتناء))[٦١] بهذا اللفظ؛ لما له من أهميَّة في توثيق ما يريده من كلام، وربط حيثيات حديثه حول بؤرةٍ مركزيَّةٍ من التشكيل التواصلي، ولا يقف التكرار الذي استعمل أمير المؤمنين (عليه السلام) عند حدود اتِّساق المتواليات فقط وإنَّما يتجاوزها إلى تنظيم المعنى واتِّساق المضمون؛ لأنَّه في كثيرٍ من الأحيان ((قد يتعاقب استخدام التكرار فيشكل سلاسل للمعنى))[٦٢]؛ فضلًا عمَّا يشكِّله ((من ضروب تحقيق تواصل العهد))[٦٣].

وفي ختام هذا المبحث نجد أنَّ التكرار قد أثبت فاعليَّته في تكثيف التواصل بين متواليات النَّصِّ، وبناء أواصرَ من الاتِّساق بين مفاصل أجزائه، وتزداد أهميَّة التكرار في نوعيَّة الفئة المكرَّرة، وكلَّما كانت بؤرةً من التكتُّل الدَّلالي كلفظ الجلالة أشاعت وهجًا من شبكات التواصل بين المتواليات وأذاعت مزيجًا من الترابط بين الأجزاء، وكل من يقرأ النَّصِّ محلَّ النظر يلمس ذلك عن كثبٍ ودراية.

المبحث الثَّاني: التكرار بوصفه معيارًا للانسجام (Cohérence)

لقد ظهر فيما سبق أثر التكرار في صياغة جسور التواصل بين متواليات

النَّص وبناء العلاقات التواصليَّة بين أجزائه، وكان ذلك على مستوى الشكل، وأمَّا لو انتقلنا إلى مستوى المضمون فسنجد الأمر نفسه في الأثر لبناء الانسجام بين مستويات المضمون العامِّ للنَّصِّ، وقبل البدء في إثبات ذلك لابدَّ من المرور السريع على تصورٍ يسير لمفهوم الانسجام بوصفه أحد اللبنات الأساسيَّة التي يُعتمد عليها في إثباتِ نصيَّة النَّص، وهذا التحول في تحليل النَّصِّ جاء من التحوُّل في مفهوم القراءة التي أصبحت: ((عمليَّة فحصٍ ناقدةٍ تتيح للقارئ فرصة اكتشاف الأفكار والعلاقات، ومراجعتها وتقويمها، وبناء تصورات حول مضامين النَّصِّ المقروء))[٦٤]، وعلى أثر التحوُّل في آليات القراءة تطوَّر مفهومها ((من عملية الإدراك البصري للرموز المكتوبة، إلى عمليَّةٍ عقليَّةٍ، يتفاعل فيها المتعلم مع ما يقرأ، يقوم بالنَّقد والتحليل والمقارنة والاستنتاج، ويستخدم[٦٥] ما يقرأه في حلِّ المشكلات اليوميَّة))[٦٦].

وهذا كان له الأثر في دفع فان ديك (Dijk Van) إلى ((أن يستبدل بالسؤال الساذج: (ما النَّصِّ؟) سؤال آخر هو كيف نحلل النَّصِّ؟))[٦٧]، وبذلك أصبحت ((النظريَّة اللسانيَّة تتعامل مع أنساق اللغة الطبيعيَّة، أي مع بنياتها الفعليَّة والممكنة، ومع تطورها التاريخيِّ واختلافها الثقافيِّ ووظيفتها الاجتماعية))[٦٨]، ومن هنا بدأ النظر في تحليل اللغة عبر معايير معيَّنةٍ درسنا فيما مضى الاتِّساق، والآن نحن بصدد الانسجام، وقد عُرِّف بجملةٍ من التعاريف أهمُّها: ما جاء به فان ديك (Dijk Van)

بقوله: ((التَّماسك الدَّلالي بين الأبنية النَّصيَّة الكبرى))[٦٩]، وعُرِّف أيضًا بأنَّه: ((الطريقة التي يتمُّ بها ربط الأفكار داخل النَّص))[٧٠]، ومن التعريفات الأخرى: ((خاصيَّة دلاليَّة للخطاب تعتمد على فهم كلِّ جملةٍ مكوَّنةٍ للنصِّ في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى))[٧١].

إذن فالانسجام يبحث في التَّرابط الدَّلالي بين متواليات النَّص، ومتى ما أُثبت ذلك الترابط استحقَّ الكلام وصف الانسجام، وهذا ما سنحاول بيانه عبر التكرار بوصفه آليَّةً من آليات الانسجام تسهم في بناء الوحدة الموضوعيَّة للنَّصِّ والمناسبة بين أجزائه ومتلقيه. وقد سبق أن عرضنا المعاني التي يولِّدها التكرار في النَّصِّ، وهنا سنعمل على بيان مدى انسجام البناء للوحدة الموضوعيَّة مع ما يولِّده التكرار من علاقاتٍ دلاليَّةٍ داخل المحتوى والمضمون، وهل كان فاعلًا في بناء الوحدة الموضوعيَّة وانسجامها مع الغرض العامِّ للنَّص؟ ولإثبات ذلك نسوق الدَّلالات التي أفادها تكرار لفظ الجلالة في نهج البلاغة مع بيان مدى أثرها في بناء الوحدة الموضوعيَّة وتأثيرها في البناء الأخلاقي للإنسان.

أوَّلًا: التحذير

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «فَالله الله مَعْشَرَ الْعِبَادِ، وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي الصِّحَّةِ قَبْلَ السُّقْمِ، وَفِي الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضِّيقِ، فَاسْعَوْا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْلَقَ رَهَائِنُهَا، أَسْهِرُوا عُيُونَكُمْ، وَأَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ، وَاسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ، وَأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ، وَخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ تَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلاَ تَبْخَلُوا

بِهَا عَنْهَا»[٧٢].

والتحذير بابٌ في النَّحو له مدياتٌ واسعةٌ فيه وفي الدَّلالة، والاسم يُنصب فتقول: (اللهَ اللهَ) (الأَسَدَ الأَسَدَ) بِمَعْنَى: (احْذَرِ الأَسَدَ) وَ(اتقي الله)، وَهُوَ قِسْمٌ مِنْ أَقْسَامِ المَفْعُولِ بِهِ، لَكِنْ جَاءَ بِصِيغَةٍ مُعَيَّنَةٍ يُحْذَفُ فِيهَا فِعْلُهُ، وَيُعَيَّنُ فِي الجُمْلَةِ عَلَى التَّقْدِيرِ. وَالتَّحْذِيرُ: هُوَ تَنْبِيهُ المُخَاطَبِ إِلَى أَمْرٍ مَذْمُومٍ لِيَتَجَنَّبَهُ. وَالاسْمُ المُحَذَّرُ مِنْهُ: مَفْعُولًا بِهِ عَلَى النَّصْبِ بِفِعْلٍ مَحْذُوفٍ مُقَدَّرٍ[٧٣]، ((وتَنصِبُ الاسمَ الَّذِي تُكرِّرُه عَن عِوَضِ الفعلِ الَّذِي لَا تُظهِرُه مثلَ مَقَالِ الخَاطِبِ الأوَّاهِ: اللهَ اللهَ عبادَ الله))[٧٤].

ولو عُدنا إلى نصِّ أمير المؤمنين (عليه السلام) المتقدِّم وجدناه في مجمله العامِّ يحذِّر من الغفلة، وأن يستثمر العباد أوقات الصحَّة والفسحة قبل أن تذهب منهم، ويحلُّ بدلها السقم والعسر والضيق، وأن يتَّقوا الله في سعيهم لفكاك رقابهم من النَّار، وعليهم أن يبذلوا في سبيل تقوى الله تعالى سهر العيون وإضمار البطون، واستعمال الأقدام، وإنفاق الأموال، وعليهم أن يجودوا بشيء من أجسادهم لأنفسهم، وواضح من النَّصِّ أنَّه درسٌ في التَّقوى ونصيحة لبني آدم بأن يسعوا إلى رضا الله تعالى وأن يبذلوا في ذلك ما استطاعوا من أوقاتهم وأجسادهم، وهذا درسٌ في تنمية البناء الأخلاقي للإنسان مع ربِّه وخالقه، وقد جاء التكرار للفظ الجلالة (الله الله) فاعلًا في بناء الانسجام للنَّص؛ لأنَّ الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في صدد التحذير من التقصير في

ذات الله تعالى، والتهاون في استثمار أوقات السَّعة والعافية في التقرُّب من الله تعالى، وبذلك أسهم التكرار بشكل فاعل في رفع الوتيرة الدَّلاليَّة للتحذير وزيادة الطاقة التأثيريَّة للمتلقي، وهذا واقع في السليقة العربيَّة وطريقة العرب في التعبير عن مقاصدهم؛ لأنَّ من ((سُنن العرب التكرير والإعادة؛ إرادةَ الإبلاغ بحسب العناية بالأمر))[٧٥]، وإرادة الإبلاغ والعناية بالأمر يتطلبان رفع الطاقة التعبيريَّة للأداء الكلامي.

وقريب من النَّصِّ المتقدِّم قول آخر لأمير المؤمنين (عليه السلام): «عِبَادَ الله، الله الله فِي أَعَزِّ الأَنْفُسِ عَلَيْكُم، وَأَحَبِّهَا إِلَيْكُمْ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَوْضَحَ سَبِيلَ الْحَقِّ وَأَنَارَ طُرُقَهُ، فَشِقْوَةٌ لاَزِمَةٌ، أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ، فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ الْفَنَاءِ لأَيَّامِ الْبَقَاءِ، قَدْ دُلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ، وَأُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ، وَحُثِثْتُمْ عَلَى الْمَسِيرِ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكْبٍ وُقُوف، لاَ يَدْرُونَ مَتَى يُؤْمَرُونَ بِالسَّيْرِ، أَلاَ فَمَا يَصْنَعُ بِالدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ لِلآخِرَةِ! وَمَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ عَمَّا قَلِيل يُسْلَبُهُ، وَتَبْقَى عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ وَحِسَابُهُ»[٧٦].

وهذا النَّصُّ مثل سابقه فإنَّه ورد للتحذير والإغراء في حفظ أعزِّ الأنفس، وهي نفس الشخص ذاته، فإنَّها أعزُّ نفسٍ عليه، ولذلك عليه أن يحذر من أن يخسرها ويذهب بها إلى النَّار والعذاب الدَّائم، ومعنى التحذير واضحٌ في النَّص وأهمُّ مواضعه: بيان الحجَّة من لدن الله تعالى بإيضاح الطريق، ثمَّ إنَّه تعالى قد دلَّ على زاد التقوى، والإنسان لا يعرف وقت المغادرة وإنَّما هو فجأة، ولذلك عليه أن يحذر من أن

ينـزل بـه وهـو لم يتـزود مـن التقـوى، فـلا فائـدة مـن الدُّنيـا والإنسـان لم يُخلـق لهـا، ولا فائـدة مـن المـال وسرعـان مـا يُغـادره ويتركـه، وهكـذا يسـعى أمـير المؤمنـين (عليـه السـلام) بالتنميـة للـروح الإنسـانيَّة نحـو البنـاء الأخلاقـي والتربـوي والسـير بهـا نحـو رضـا الله تعـالى، وقـد حقَّـق التكـرار بـما رشَّـحه مـن معنـى انسـجام النَّـص والمناسـبة بـين أجزائـه ووحـدة البنيـة بـين متوالياتـه؛ لكونـه كان فاعـلًا في رفـع قيمـة التحذيـر عـبر تكـرار لفـظ الجلالـة مـع مالهـا مـن قيمـةٍ فاعلـةٍ لـدى المتلقـي، وبذلـك حقَّـق توافقًـا في المضمـون المـراد إيصالـه للمتلقِّـي، وهـو الحـذر مـن الانغـماس في الدُّنيـا وإهـلاك النَّفـس في متابعـة ملذَّاتهـا وحرمانهـا مـن التـزوُّد للآخـرة ونعيمهـا. ولـمَّا كان الحديـث في الوعـظ والإرشـاد فـإنَّ التكـرار قـد ناسـبه؛ لأنَّ ((النفـوس أنفـر شيء عـن حديـث الوعـظ والنصيحـة، فـما لم يكـرر عليهـا عـوداً عـلى بـدء لم يرسَّـخ عندهـا ولم يعمـل عملـه، ومـن ثـم كان النبـي (صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ [وآلـه] وَسَـلَّمَ) يكـرر قولـه ثـلاث مـرات فأكثـر))[٧٧].

ثانيًا: الإنكار والتَّوبيخ

هـذان المعنيـان يمكـن أن نستشـفَّها مـن التكـرار في قـول أمـير المؤمنـين (عليـه السـلام): «**فَـالله الله فِي نَفْسِـكَ فَإِنَّـكَ -وَالله- مَـا تُبَـصَّرُ مِـنْ عَمىً، وَلاَ تُعَلَّـمُ مِنْ جَهْـل، وَإِنَّ الْطُّرُقَ لَوَاضِحَةٌ، وَإِنَّ أَعْـلاَمَ الدِّيـنِ لَقَائِمَـةٌ**»[٧٨].

وهنـا معنـى الإنـكار واضـح، وذلك أنَّ هـذا النَّـصَّ موجَّـه مـن لـدن أمـير المؤمنـين (عليـه السـلام) باتِّجـاه عثـمان بـن عفَّـان ((لمـا اجتمـع النـاس إليـه وشـكوا مـا نقمـوه عـلى عثـمان وسـألوه

مخاطبته واستعتابه لهم، فدخل (عليه السلام) على عثمان))[٧٩]، وقال له كلامًا ذكرنا جزءًا منه آنفًا، وعليه فإنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) يُنكر على عثمان بن عفان تصرفاته التي جعلت المسلمين يثورون عليه ويُبِّخه بأنَّه عارفٌ للحقِّ؛ ولكن لا يتَّبعه، فكان أمير المؤمنين (عليه السلام) ينصحه منكرًا عليه تفضيل قومه وعشيرته على نفسه فيقول له: ((فَاللهَ اللهَ فِي نَفْسِكَ)) أي اتَّقِ الله في نفسك، ثمَّ يُتبعه بقسمٍ بلفظ الجلالة بأنَّه يعرف الحقَّ والباطل، ولا يحتاج من يبيِّن له، ولذا نرى أنَّ التكرار قد أفاد الإنكار والتوبيخ؛ لأنَّ الشَّخص الموجَّه إليه الكلام عارفٌ بالحقِّ وطريقه؛ ولكن لا يتَّبعه. وممَّا سبق عرضه يظهر مدى الانسجام الذي حقَّقه التكرار في مضمون النَّص الآنف الذكر، فهو أفاد الإنكار والتوبيخ، وعند العودة إلى مصاحبات النَّص نجد أنَّ هذا المعنى يتوافق تمامًا مع سياق الموقف الذي سيق فيه الكلام، وكذلك مع ما أفادته متواليات النَّص الأخرى، وعليه فإنَّ التكرار كان آليَّةً فاعلةً في بناء الانسجام وتفعيله بين المتواليات، وكذلك في رفع القيمة التعبيريَّة عند المتلقي من أجل إصلاح بنائه الأخلاقي. فالسِّياق يحيل على الخطاب، وكان دي بوجراند يربط بين النص والعناصر الخارجيَّة فيقول: ((ينبغي للنصِّ أن يتصل بموقف يكون فيه، تتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات، والتوقعات، والمعارف، وهذه البيئة الشاسعة تُسمَّى سياق الموقف))[٨٠].

وفي نصٍّ آخر لأمير المؤمنين

(عليه السلام) في السياق نفسه يقول فيه: «فَاللهَ اللهَ فِي كِبْرِ الْحَمِيَّةِ، وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مَلاَقِحُ الشَّنَآنِ، وَمَنَافِخُ الشَّيْطَانِ، الَّتِي خَدَعَ بِهَا الأُمَمَ الْمَاضِيَةَ، وَالْقُرُونَ الْخَالِيَةَ، حَتَّى أَعْنَقُوا فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ، وَمَهَاوِي ضَلاَلَتِهِ، ذُلُلاً عَنْ سِيَاقِهِ، سُلُساً فِي قِيَادِهِ، أَمْراً تَشَابَهَتِ الْقُلُوبُ فِيهِ، وَتَتَابَعَتِ الْقُرُونُ عَلَيْهِ، وَكِبْراً تَضَايَقَتِ الصُّدُورُ بِهِ»[٨١].

وهنا أيضًا يظهر معنى الإنكار والتوبيخ بوضوح؛ إذ إنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) بصدد رصد الظواهر السيئة في المجتمع والإنكار على متلقيه وتوبيخهم لتفشِّيها فيهم، فهو ينكر عليهم كبر الحميَّة وفخر الجاهليَّة، ثمَّ يُبيِّن لهم منشؤها وهو الشيطان، وبعد ذلك يوضِّح آثارها في الأمم السابقة، وعليه فإنَّه يكرِّر لفظ الجلالة منكرًا عليهم تلك العادات الشيطانيَّة التي تضرُّ بالبناء الأخلاقي للمجتمع، وتمضي به نحو التفكُّك والتَّصادم والتَّفرق، وهذا التكرار جاء منسجمًا مع المعنى العامِّ للنَّص، ومسهمًا في بناء الوحدة الموضوعيَّة له؛ لما للفظ الجلالة من هالة قدسيَّة في العقل الجمعي لمتلقيه، ممَّا يرفع من الطاقة التعبيريَّة التي تؤدِّي إلى انسجام المتواليات بعضها مع بعض على نسقٍ دلالي ينتهي ببناء وحدة موضوعيَّة مترابطة الأجزاء والمحتوى.

ثالثًا: زيادة التوجُّع والتَّحسُّر

وهذا المعنى قد أفاده التكرار في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) ونجده في قوله:

«فَاللهَ اللهَ عِبَادَ اللهِ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنٍ، وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ

فِي قَرَن، وَكَأَنَّهَا قَد جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا، وَأَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا، وَوَقَفَتْ بِكُمْ عَلَى سِراطِهَا، وَكَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِزَلاَزِلِهَا، وَأَنَاخَتْ بِكَلاَكِلِهَا، وَانْصَرَمَتِ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا، وَأَخْرَجَتْهُمْ مَنْ حِضْنِهَا، فَكَانَتْ كَيَوْم مَضَى وَشَهْر انْقَضَى، وَصَارَ جَدِيدُهَا رَثّاً، وَسَمِينُهَا غَثّاً، فِي مَوْقِف ضَنْكِ الْمَقَامِ»(٨٢).

فلو تأمَّلنا هذا النَّص وجدنا أنَّ التكرار للفظ الجلالة منح النَّصَّ مساحةً أكبر من الطاقة التعبيريَّة ولا سيَّما وأنَّ التكرار قد تصدَّر النصَّ، وكان أوَّل مواجهةٍ بالنِّسبة للمتلقي ممَّا يفرض مزيدًا من الترقُّب للآتي فكان في الكلام حسرةً وتوجُّع ممَّا يُصاب العباد جرَّاء اهتمامهم بالدُّنيا فكان يصف حال الدُّنيا، ومن وجهٍ غير مباشر يتحسَّر على من يجعلها غايته؛ لأنَّها سرعان ما تنقضي كأنَّها يومٌ مضى أو شهرٍ انقضى، وهكذا حال يحقُّ للعارف أن يتحسَّر ويتوجَّع بشدَّة، وهو يرى تكالب النَّاس على دنيا سرعان ما ينتهي زبرجها الخدَّاع، وما يزيد من التحسُّر معرفة النَّاس بها؛ لأنَّها تسير بهم على سَننِ من قبلهم، وهي لم تمنحهم سوى برهةٍ من الزمن سرعان ما غادروها على ندم. ومن وجهٍ آخر يمكن أن نلمس معنى التحذير، وعليه يكون التكرار قد أفاد معنى التحذير من الانهماك في الدُّنيا وملذاتها.

وممَّا سبق فإنَّ التكرار قد عمل على رصِّ المتواليات وعقد الصلات فيما بينها؛ لأنَّها جميعًا تدور حول بؤرةٍ من الدَّلالة الموحدة التي تنتهي بالوحدة الموضوعيَّة للنَّص، وهي رفع من وتيرة التحسُّر والتوجُّع اتِّجاه الاهتمام بهذه الدنيا الفانية، وهو

درسٌ أخلاقي يهدف إلى تنظيم علاقة الإنسان مع الدنيا التي يعيش فيها، ومقتضى ذلك الدَّرس أنَّ الإنسان لابدَّ له أن يعطي الدُّنيا ما تستحقُّه فلا يتجاوز ذلك؛ لأنَّها سرعان ما تزول ويتحول الإنسان إلى غيرها، وهي الأولى بالاهتمام والرعاية.

وفي نصٍّ آخر في السياق نفسه يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «فَاللهَ اللهَ أَيُّهَا النَّاسُ فِيمَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ، وَاسْتَوْدَعَكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ، فَإِنَّ الله سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدىً، وَلَمْ يَدَعْكُمْ فِي جَهَالَةٍ وَلاَ عَمىً، قَدْ سَمَّى آثَارَكُمْ، وَعَلِمَ أَعْمَالَكُمْ، وَكَتَبَ آجَالَكُمْ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ تِبْيَاناً، وَعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَزْمَاناً، حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَلَكُمْ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ [دِينَهُ] الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ، وَأَنْهَى إِلَيْكُمْ عَلَى لِسَانِهِ مَحَابَّهُ مِنَ الأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ، وَنَوَاهِيَهُ وَأَوَامِرَهُ»[٨٣].

وهذا النَّص يظهر منه التحسُّر والتوجُّع؛ لأنَّ المصلح في الغالب راصدٌ لأفعال النَّاس فيحدِّد ما فيه الهنات فيوصي بالالتزام وعدم التفريط بها، ومن هنا فإنَّنا يمكن أن نفهم أنَّ التكرار جاء لرصِّ هذا المعنى ورفع طاقته التعبيرية باتِّجاه التحسُّر للتفريط بكتاب الله تعالى وحقوقه ثمَّ يُعلل ذلك بالحكمة من الخلق التي تستدي الرعاية والمتابعة، وهنا التكرار أفاد انسجامًا بين أجزاء النَّص، وما زاد من ذلك أنَّ التكرار كان بلفظ الجلالة ممَّا زاد من وتيرة الطاقة التعبيريَّة للنَّص، وكذلك ازداد من وهج الوحدة الموضوعيَّة والمناسبة بين المتواليات المشكِّلة للنَّص، وهذا التكرار للفظ

الجلالة في صدر النَّص جعل المتلقي مهيَّأ لسماع ما بعده وانتظار لما سيأتي من كلام، وهكذا إجراء يمنح النَّص انسجامًا في المضمون؛ لأنَّه يمنح المتواليات بفضل ترقب المتلقي تواصلًا مع بعضها بعضًا. ومن جهةٍ أُخرى ((تُعدُّ نسبة ورودِ العنصر المكرَّر العالية في النص شرطاً أساسياً لتحقيق تَجدَّد الدلالةِ على المعنى وتَعَطُّلِ تجدُّد الإحالة على الخارج، فبالتعرُّف على العُنصر المُكرَّر ذي النسبةِ العالية في الورود تَنْكَشِفُ قصدية النص، وتُدْرَكُ كيفيةَ دلالة معانيه))[٨٤].

رابعًا: التهديد

هذا المعنى يمكن أن نستشفَّه من قول أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله:

«فَاللهَ اللهَ أَنْ تَشْكُوا إِلَى مَنْ لاَ يُشْكِي شَجْوَكُمْ، وَلاَ يَنْقُضُ بِرَأْيِهِ مَا قَدْ أَبْرَمَ لَكُمْ، إِنَّهُ لَيسَ عَلَى الإِمَامِ إِلاَّ مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ: الإِبْلاَغُ فِي الْمَوْعِظَةِ، وَالاجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ، وَالإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ، وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحِقِّيهَا، وَإِصْدَارُ السُّهْمَانِ عَلَى أَهْلِهَا»[٨٥].

وهنا يمكن أن نفهم معنى التهديد عبر سوء العاقبة في تسليم الأمور إلى من لا علم له بها فيتخطَّى دائرة صلاحياته، ويتكلَّم خارج نطاق أمره فتسوء العاقبة وتختلط الأمور وتشتبك الأهواء، وهذا ما يؤدِّي إلى الخسران والاختلاف؛ ولذلك يُحدِّد أمير المؤمنين (عليه السلام) الحدود التي يعمل في دائرتها الإمام، وأمَّا فوق ذلك فأمره إلى الله تعالى، ولو تفطَّنا إلى أثر التكرار في النَّصِّ المتقدِّم لوجدنا أنَّه قد رفع من طاقة

التهديد والوعيد ومنحه دفعةً عاليةً من التأثير في المتلقي للاستجابة نحو هدف الخطاب وغرضه، القاضي بضمان الانتظام للعيش الإنساني فيما لو التزم كلُّ شخص عند حدود دائرة صلاحياته وأفعاله. فالتكرار في هذا النَّصِّ ولَّد تحذيرًا امتدَّ بشبكةٍ من العلاقات الدَّلاليَّة على كلِّ المتواليات التي تلته. وقد شبه رولان بارت هكذا تعالق دلاليٍّ بنسيج العنكبوت؛ لما فيه من إحكامٍ وتماسكٍ وارتباطٍ لبعضه ببعض، في إطار الوحدة الكلية[٨٦]، وبعد ذلك يكون النَّصُّ ((نسيجًا من الدَّوال التي تكوِّن العمل))[٨٧]، وفي معنىً آخر ((نسيجٌ من الكلمات، ومجموعةٌ نغميةٌ وجسمٌ لغويٌّ))[٨٨] متماسك الأعضاء منسجم الحركة والأداء.

ومن النصوص الأخرى التي يمكن أن نفهم منها معنى التهديد قول أمير المؤمنين (عليه السلام): «فَاللهَ اللهَ فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ، وَآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ، وَسُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبْرِ، فَإِنَّهَا مَصْيَدَةُ إِبْلِيسَ الْعُظْمَى، وَمَكِيدَتُهُ الْكُبْرَى»[٨٩].

وهنا يهدد أمير المؤمنين (عليه السلام) متلقيه من أفعالٍ حدَّدها بعينها في نصِّه، وعلة ذلك التهديد أنَّها مصائد إبليس ومكائده، وعليه كان لابدَّ من رفع وتيرة تهديده فصدَّر قوله بتكرار لفظ الجلالة من أجل أن يهيِّئ رادعًا فعَّالًا يدفع الإنسان إلى ترك هذه الأفعال التي تضرُّ بنظامه الأخلاقي والتربوي. وهنا لو تأمَّلنا النَّصَّ وجدنا ألفاظه قد ائتلفت مع بعضها تحت سلطة التكرار بوصفه حاويًا للفظ الجلالة لإفراز معنى التهديد عبر تعاقد

الكلمات وتضامنها مع بعضها بعضًا، ((وبهذا تنتقلُ كُلُّ لفظةٍ من دلالتها المعجمية الذاتية إلى دلالةٍ جديدةٍ، يحددها ائتلافها مع المكونات اللفظية الأُخرى ضمن السياق الجديد))[٩٠].

خامسًا: التأكيد

من المعاني المهمَّة التي يخرج لها التكرار التأكيد، وهو ممَّا جرت عليه العادة في تداول العرب، يقول الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ): ((إنَّه خرج على التكرار على ما جرت العادة في الكلام في التكرير عند الوعيد على التأكيد))[٩١]، وقال الفخر الرازي (ت: ٦٠٦هـ) ((إنَّ التَّكْرِيرَ يُفِيدُ التَّوْكِيدَ، وَكُلَّمَا كَانَتِ الْحَاجَةُ إِلَى التَّأْكِيدِ أَشَدَّ كَانَ التَّكْرِيرُ أَحْسَنَ))[٩٢]. ويمكن تلمُّس هذا المعنى في قوله (عليه السلام):

«ثُمَّ اللهَ اللهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لاَ حِيلَةَ لَهُمْ وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسَى وَالزَّمْنَى، فَإِنَّ فِي هذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعاً وَمُعْتَرّاً، وَاحْفَظْ للهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ»[٩٣].

هذا النَّص نجده في عهده (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضوان الله عليه) عندما أرسله واليًا على مصر، ولو تفحَّصنا العهد وجدناه دستورًا من الوصايا وآلياتٍ من البناء لنظام العيش الإنساني؛ إلَّا أنَّنا نجده في هذا الموضوع من العهد الشريف يُكرِّر لفظ الجلالة فقط؛ وذلك ليمنح هذه الطبقة من التأكيد على الرعاية والاهتمام بها؛ لأنَّها في الغالب طبقةٌ منسيةٌ مهملةٌ، وعليه كان لابدَّ من رعايتها في النَّصِّ بمزيدٍ من الاهتمام فجاء تكرار لفظ الجلالة في صدارة فقرتها؛ ليعطيها حقَّها في التأكيد على

رعايتها؛ لكونها طبقة ضعيفة في المجتمع، وهذا بحدِّه إسهام فاعل في إرساء البناء التكاملي للإنسان بشتَّى طبقاته وحالاته على مستوى القدرة في تحصيل الحقوق وضعفها.

ولو عدنا إلى النُّصوص الآنفة الذكر جميعها ونظرنا إليها من زاويتي التحذير والتأكيد لوجدنا أنَّه من الممكن قراءتها في تلك النُّصوص؛ لأنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) كان بصدد التحذير من العادات السلبية والتأكيد على العادات الإيجابيَّة، وفي كُلِّها كان يدعو إلى بناء الإنسان وتكامله؛ وإحراز ذلك يكمن في توضيح الأوامر والنواهي الشرعيَّة، فيأمره بما يُقرِّبه لله تعالى ويحقِّق له تكامله العبادي والأخلاقي، وينهاه عمَّا يُبعده عن الله تعالى ولا يحقِّق تكامله نحو إصلاح حياته وآخرته.

وعليه فقد كان التكرار عاملًا مهمًّا في تحقيق انسجام النَّص وبنائه بوصفه وحدةً كبرى، فيعمل هذا المعيار على رصد ((وسائل الاستمرار الدَّلالي في أعماله أو العمل على إيجاد الترابط المفهومي))[٩٤].

الخاتمة:

بعد الذي سبق من دراسةٍ وعرضٍ للتطبيقات يمكن أن ننتهي إلى النتائج الآتية:

١. لم يقف تأثير ظاهرة التَّكرار عند حدود البنية الشكلية للنَّص وإنَّما تعدَّاها إلى المضمون لينتج انسجامًا للمادَّة والأفكار والمفاهيم الواردة في النَّص فضلًا عمَّا يحدثه من اتِّساقٍ على مستوى الشكل.

٢. شكَّل تكرار لفظ الجلالة في نهج البلاغة ملمحًا أسلوبيًّا واضحًا، ذلك أنَّه جاء مكرَّرًا أربعة عشر مرَّةً

في عموم النهج الشريف.

٣. أبدى علماء العربية وعيًا تامًّا بوظيفة التَّكرار على مستوى الشكل والمضمون ولم تختلف كلماتهم بالمجمل العام عمَّا أفاده علماء اللسانيات في العصر الحديث؛ بل إنَّهم زادوا بذكر المعاني التي يفيدها التَّكرار على مستوى المضمون؛ إلَّا في حيثيَّة تحديد درجات التكرار ومن ضمنها تكرار التوازي، وهذه لن يشر إليها قدماء العربيَّة صراحةً.

٤. جاءت النصوص الحاوية لتكرار لفظ الجلالة في عمومها المطلق بغرض التربية الأخلاقيَّة الدَّاعية إلى بناء الإنسان والمجتمع على وفق الأسس الإسلاميَّة التي تنتهي بالإنسان نحو التكامل وضمان كرامة العيش على وفق النظام الإلهي.

٥. من المقاصد التي يمكن أن نقرأها جرَّاء تكرار لفظ الجلالة في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) هو استحضار ما لهذا اللفظ من قدسيَّةٍ في نفوس متلقيه ورهبةٍ وإكبار، وعليه فإنَّه يؤدِّي إلى رفع طاقة التأثير للنَّصِّ ويمنحه بعدًا تعبيريًا ودافعًا نحو الالتزام بمضمونه وأفكاره.

٦. أفاد تكرار لفظ الجلالة في نهج البلاغة مجموعةً من المعاني هي: (تحذير، وإنكار وتوبيخ، وتوجُّع وتحسُّر، وتهديد، وتأكيد)، وهذه المعاني استقتها الدِّراسة من ظاهر النُّصوص، وإلَّا فإنَّ الدَّلالة العامَّة للتكرار هي تحذير وتأكيد.

الهوامش:

(١) يُنظر: أسس لسانيات النصّ: ١١، لسانيَّات النصّ عرض تأسيسي: ١٥.

(٢) يُنظر: مدخل الى علم النصّ، زيتسلاف واورزنياك: ٥٤.

(٣) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ١/ ٢١.

(٤) م. ن: ١/ ٢١.

(٥) النص الغائب: ١٦.

(٦) خطأ والصواب (عِبْر).

(٧) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ١/ ٢٩.

(٨) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، عدد ١٦٤، غشت ١٩٩٢م: ٢١٥.

(٩) النص والخطاب والاجراء: ٩٧.

(١٠) ينظر: علم النص، جوليا كريستيفا: ٢١.

(١١) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: ١٠١-١٠٢.

(١٢) خطأ والصواب عدم تكرار (بين).

(١٣) مناهج النقد المعاصر: ١٣٣.

(١٤) ينظر: شعرية تودوروف: ٥٦.

(١٥) الاتصال اللغوي بين الدقة والغموض، عبد الحليم بن عيسى، مجلة اللغة والاتصال، جامعة وهران، العدد١، أكتوبر ٢٠٠٥م: ٢٣.

(١٦) التشابه والاختلاف: ١٥.

(١٧) ينظر: علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق: ١/ ٣٣.

(١٨) النصّ والخطاب والاجراء: ١٠٣-١٠٥.

(١٩) يُنظر: المصدر نفسه: ١٠٦.

(٢٠) يُنظر: علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق: ١/ ٣٣، نحو النص، أحمد عفيفي، ٣٠.

(٢١) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٢/ ٢٢.

(٢٢) ينظر: م. ن: ٢/ ٢٢.

(٢٣) المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب: ١٠٠.

(٢٤) المثل السائر: ٣/ ٣.

(٢٥) المنزع البديع: ٤٧٦- ٤٧٧.

(٢٦) البرهان في علوم القرآن: ١/ ٢٢١.

(٢٧) الإتقان في علوم القرآن: ٣/ ١٧٩.

(٢٨) معجم البلاغة العربيَّة: ٥٨٥.

(٢٩) معجم النقد العربي القديم: ٣٧٠.

(٣٠) البرهان في علوم القرآن: ٣/ ١١-١٨.

(٣١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١/ ١٥٥-١٥٧.

(٣٢) ينظر: مقالات في اللغة والادب: ٢/ ١٥٣.

(٣٣) لسانيَّات النصِّ- مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٤.

(٣٤) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٢/ ٢٠.

(٣٥) نحو النصّ- اتجاه جديد في الدرس النحويّ: ١١٢-١١٣.

(٣٦) المصدر نفسه: ١٣٩.

(٣٧) نسيج النصّ بحث فيما يكون به الملفوظ نصًّا: ١١٩.

(٣٨) من أشكال الربط في القرآن الكريم: ١٥١.

(٣٩) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٢/ ٢١.

(٤٠) المصدر نفسه: ٢/ ٢١.

(٤١) نحو النص- إطارٌ نظريٌ ودراساتٌ تطبيقية: ١٣٩.

(٤٢) نظريّة علم النصّ- رؤية منهجيّة في بناء النصّ النثريّ: ١٠٧.

(٤٣) ينظر: لسانيَّات النصِّ- مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٢٦، علم لغة النصِّ- النظريَّة والتطبيق: ٩٩.

(٤٤) الصواب عدم تكرار لفظ (بين).

(٤٥) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ١/ ٩٦.

(٤٦) لسانيَّات النصِّ- مدخل إلى انسجام الخطاب: ٥.

(٤٧) أصول تحليل الخطاب في النظريَّة النحويَّة العربيّة- تأسيس نحو النصِّ: ١/ ١٢٤.

(٤٨) لسانيَّات النصِّ- مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٢٤.

(٤٩) علم لغة النصِّ المفاهيم والاتجاهات: ١٠٧.

(٥٠) ينظر: لسانيات النص: محمد خطابي: ٢٤، وينظر: ٦٠، لسانيات النص

النظريـة والتطبيـق، مقامـات الهمـذاني أنموذجـاً: ١٢٤.
(٥١) ينظـر: علـم لغـة النـصِّ المفاهيـم والاتجاهـات: ١٠٥.
(٥٢) ينظـر: أصـول تحليـل الخطـاب في النظريَّـة النحويَّـة العربيّـة- تأسـيس نحـو النـصِّ: ١٣١- ١٣٢.
(٥٣) نهج البلاغة: ٤٢١- ٤٢٢.
(٥٤) أثـر التكـرار في التماسـك النـصِّيِّ- مقاربـة معجميَّـة تطبيقيَّـة في ضـوء مقـالات د. خالـد لمنيـف، نـوال إبراهيـم الحلـوة، مجلّة جامعـة أم القـرى لعلـوم اللغـات وآدابهـا، العـدد ٨، ٤٣٣هـ- ٢٠١٢م: ٣٣.
(٥٥) البنيـات الأسـلوبية في لغـة الشـعر العـربي الحديـث: ١٧٣.
(٥٦) النص والخطاب والإجراء: ١٠٣.
(٥٧) معجم المصطلحات الأدبية: ١٠٢.
(٥٨) النص والخطاب والإجراء: ٣٠٦.
(٥٩) التكرار: ٣٠.
(٦٠) الكشـاف عـن حقائـق غوامـض التنزيـل وعيـون الاقاويـل في وجـوه التأويل: ٣/ ٣٣٤.
(٦١) مختصر في قواعد التفسير: ٢٥.
(٦٢) علـم لغـة النـص النظريـة والتطبيـق: ١٤٢.
(٦٣) أصـول تحليـل الخطـاب في النظريَّـة النحويَّـة العربيّـة- تأسـيس نحـو النـصِّ: ٢/ ٧٦٧.
(٦٤) الضعـف في القـراءة وأسـاليب التعلـم (النظريـة- والبحـوث- والتدريبـات- والاختبـارات): ٨٠.
(٦٥) الصواب: يستعمل.
(٦٦) أسـاليب تعليـم الأطفـال القـراءة والكتابـة: ١٥١.
(٦٧) العلامتية وعلم النص: ١٣٩.
(٦٨) لسانيات النص- مدخل إلى انسجام الخطاب: ٣٤.
(٦٩) علـم لغـة النصّ المفاهيـم والاتجاهات: ٢٢٠.
(٧٠) النَّص الغائب، محمد عزَّام: ٤٨.
(٧١) أصـول تحليـل الخطـاب في النظريَّـة النحويَّـة العربيّـة- تأسـيس نحـو النـصِّ: ٧٩.
(٧٢) نهج البلاغة: ٢٦٧.

(٧٣) إيناس الناس بتفاحة أبي جعفر النحاس: ١٠٥، ينظر: اللمحة في شرح الملحة: ٢/ ٥٣١.

(٧٤) ملحة الإعراب: ٤٨.

(٧٥) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: ١٥٨.

(٧٦) نهج البلاغة: ٢٣١- ٢٣٢.

(٧٧) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٦/ ٤٨٩.

(٧٨) نهج البلاغة: ٢٣٤.

(٧٩) المصدر نفسه.

(٨٠) النص والخطاب والإجراء: ٩١.

(٨١) نهج البلاغة: ٢٨٩.

(٨٢) المصدر نفسه: ٢٨١- ٢٨٢.

(٨٣) المصدر نفسه: ١١٦- ١١٧.

(٨٤) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ١/ ١٣٨.

(٨٥) نهج البلاغة: ١٥٢.

(٨٦) ينظر: درس السيمولوجيا: ٨٥.

(٨٧) نظرية النص من بنية المعنى إلى سيمائية الدال: ٤٤.

(٨٨) المصدر نفسه: ٤٤.

(٨٩) نهج البلاغة: ٢٩٤.

(٩٠) علم لغة النص- النظرية والتطبيق: ١٠٧.

(٩١) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): ٩/ ٥٩٨.

(٩٢) مفاتيح الغيب- التفسير الكبير: ٣٢/ ٣٣١.

(٩٣) نهج البلاغة: ٤٣٨.

(٩٤) النص والخطاب والإجراء: ١٠٣.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١. الإتقان في علوم القرآن، أبو الفضل جلال الدين بن عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١ هـ)، تحقيق: مركز الدراسات القرآنيّة، المملكة العربيّة السعوديّة، وزارة الشؤون الإسلاميّة للأوقاف والدعوة والإرشاد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الامانة العامة للشؤون العلميّة، د. ط، د. ت.

٢. أساليب تعليم الأطفال القراءة والكتابة، نايف محمد الشناوي وآخرون، دار صفاء، ط١، الأردن، ٢٠٠١م.

٣. أسس لسانيّات النّصّ، مارغوت هاينمان، ووفولفغجنغ هاينمان، ترجمة: د. موفق محمد جواد المصلح، وزارة الثقافة جمهورية العراق، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ٢٠٠٦م.

٤. أصول تحليل الخطاب في النظريَّة النحويَّة العربيّة- تأسيس نحو النصِّ، محمد الشاوش، كليَّة الآداب منوبة- تونس بالاشتراك مع المؤسّسة العربيّة للتوزيع، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

٥. إيناس الناس بتفاحة أبي جعفر النحاس، (وهو شرح على متن «التفاحة في النحو»، لأبي جعفر النحاس)، أبو البهاء، حازم أحمد حسني خنفر، (د ط)، (ت ط).

٦. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦ هـ- ١٩٥٧ م.

٧. بلاغة الخطاب وعلم النصّ، صلاح فضل، عالم المعرفة، المجلس الوطنيّ للثقافة للفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٢م.

٨. البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، مصطفى السعداني، منشأة المعارف الاسكندرية، ط١، (د. ت).

٩. التشابه والاختلاف، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-

بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
١٠. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ- ٢٠٠٥ م.
١١. التكرار، د. حسين نصّار، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.
١٢. درس السيمولوجيا، رولان بارت، ترجمة: بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، ط٣، ١٩٩٣م.
١٣. شعرية تودوروف، عثماني الميلود، دار قرطبة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٠م.
١٤. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧ م.
١٥. الضعف في القراءة وأساليب التعلم (النظرية- والبحوث- والتدريبات- والاختبارات)، مراد علي عيسى سعد، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط١، مصر، ٢٠٠٦م.
١٦. العلاماتية وعلم النص، منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، ط١، المغرب، ١٩٩١م.
١٧. علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، د. صبحي إبراهيم الفقى، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ط ١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
١٨. علم النص، جوليا كريستيفا، ترجمة: فؤاد الزاهي، دار توبقال للنشر، المغرب، ط٢، ١٩٩٧م.
١٩. علم لغة النص- النظرية والتطبيق، د. عزة شبل، تقييم: د. سليمان العطار، مكتبة الآداب- القاهرة، ط٢، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
٢٠. علم لغة النصّ المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد حسن بحيري، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، مكتبة لبنان،

القاهـرة، ط ١، ١٩٩٧م.
٢١. الكشـاف عـن حقائـق غوامـض التنزيـل وعيـون الاقاويـل في وجـوه التأويـل، أبـو القاسـم محمـود جـار الله الزمخـشري (ت: ٥٣٨ هـ)، دار الكتـاب العـربي- بـيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ.
٢٢. لسـانيَّات النـصِّ- مدخـل إلى انسـجام الخطـاب، محمـد الخطـابيّ، المركـز الثقـافيّ العـربيّ الـدار البيضـاء، ط ٢، ٢٠٠٦م.
٢٣. لسـانيات النـص النظريـة والتطبيـق، مقامـات الهمـذاني أنموذجـاً، لينـدا قيـاس، مكتبـة الآداب- القاهـرة، ط١، ١٤٣٠ هـ- ٢٠٠٩ م.
٢٤. لسـانيّات النـصّ عـرض تأسـيسيّ، كريسـتين آدمتيسـك، ترجمة: د. سـعيد حسـن بحـيري، مكتبـة زهـراء الـشرق، القاهـرة، ط ١، ٢٠٠٩ م.
٢٥. اللمحـة في شرح الملحـة، محمـد بـن حسـن بـن سِـباع بـن أبي بكـر الجذامـي، أبـو عبـد الله، شـمس الديـن، المعـروف بابـن الصائـغ (ت: ٧٢٠هـ)، تحقيـق: إبراهيـم بـن سـالم الصاعـدي، عـمادة البحـث العلمـي بالجامعـة الإسـلامية، المدينـة المنـورة، المملكـة العربيـة السـعودية، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.
٢٦. المثل السـائر في أدب الكاتب والشـاعر، ضيـاء الديـن ابـن الأثـير، قـدَّم لـه وعلَّـق عليـه: د. أحمـد الحـوفيّ، ود. بـدوي طبانـه، دار نهضـة مـصر، القاهـرة، د ط، د. ت.
٢٧. مختـصر في قواعـد التفسـير، خالـد بـن عثـمان السـبت، دار ابـن القيـم- دار ابـن عفـان، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
٢٨. مدخـل إلى علـم النـصّ، مشـكلات بنـاء النـصّ، زيتسيسـلاف واورزنيـاك، ترجمـة، د. سـعيد حسـن بحـيري، مؤسّسـة المختـار للطبـع والتوزيـع، القاهـرة، ط ١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
٢٩. معجـم البلاغـة العربيَّـة، الدكتـور طبانـة بـدوي، دار المنـار، جـدَّة، السـعوديَّة، ط٤، ١٩٩٧م.
٣٠. معجـم المصطلحـات الأدبيـة، فتحـي إبراهيـم، التعاضديـة العمَّاليـة للنـشر

والتوزيع، صفاقص- تونس، (د ط)، ١٩٨٦م.
٣١. مفاتيح الغيب- التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط٣، ١٤٢٠ هـ.
٣٢. مقالات في اللغة والأدب، د. تمّام حسّان ، عالم الكتب القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
٣٣. ملحة الإعراب، القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد الحريري البصري (ت: ٥١٦هـ)، دار السلام- القاهرة/ مصر، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
٣٤. من أشكال الربط في القرآن الكريم (تضافر العناصر الإشارية والعناصر الإحالية في تماسك النص) مقال من كتاب (فولفديترش فيشر، دراسات عربية وسامية) مركز اللغة العربية- كلية الآداب- جامعة القاهرة- ١٩٩٤م.
٣٥. مناهج النقد المعاصر، صلاح فضل، دار إفريقيا الشرق، المغرب- بيروت، ٢٠٠٢م.
٣٦. المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع: أبو محمد القاسم السلجماسيّ، تقديم وتحقيق: علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، ط١، ١٤٠١هـ- ١٩٨٠م.
٣٧. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشمي الخوئي (ت: ١٣٢٤ هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم الميانجي، مطبعة الاسلامية بطهران، ط٤، (د ت).
٣٨. نحو النصّ- اتجاه جديد في الدرس النحويّ، د. أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.
٣٩. نحو النصّ- إطار نظري ودراسة تطبيقيّة، عثمان أبو زنيد، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط ١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.
٤٠. نسيج النصّ بحث فيما يكون به الملفوظ نصًّا، الأزهر الزنّاد، المركز الثقافيّ العربيّ، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٣م.

٤١. النص الغائب، محمد عزام، تجليات التناص في الشعر العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.

٤٢. النص والخطاب والاجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.

٤٣. نظرية النص من بنية المعنى الى سيمائية الدال، حسين خمري، منشورات الاختلاف والدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ٢٠٠٧م.

٤٤. نظريّة علم النصّ- رؤية منهجيّة في بناء النصّ النثريّ، د. حسام أحمد فرج، تقديم: د. سليمان العطّار، ود. محمود فهمي حجازي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.

٤٥. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥ هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د ط)، (د ت).

٤٦. نهج البلاغة (ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)، ضبط نصَّه وابتكر فهارسه الفنيَّة الدكتور صبحي الصالح، الناشر: مركز البحوث الإسلامية- قم، طبعة بيروت، ١٩٨٦م.

المجلات والدَّوريَّات:

١. الاتصال اللغوي بين الدقة والغموض، عبد الحليم بن عيسى، مجلة اللغة والاتصال، جامعة وهران، العدد ١، أكتوبر ٢٠٠٥م.

٢. أثر التكرار في التماسك النصِّيِّ- مقاربة معجميَّة تطبيقيَّة في ضوء مقالات د. خالد لمنيف، نوال إبراهيم الحلوة، مجلّة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد ٨، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

فضائل الإمام علي (عليه السلام)...

قال رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم): من سرّه أن يجوز على الصراط كالريح العاصف، ويلج الجنّة بغير حساب، فليتول وليّي ووصيّي وصاحبي وخليفتي على أهلي وأمتي عليّ بن أبي طالب. ومن سرّه أن يلج النّار فليترك ولايته، فوعزة ربّي وجلاله إنه لباب اللّه الذي لا يؤتى إلا منه، وإنّه الصراط المستقيم، وإنّه الذي يسأل اللّه عن ولايته يوم القيامة.

المصدر: بحار الأنوار ج٣٨ ص٩٧ ح١٦ بشارة المصطفى (ص) ص٣٤

العلاء بن زياد الحارثي
في كتاب نهج البلاغة

Al-Alaa Bin Ziad Al-Harthy
in Nahjul-Balagha

م. حيدر جمعة الكعبي

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

دائرة البحث والتطوير

by Haider Juma Al Kaabi

Ministry of Higher Education and Research

Development Department

ملخص البحث

إن ذكر العلاء بن زياد الحارثي في صدر كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) ليس من سهو الشريف الرضي (رحمه الله)؛ لوجود هذا النص في عصر متقدم على عصره بقرن ونصف تقريباً، وكذلك ليس من سهو النساخ؛ لعدم وجود أي نسخة من كتاب نهج البلاغة مغايرة لما موجود، فضلًا عن اتفاق شراح النهج على هذا النص، لذا نرى أن السهو قد وقع من الإسكافي في كتابه المعيار والموازنة أو من نساخ هذا الكتاب، وإن الشريف الرضي (رحمه الله) قد اعتمد على هذا الكتاب في نقله لكلام أمير المؤمنين (عليه السلام) محل البحث.

إن الموضوع يتطلب الوقوف على عدة نسخ خطية من كتاب المعيار والموازنة أو العثور على مصدر آخر نقل هذا الكلام عنه لتتبين حقيقة الأمر، لذا ما ذكره ابن أبي الحديد هو الأصوب مؤيَّداً برواية الكافي والعقد الفريد، وأمَّا نص كتاب الاختصاص فلا يمكن الاعتماد عليه من ناحية معرفة المعنون بالخطبة؛ لأنَّ المذكورين، وهما زياد بن شداد وعبيد الله بن شداد لا وجود لهما، ولم يذكرهما أحد، وإنما تفرد بذكرهما كتاب الاختصاص، لذا نرى أن النص قد وقع فيه التحريف والتصحيف خصوصا إذا ما علمنا أن الكتاب قد اختصره الشيخ المفيد من كتاب أبي علي أحمد بن الحسين بن أحمد بن عمران، وأن نسخه الموجودة فيها نقص وأخطاء.

الكلمات المفتاحية: نهج البلاغة، العلاء بن زياد الحارثي.

Abstract

The mention of Al-Alaa bin Ziad Al-Harthy in the begining the prince of true believers (Pb) speech was not omission of al-Sharif al-radi (the mercy of Allah be upon him), since this text was existing nearly about a century and a half after his time, and was not omission of scribes, since there is no any copy of Nahjul-Balagha different from what is present, so we Consider the omission is by alaskafi in his book "Criterion and Balance" or by scribes of this book. So that al-sharif al radi relied on this book to quote Imam Alis (Pb) speech.

Keywords:

Nahjul-Balagh, Al-Alaa Bin Zaid Al-Harthy

المقدمة:

تضمن كتاب نهج البلاغة الذي جمعه الشريف الرضي (رحمه الله) المتوفى سنة (٤٠٦هـ) خطبًا وحِكمًا ورسائل وكلمات لأمير المؤمنين علي (عليه السلام)، ومن الأمور التي يمكن للباحث أن يسلط نظره عليها هي الأعلام المذكورة في النهج الشريف، ومن ثَمَّ ترجمة هؤلاء الأعلام والبحث في شؤونهم وخصوصياتهم، ومن هؤلاء الأعلام العلاء بن زياد الحارثي الذي جاء ذكره ضمن كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) الوارد بالرقم (٢٠٩)[1]، ونص ذلك كما في النهج الشريف كالآتي:

ومن كلامٍ له (عليه السلام) بالبصرة وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي وهو من أصحابه يعوده، فلما رأى سعة داره، قال: «ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا، أما أنت إليها في الآخرة كنت أحوج، وبلى إن شئت بلغت بها الآخرة، تقري فيها الضيف، وتصل فيها الرحم، وتطلع منها الحقوق مطالعها، فإذاً أنت قد بلغت بها الآخرة. فقال له العلاء: يا أمير المؤمنين أشكو إليك أخي عاصم بن زياد. قال: وماله؟ قال: لبس العباءة وتخلى عن الدنيا. قال: عليَّ به. فلما جاء قال: يا عديَ نفسه لقد استهام بك الخبيث، أما رحمت أهلك وولدك، أترى الله أحل لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها؟ أنت أهون على الله من ذلك، قال: يا أمير المؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك؟ قال: ويحك إني لست كأنت، إن الله فرض على أئمة

العدل أن يقدروا أنفسهم بضَعَفَة الناسِ كي لا يتبيغ بالفقير فقره».

أقول: لاحظت عند مراجعتي للخطبة المذكورة في المصادر الحديثية والتاريخية أن هناك اختلافًا في اسم الشخص الذي عاده أمير المؤمنين (عليه السلام)، وعلى هذا الأساس سيكون بحثنا منصباً حول إثبات الاسم الحقيقي لهذا الشخص.

المبحث الأول: المصادر التي ذكرت الخطبة

ذكرت هذه الخطبة الشريفة في كثير من كتب التاريخ والحديث والأخلاق والمناقب والتفسير بعد زمان الشريف الرضي (رحمه الله) إلى يومنا هذا، فعلى سبيل المثال ذكرها الطبرسي من أعلام القرن السادس في تفسيره (مجمع البيان في تفسير القرآن) حيث قال: إنه قد اشتهر في الرواية إنه (عليه السلام) لما دخل على العلاء بن زياد بالبصرة يعوده، قال له العلاء: يا أمير المؤمنين أشكو إليك أخي عاصم بن زياد.... إلى آخر الكلام الذي سبق[٢] حيث ذكر الخطبة بتمامها، كما ذكرها العلّامة المجلسي في كتاب بحار الأنوار نقلاً عن كتاب نهج البلاغة[٣]، ومن المحدثين ذكرها المحدّث النوري في مستدرك الوسائل[٤]، ومن كتب الأخلاق ذكرت في كتاب رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين للسيد علي خان الشيرازي[٥]، وعشرات الكتب الأخرى، وهناك من العامة من ذكر مقطعًا من هذه الخطبة بعنوان (عيادة أمير المؤمنين (عليه السلام) العلاء بن زياد الحارثي) أو ما يقرب من هذا العنوان وهو

الزمخشري صاحب تفسير الكشاف المتوفى سنة ٥٣٨ هجرية في كتابه ربيع الأبرار[٦] ولكن من دون أن يشير إلى المصدر، وكذلك ابن حمدون المتوفى سنة (٥٦٢هـ) في كتابه التذكرة الحمدونية[٧] وذكر كلام أمير المؤمنين بأكمله في كتاب ينابيع المودة، للقندوزي الحنفي المتوفى سنة (١٢٩٤هـ)[٨].

والظاهر أن الكتب قد ذكر فيها هذا الكلام ولم يصرح مؤلفوها بمصدرهم في ذلك إنما هم نقلوها عن كتاب نهج البلاغة وإن لم يشيروا إلى ذلك، وذلك لتطابق صدر الخطبة في هذه الكتب مع ما موجود بالنهج، وهو عيادة أمير المؤمنين (عليه السلام) العلاء بن زياد الحارثي، والسبب الآخر هو شهرة كتاب نهج البلاغة في عصرهم وتقدم زمانه).

المبحث الثاني: شخصية العلاء بن زياد الحارثي

عند مراجعتنا لكتب الحديث والرجال الشيعية لم نجد ذكرًا لشخص بعنوان (العلاء بن زياد الحارثي)، ومن ذكره من العلماء مؤخراً في كتب الرجال والتراجم فقد اعتمد في ذلك على ذكره في كتاب نهج البلاغة أو المصادر التي نقلت عنه، إذ جاء ذلك في كتاب مستدركات علم رجال الحديث للشيخ علي النمازي الشاهرودي حيث أورد ترجمته قائلاً:

لم يذكروه، هو من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام). وعاده أمير المؤمنين (عليه السلام) في مرضه بالبصرة وشكا أخاه عاصمًا عنده، كمبا ج ٩ صفحة ٥٠٢، وجد ج ٤٠/ ٣٣٦ ومصدره في ذلك كتاب

بحار الأنوار للعلّامة المجلسي الذي بدوره نقلها عن كتاب نهج البلاغة وعبارة (كمبا) إشارة إلى طبعة الكمباني، وعبارة (جد) إشارة إلى الطبعة الجديدة من البحار[٩].

المبحث الثالث: العلاء بن زياد العدوي البصري

نجد أن العلاء بن زياد الحارثي لم يذكر في مصادر العامة التاريخية والرجالية، وإنما الذي ذكر هو (العلاء بن زياد العدوي البصري) المتوفى سنة (٩٤ هجرية)، وهو من بني عدي وعدَّوه من ثقات التابعين ومن العبَّاد ومن الزهاد وأثنوا عليه كثيراً[١٠] حيث قال عنه الرازي في الجرح والتعديل: العلاء بن زياد العدوي البصري وهو ابن زياد بن مطر كان قدم الشام روى عن أبيه روى عنه جرير بن حازم سمعت أبي يقول ذلك[١١].

وقال المزي في تهذيب الكمال: العلاء بن زياد بن مطر بن شريح العدوي أبو نصر البصري قدم الشام أرسل عن النبي (صلى الله عليه [وآله] وسلم) مد (... قال محمد بن الحسين البرجلاني عن أبي إسحاق الضرير عن الأسود بن شيبان عن قتادة: كان زياد بن مطر العدوي قد بكى حتى عمي وبكى ابنه العلاء بن زياد بعده حتى عشي بصره، قال: وكان إذا أراد أن يتكلم أو يقرأ جهشه البكاء، وقال أيضا عن حكيم بن جعفر عن مضر القارئ عن عبد الواحد بن زيد: أتى رجل العلاء بن زياد، فقال: أتاني آت في منامي، فقال: ائت العلاء بن زياد فقل له: كم تبكي، قد غفر لك، قال: فبكى ثم قال: الآن حين لا أهدأ[١٢].

وقد أخرجت بعض الصحاح

حديثه كصحيح سنن ابن ماجة حيث ورد ذكره في سند الحديث بالرقم ٣٨٥١ عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «**ما من دعوة يدعو بها العبد أفضل من اللهم إنِّي أسألك المعافاة في الدنيا والآخرة**»[١٣].

المبحث الرابع: هل العلاء بن زياد العدوي البصري نفسه العلاء بن زياد الحارثي؟

لا يمكن احتمال كون (العلاء بن زياد العدوي البصري) هو المقصود المذكور في خطبة نهج البلاغة أي العلاء بن زياد الحارثي كما احتمله السيد عبد اللطيف الكوهكمري في تحقيقه لكتاب منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة للقطب الراوندي؛ إذ قال في هامش صفحة ٣٢٢ من الجزء الثاني[١٤]: (لعلَّه الذي ذكره الحافظ الرازي في الجرح والتعديل، وقال العلاء بن زياد العدوي البصري وهو ابن زياد بن مطر، كان قدم شام، وروى عن أبيه وروى عنه جوير بن حازم).

ولعل السبب الذي دعاه إلى ذلك أن العلاء بن زياد العدوي البصري كان من العبّاد والزهاد ومن أهل البصرة، فيقرب أن يكون كلام أمير المؤمنين موجهاً له، ولكن لا يمكن قبول ذلك لكون العلاء بن زياد العدوي البصري هذا كان من المنحرفين عن أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ إذ روى الثقفي في كتاب الغارات عن ابن سيرين قال: دخل عمار بن ياسر على ابن مسعود أو أبي مسعود وعنده ابن الشخير فذكر عليًّا (عليه السلام) بما لا يجوز أن يذكر به، فقال له عمار: يا فاسق إنك لههنا، فقال أبو مسعود: أنشدك الله

وأذكرك الله يا أبا اليقظان في ضيفي، قال: كان أبو مسعود الجريري يقول: كان ثلاثة من أهل البصرة يتواصلون على بغض علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهم: مطرف بن عبد الله بن الشخير، والعلاء بن زياد، وعبد الله بن شقيق[١٥].

كما نقل ذلك ابن أبي الحديد في شرح النهج نقلاً عن كتاب الغارات المذكور آنفًا[١٦]، والمحقق التستري في قاموس الرجال[١٧]، ويفترض أن العلاء بن زياد الحارثي محل البحث والوارد اسمه في صدر كلام أمير المؤمنين أعلاه أن يكون من أصحابه المقربين منه، حيث يزوره الإمام في بيته ويعوده، وهذا يتنافى مع كونه من مبغضي أمير المؤمنين (عليه السلام).

يُزادُ على ذلك أن وفاة (العلاء بن زياد العدوي البصري) هي عام (٩٤ هجرية) ممَّا يجعله في زمان أمير المؤمنين عند دخوله البصرة وهي سنة ٣٦ هجرية (حيث إن الكلام جرى في البصرة كما هو ظاهر من صدره) فكان شابًّا صغيراً إن لم نقل إنه لم يكن مولوداً أصلاً؛ إذ إن تاريخ ولادته غير معلوم فضلا عن عدم وجود أخ للعلاء بن زياد العدوي البصري اسمه عاصم بن زياد وهو الذي وبخه أمير المؤمنين (عليه السلام) على تركه الدنيا وزهده فيها، وإنما يوجد له أخ اسمه هشام بن زياد العدوي ذكره ابن حبان في الثقات[١٨].

المبحث الخامس: عاصم بن زياد الحارثي أم العلاء بن زياد الحارثي

ذكر ابن أبي الحديد المعتزلي عقب هذه الخطبة في شرحه لنهج البلاغة

بقوله: اعلم أن الذي رويته عن الشيوخ ورأيته بخط عبد الله بن أحمد بن الخشاب رحمه الله أن الربيع بن زياد الحارثي أصابته نشابة في جبينه، فكانت تنتقض عليه في كل عام، فأتاه علي (عليه السلام) عائداً فقال: كيف تجدك أبا عبد الرحمن؟ قال أجدني يا أمير المؤمنين لو كان لا يذهب ما بي إلّا بذهاب بصري لتمنيت ذهابه.

قال وما قيمة بصرك عندك؟، قال لو كانت لي الدنيا لفديته بها، قال لا جرم ليعطينك الله على قدر ذلك إن الله تعالى يعطي على قدر الألم والمصيبة وعنده تضعيف كثير، قال الربيع: يا أمير المؤمنين ألا أشكو إليك عاصم بن زياد أخي قال: ما له؟ قال: لبس العباء وترك الملاء وغم أهله وحزن ولده.

فقال علي (عليه السلام): ادعو إلي عاصماً، فلمَّا أتاه عبس في وجهه، وقال: ويحك يا عاصم أترى الله أباح لك اللذات وهو يكره ما أخذت منها، لأنت أهون على الله من ذلك أوَما سمعته يقول: ﴿مَرَجَ البَحرَينِ يَلتَقِيَانِ﴾ ثم يقول: ﴿يَخرُجُ مِنهُمَا اللُّؤلُؤُ وَالمَرجَانُ﴾، وقال: ﴿وَمِن كُلّ تَأكُلُونَ لَحماً طَرِيّا وَتَستَخرِجُونَ حِليَةً تَلبَسُونَهَا﴾. أما والله إنَّ ابتذال نِعَم الله بالفعال أحب إليه من ابتذالها بالمقال وقد سمعتم الله يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّث﴾، وقوله: ﴿قُل مَن حَرَّمَ زِينَةَ اللهِّ الَّتِيَ أَخرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَتِ مِنَ الرِّزقِ﴾. إن الله خاطب المؤمنين بما خاطب به المرسلين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ الطَّيِّبَتِ وَاعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾،

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لبعض نسائه: «مالي أراك شعثاء مرهاء سلتاء». قال عاصم: فلم اقتصرت يا أمير المؤمنين على لبس الخشن وأكل الجشب؟ قال: إن الله تعالى افترض على أئمة العدل أن يقدروا لأنفسهم بالقوام كيلا يتبيغ بالفقير فقره، فما قام علي (عليه السلام) حتى نزع عاصم العباء ولبس ملاءة.

والربيع بن زياد هو الذي افتتح بعض خراسان وفيه قال عمر: دلّوني على رجل إذا كان في القوم أميرًا، فكأنه ليس بأمير، وإذا كان في القوم ليس بأمير فكأنه الأمير بعينه، وكان خيِّرًا متواضعًا، وهو صاحب الوقعة مع عمر لما أحضر العمال فتوحش له الربيع وتقشف وأكل معه الجشب من الطعام فأقره على عمله وصرف الباقين، وقد ذكرنا هذه الحكاية فيما تقدَّم، وكتب زياد بن أبيه إلى الربيع بن زياد وهو على قطعة من خراسان: إن معاوية كتب إلي يأمرك أن تحرز الصفراء والبيضاء وتقسم الخرثى وما أشبهه على أهل الحرب، فقال له الربيع فقال: إني وجدت كتاب الله قبل كتاب معاوية ثم نادى في الناس أن اغدوا على غنائمكم فأخذ الخمس وقسم الباقي على المسلمين ثم دعا الله أن يميته فما جمع حتى مات، وهو الربيع بن زياد بن أنس بن ديان بن قطر بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن مالك بن كعب بن الحارث بن عمرو بن وعلة بن خالد بن مالك بن أدد.

وأمَّا العلاء بن زياد الذي ذكره الرضي (رحمه الله) فلا أعرفه (أي لا

يعرف شخصاً بهذا الاسم كان من أصحاب أمير المؤمنين وأنه عاده وجرى معه من الكلام ما جرى، إلا أنه لا يعرف شخصًا بهذا الاسم حيث تقدم أن هناك من اسمه العلاء بن زياد ولكنه العدوي البصري وليس الحارثي)، ولعل غيري يعرفه[١٩].

كما أورد هذا نص كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) (بذكر الربيع بن زياد وليس العلاء بن زياد) ابن عبد ربه الأندلسي المتوفى سنة (٣٢٨ هجرية) في كتابه العقد الفريد عن العتبي في موضعين في الجزء الثاني والجزء السابع وباختلاف يسير في بعض الكلمات عن النص الذي أورده ابن أبي الحديد المعتزلي[٢٠]، وكذلك أبو الفرج ابن الجوزي المتوفى سنة (٥٩٧ هجرية) في كتابه تلبيس إبليس[٢١]، كما ذكر أبو حيان التوحيدي في كتابه البصائر والذخائر[٢٢] كلام أمير المؤمنين مع عاصم بن زياد من دون أن يذكر العلاء أو الربيع بن زياد الحارثي، وهذا الكتاب فات السيد عبد الزهراء الخطيب في أن يذكره في كتابه مصادر نهج البلاغة وأسانيده.

المناقشة والنتيجة:

من الراجح أن ما موجود بالنهج من ذكر العلاء بن زياد الحارثي هو ليس من سهو النساخ كما احتمله السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب في كتابه مصادر نهج البلاغة وأسانيده حيث قال عقب ذكره لكلام أمير المؤمنين (عليه السلام) المذكور آنفًا: (ظاهراً أن قول الرضي (رحمه الله): العلاء بن زياد من الوهم منه رحمه الله أو من النساخ، فإن المعروف بين

علماء الأخبار أن الذي عاده أمير المؤمنين (عليه السلام) وشكى إليه أخاه عاصم هو الربيع بن زياد الحارثي... ثم ذكر كلام ابن أبي الحديد)[٢٣].

والدليل على ما رجحناه عدة أمور منها أن جميع شراح النهج ذكروا نص كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) الوارد في مقدمة الكلام، والوارد فيه هو ذكر العلاء بن زياد الحارثي ابتداءً من القطب الراوندي المتوفى سنة (٥٧٣ هجرية) في شرحه (منهاج البراعة) وهو قريب من عصر الرضي (رحمه الله) حيث توفي الرضي سنة (٤٠٩ هجرية)، والراوندي يروي نهج البلاغة عن الشريف الرضي بواسطتين، وكذلك محمد بن الحسين البيهقي الكيدري في شرحه على النهج المعنون بحدائق الحقائق الذي فرغ منه عام (٥٧٦ هجري)، وكذلك ابن ميثم البحراني في شرحه للنهج المتوفى سنة (٦٧٩ هجرية) وابن أبي الحديد المعتزلي المتوفي سنة (٦٥٦ هجرية)، وكذلك وجد هذا النص في النسخ الخطية من نهج البلاغة، ومنها النسخة الموجودة في مكتبة المرحوم آية الله العظمى المرعشي النجفي في مدينة قم المشرفة، وهي نسخة الحسين بن الحسن المؤدب، وتاريخ نسخها عام (٤٩٩ هجرية).

صورة الصفحة الموجودة فيها الخطبة من النسخة الخطية

فلو كان ذكر العلاء بن زياد من خطأ النساخ لكان على الأقل أن توجد ولو نسخة واحدة سالمة من وقوع السهو، ولو وجدت لأشار إليها شراح النهج المذكورون مع

قرب عصرهم بالشريف الرضي، أمَّا احتمال أنها من سهو الشريف الرضي (رحمه الله) فأيضاً بعيد؛ لأنه - إضافةً إلى ضبط الشريف الرضي وكونه من الأدباء والعلماء الكبار - لا توجد قرينة واحدة تدل على ذلك بل يمكن القول إن هناك قرينة تدل على وجود سهو من قلم الشريف الرضي.

وهذه القرينة هي وجود هذا النص نفسه (أي بذكر العلاء بن زياد الحارثي) في كتاب سابق على زمان الشريف الرضي ألا وهو كتاب المعيار والموازنة لأبي جعفر الإسكافي من علماء القرن الثالث الهجري حيث ذكر كلام أمير المؤمنين عليه السلام بالنص الآتي:

(عيادة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بالبصرة العلاء بن زياد الحارثي وكلامه معه ومع أخيه عاصم بن زياد) وذكروا أنه لما قدم البصرة دخل على العلاء بن زياد الحارثي يعوده فلمَّا رأى سعة داره قال: ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا [و] أنت إليها في الآخرة أحوج؟ وبلى إن شئت بلغت بها الآخرة تقري فيها الضيف، وتصل فيها الرحم، وتؤدي فيها الحقوق، فإذا أنت قد بلغت بها الآخرة. قال [العلاء] يا أمير المؤمنين أشكو إليك أخي عاصم بن زياد. قال: وما له؟

قال: لبس العبا وتخلى عن الدنيا.

قال: عليَّ به. فأتي به، فقال [له]: يا عدو نفسه أما رحمت أهلك وولدك؟ أترى الله أحل لك الطيبات، وهو يكره أن تأخذها؟ أنت أهون على الله من ذلك.

قال: يا أمير المؤمنين هذا أنت في

خشونة ملبسك، وجشوبة مأكلك؟

قال: ويحك! إني لست كأنت، إن الله فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيغ بالفقير فقره[٢٤].

إذ تلاحظ أن هناك تطابقًا كبيرًا بين النص الموجود في النهج ونص كتاب المعيار والموازنة، وإن وجد اختلاف طفيف بالعبارة فمن الراجح هنا أن الشريف الرضي نقل هذه الخطبة من كتاب المعيار والموازنة خصوصاً إذا علمنا أن طريقة الشريف الرضي هي ذكر ما وصل إليه من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) ممَّا هو مبثوث في الكتب، وكتاب الإسكافي لا شك في أنَّه منها، ومن الوارد أيضا أن يكون كتاب المقامات الذي نقل عنه الشريف الرضي في النهج وهو لأبي جعفر الإسكافي هو نفسه كتاب المعيار والموازنة، وهذا يحتاج إلى العثور على نسخ خطية من كتاب المعيار والموازنة غير التي اعتمد عليها الشيخ المحمودي في نشره للكتاب وهي نسخة مكتبة السيد المرعشي، فلا مبرر إذن للقول إنه من سهو الشريف الرضي أو من سهو النساخ.

ولكون كتاب المعيار والموازنة نشر أول مرة عام ١٩٨٣ بتحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي لذا لم يشر إليه السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب في كتابه (مصادر نهج البلاغة وأسانيده) عند ذكره لمصادر هذه الخطبة كما هو الحال في كتاب البصائر والذخائر للتوحيدي[٢٥].

وهناك صورة أخرى لكلام أمير المؤمنين (عليه السلام) الموجود في النهج مذكورة في كتاب الكافي

الشريف للشيخ الكليني (رحمه الله) وهو: علي بن محمد عن صالح بن أبي حماد وعدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد وغيرهما بأسانيد مختلفة في احتجاج أمير المؤمنين (عليه السلام) على عاصم بن زياد حين لبس العباء وترك الملاء وشكاه أخوه الربيع بن زياد إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قد غمَّ أهله وأحزن ولده بذلك، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): علي بعاصم بن زياد، فجيئ به، فلمَّا رآه عبس في وجهه، فقال له: أما استحييت من أهلك؟ أما رحمت ولدك؟ أترى الله أحل لك الطيبات وهو يكره أخذك منها، أنت أهون على الله من ذلك أو ليس الله يقول: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾، أو ليس [الله] يقول: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ إلى قوله ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾، فبالله لابتذال نعم الله بالفعال أحب إليه من ابتذالها بالمقال، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ فقال: عاصم يا أمير المؤمنين فعلى ما اقتصرت في مطعمك على الجشوبة وفي ملبسك على الخشونة؟

فقال: ويحك إن الله عز وجل فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيغ بالفقير فقره، فألقى عاصم بن زياد العباء ولبس الملاء[٢٦].

وقد عدَّ بعضهم هذه الصيغة من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) من المستدركات على نهج البلاغة كالميرجهاني في كتابه مصباح البلاغة في مشكاة الصياغة (مستدرك نهج البلاغة[٢٧]) والشيخ المحمودي

في نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة[٢٨].

كما ورد أيضا في كتاب الاختصاص المنسوب للشيخ المفيد نقلًا عن كتاب فضائل أمير المؤمنين لعيسى بن دأب ما يقرب من ذلك؛ إذ جاء النص كالآتي: استعدى زياد بن شداد الحارثي صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) على أخيه عبيد الله بن شداد فقال:

يا أمير المؤمنين ذهب أخي في العبادة وامتنع أن يساكنني في داري ولبس أدنى ما يكون من اللباس، قال: يا أمير المؤمنين تزينت بزينتك، ولبست لباسك، قال: ليس لك ذلك إن إمام المسلمين إذا ولي أمورهم لبس لباس أدنى فقيرهم لئلا يتبيغ بالفقير فقره فيقتله فلأعلمن ما لبست إلّا من أحسن زي قومك ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ فالعمل بالنعمة أحب إلي من الحديث بها[٢٩].

وعبيد الله بن شداد وزياد بن شداد الحارثيان أيضا ليس لهما ذكر في كتب الحديث والرجال الشيعية، وأيضا استدركهما الشيخ النمازي في مستدركات علم رجال الحديث اعتماداً على هذه الرواية.

وعبيد الله بن شداد يوجد له سمي هو عبيد الله بن شداد الكوفي من تلامذة علي بن الحكم ومن أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام)[٣٠] ولكنهما خارجان من محل البحث لعدم المعاصرة مع أمير المؤمنين (عليه السلام). وفي كتب العامة يوجد عبيد بن شداد والد شداد بن عبيد الله بن شداد القارئ، وهو أيضا ليس معاصرًا ومن أهالي دمشق[٣١].

بالنتيجة نستطيع القول ممَّا تقدَّم إن الأصح في اسم الشخص الذي عاده أمير المؤمنين هو الربيع بن زياد الحارثي وأن الذي وبخه أمير المؤمنين هو أخوه عاصم بن زياد الحارثي، وإن هناك تصحيفًا وتحريفًا قد حدث في هذه الأسماء، وإن الشريف الرضي (رحمه الله) في ايراده للنص في نهج البلاغة قد اعتمد على الأرجح على كتاب الإسكافي في نقله للخطبة.

الهوامش:

(١) نهج البلاغة، الشريف الرضي، صفحة ٤٣٩.

(٢) مجمع البيان في تفسير القران، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، جزء٩، صفحة١٤٩.

(٣) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٤٠، ص ٣٣٦ وج ٦٧، وص ١١٨ و ج ٧٣، ص ١٥٥.

(٤) مستدرك الوسائل، المحدث النوري، ج ٣، ص ٣١٥.

(٥) رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين، السيد علي خان الشيرازي المدني، ج٤، ص ٣٦٨.

(٦) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، الزمخشري، ج ١، ص ٢٧٧.

(٧) التذكرة الحمدونية، ابن حمدون، ج ١، ص ٨٢.

(٨) ينابيع المودة، القندوزي الحنفي، ج ١، ص ٤٤٣.

(٩) مستدركات علم رجال الحديث، علي النمازي الشاهرودي، ج ٥، ص ٢٦٢.

(١٠) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ٥، ص ١١٤.

(١١) الجرح والتعديل، أبو حاتم الرازي، ج ٦، ص ٣٥٥.

(١٢) تهذيب الكمال، المزي، ج ٢٢، ص ٤٩٨.

(١٣) السنن، ابن ماجة، ج ٢، ص ٢٦٦ والسنن، أبو داوود، ج ٢، ص ٧٨ والسنن، الترمذي، ج ٢، ص ٢٤٩.

(١٤) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، القطب الراوندي، ج ٢، ص ٣٢٢.

(١٥) الغارات، إبراهيم بن هلال الثقفي، ج ٢، ص ٥٥٨.

(١٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، ج ٤، ص ٩٤.

(١٧) قاموس الرجال في شرح تنقيح المقال، الشيخ محمد تقي التستري، ج ٦، ص ٤٠٤.

(١٨) الثقات، ابن حبان، ص ٢٤٦.

(١٩) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد

المعتـزلي، ج ١١، ص ٣٧.

(٢٠) العقـد الفريـد، ابـن عبـد ربـه الأندلـسي، ج ٢، ص ٢١٣.

(٢١) تلبيـس إبليـس، ابـن الجـوزي، ص ٢٠٤.

(٢٢) البصائـر والذخائـر، أبـو حيـان التوحيـدي، ج ٩، ص ٦٥.

(٢٣) مصـادر نهـج البلاغـة وأسـانيده، عبـد الزهـراء الحسـيني الخطيـب، ج ٣ ص ٩٨.

(٢٤) المعيـار والموازنـة، أبـو جعفـر الاسـكافي، ص ٢٤٣.

(٢٥) مصـادر نهـج البلاغـة وأسـانيده، عبـد الزهـراء الحسـيني الخطيـب، ج ٣، ص ١١٠- ١١١.

(٢٦) الـكافي، الأصـول، كتـاب الحجـة، ص ٤٢٠.

(٢٧) مصبـاح البلاغـة في مشـكاة الصياغـة، الميرجهـاني، ج ٢، ص ٢٨٧.

(٢٨) نهـج السـعادة في مسـتدرك نهـج البلاغـة، الشـيخ محمـد باقـر المحمـودي، ج ١، ص ٣٤١.

(٢٩) الاختصـاص، الشـيخ المفيـد، ص ١٥٢.

(٣٠) معجـم رجـال الحديـث، السـيد الخوئـي، ج ١٢، ص ٧٩.

(٣١) تاريـخ مدينـة دمشـق، ابـن عسـاكر، ج ٣٧، ص ٤٦٩.

المصادر

١- بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، الطبعة الثانية، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ١٩٨٣.

٢- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، تحقيق علي شيري، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥.

٣- تلبيس إبليس، أبو الفرج ابن الجوزي، دار ابن خلدون، الإسكندرية، مصر، ١٩٩١.

٤- تهذيب الكمال، المزي، تحقيق بشار عواد، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ٢٠١٧.

٥- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، جار الله الزمخشري، تحقيق عبد الأمير مهنا، الطبعة الأولى، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ١٩٩٢.

٦- رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين، السيد علي خان الشيرازي المدني، تحقيق السيد محمد الحسيني الأميني، الطبعة الثامنة، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، ١٤٣٥ هجري.

٧- سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق محمد أيمن الشبراوي، نشر دار الحديث، القاهرة، مصر، ٢٠٠٦.

٨- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، الطبعة الثانية، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم، إيران، ١٩٦٧.

٩- قاموس الرجال في شرح تنقيح المقال، الشيخ محمد تقي التستري، الطبعة الثانية، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، ١٤٢٥ هجرية.

١٠- البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي، تحقيق الدكتورة وداد القاضي، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٨٨.

١١- التذكرة الحمدونية، ابن حمدون، تحقيق إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٩٦.

١٢- الثقات، ابن حبان، تحقيق محمد عبد المعيد خان، الطبعة الأولى، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند ١٩٧٣.

١٣- الجرح والتعديل، أبو حاتم الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٥٢.

١٤- الاختصاص، الشيخ المفيد، تحقيق علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، ١٩٩٣.

١٥- السنن، أبو داوود، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨.

١٦- السنن، ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، لبنان، ٢٠١٠.

١٧- السنن، الترمذي، تحقيق صدقي جميل العطار، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥.

١٨- العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، تحقيق عبد المجيد ترحيني ومفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١٣.

١٩- الغارات، إبراهيم بن محمد الثقفي، تحقيق السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، دار الأضواء، بيروت، لبنان.

٢٠- الكافي، الأصول، الكليني، تحقيق علي أكبر الغفاري، دار صعب ودار التعارف للمطبوعات، الطبعة الرابعة ١٤٠١ هـ.

٢١- المعيار والموازنة، أبو جعفر الإسكافي، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، غير مذكور مكان الطبع.

٢٢- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ١٩٩٥.

٢٣- مستدرك الوسائل، المحدث النوري، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، ١٩٨٨.

٢٤- مستدركات علم رجال الحديث، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، الطبعة الأولى، مطبعة حيدري، طهران، إيران، ١٤١٢ هـ.

٢٥- مصباح البلاغة في مشكاة الصياغة، حسن الميرجهاني الطباطبائي، دار الأولياء، بيروت، لبنان، ١٣٨٨ هـ.

٢٦- مصادر نهج البلاغة وأسانيده، عبد

الزهـراء الحسـيني الخطيـب، دار الزهـراء، بـيروت، لبنـان، ١٤٠٩ هـ.

٢٧- معجـم رجـال الحديـث، السـيد الخوئـي، الطبعـة الخامسـة، مطبعـة الآداب، النجـف، ١٩٩٢.

٢٨- نهـج البلاغـة، الشريـف الـرضي، دار الأسـوة للطباعـة والنـشر، إيـران.

٢٩- نهـج السـعادة في مسـتدرك نهـج البلاغـة، الشـيخ محمـد باقـر المحمـودي، مطبعـة النعـمان، النجـف، ١٩٦٥.

٣٠- ينابيع المودة، القندوزي الحنفي، تحقيق علي أشرف الحسيني، الطبعة الأولى، دار الأسوة للطباعة والنشر، قم، إيران، ١٤١٦ هجرية.

درر تربوية من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)...

قال أمير المؤمنين (عليه السلام)

لَا غِنَى كَالْعَقْلِ وَلَا فَقْرَ كَالْجَهْلِ
وَلَا مِيرَاثَ كَالْأَدَبِ وَلَا ظَهِيرَ
كَالْمُشَاوَرَةِ

بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ١، ص ٩٥.

INAHJ.ORG

شذرات من كتاب نهج البلاغة ...

ومن خطبة لمولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) [صعوبة الإيمان]: إنَّ أَمْرَنا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ، لا يَحْتَمِلُهُ إلاَّ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللّه قَلْبَهُ للإيمَانِ، وَلاَ يَعِي حَدِيثَنَا إلاَّ صُدُورٌ أَمِينَةٌ، وَأَحْلاَمٌ[1] رَزِينَةٌ.

١. أحلام: عقول. المصدر: نهج البلاغة ص ٤٣٦

INAHJ.ORG

Editors Board

Prof. Dr. Salah Mahdi Al- Fartousi
University of Rotterdam-Holland

Prof. Dr. Abdul Ali Safih al-Tai
Advisor to the Ministry of Education
France

Prof. Dr. Jawad Kazem Al -Nasrallah
University of Basra- College of Arts

Prof.Dr. Abdul Hussain Abdul Rida Al Omari
University of Dhi Qar- College of Arts

Prof. Dr. Hussein Ali Al-Sharhani
Dhi Qar University- College of Education
for Human Sciences

Prof. Dr. Mohamed Hassanein Al-Naqawi
University of Bahaauddin- Pakistan

Prof. Dr. Mustafa Kadhim Shgedl
College Of Arts/Baghdad University

Asst. Prof. Dr. Nieamah Dahsh Farhan Al- Taee
University of Baghdad
College of Education Ibn Rushd

Asst. Prof. Dr. Ahmed Hussein Abdel Sada
University of Muthanna
College Of Education For Human Sciences

Dr. Haidar Hadi Khalkal Al Shaibani
Directorate of Education - Najaf Ashraf

Copy Editors (Arabic)

Asst. Prof. Dr. Karim Hamza Hamidi

Financial and Management

Ahmed Adnan Al-Muamar
Zaman Jaafar Kadhim

Copy Editors (English)

Hassanein Ali Abdul Amir Al-Tai

Design And Production

Ahmed Abbas Mahdi

Editor-In-Chief

Prof. Dr. Abbas Ali Hussein Al-Faham

University of Kufa- College of Education for Girls

Managing Editor

Prof. Dr. Hassan Hamid Fayyad

College of Basic Education - University of Kufa

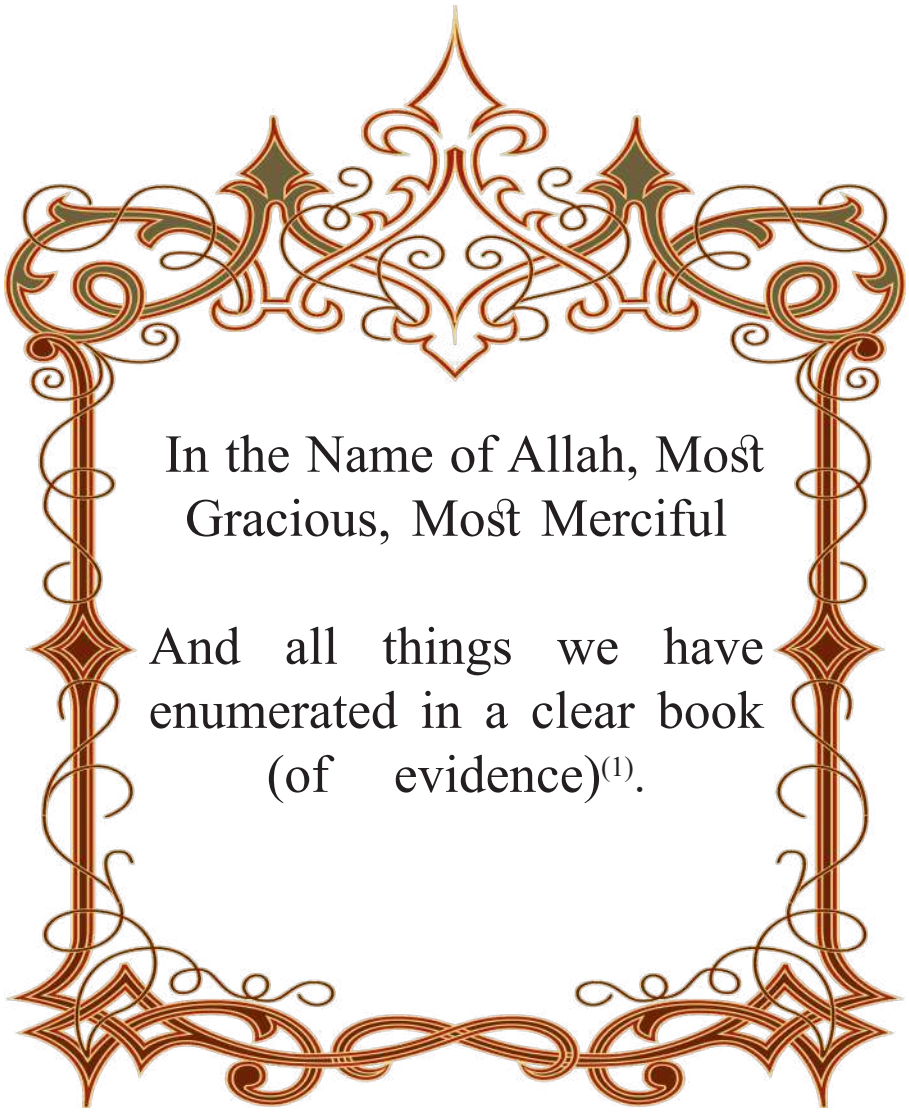

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

And all things we have enumerated in a clear book (of evidence)[1].

1- Abodullah Yussif Ali, The Holy Quran, Text Translation and Comment,(Kuwait: That El-salasil,1989) , Iyat 12,Sura,Yasin.

Al-MUBEEN

Quarterly Adjudicated Journal

Concerned with the Sciences of Road of Eloquence
(Nahj Albalagha) and the chronicle of Imam Ali (a.s)
And his thought

Issued By

General Secretariat of the Holy Al-hussien Shrine

Nahjul Balagha Sciences Foundation

Licensed by

Ministry of Higher Education and Scientific Research
Reliable for Scientific Promotion

Ninth year: Twenty-One Edition

Safar city 1446 AH - August 2024 AD